العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

شهر رمضان
شهر شعبان
شهر رجب

Al-Sada

Cultural Quavterly Journal For Hegira Events

Issued by the al _abbas holey shrine Department of Intellectual and Cultural Affairs Division of thought and creativity

صدق الله العلي العظيم
سورة الزلزلة: الآية/ ٧.

الإشـــراف الـعـام

الـسـيـد لـيـث الـمـوسـوي

السلامة الفكرية

السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير

صباح نعيم الصافي

مدير التّحرير

محمد الأسدي

هيأة التّحرير

رضوان عبد الهادي

حيدر فائق هادي

حسين فاضل الحلو

محمد يوسف محمد صالح

المراجعة اللغوية

محمد رضا جاسم

المشاركون

الشيخ عبدالرزاق فرج الله الأسدي

الشيخ حيدر حسن

الشيخ حيدر المؤيد

التصميم و الإخراج الفنّي

حسين عقيل | ميثم القرعاوي

التنفيذ الطباعي

دار الكفيل

للطباعة والنشر والتوزيع

.. للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الاسكان / خلف متنزه الحسين عليه السلام الكبير

التواصل مع المجلة :

alsadda@alkafeel.net

info@alkfeel.net

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية

٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

الافتتاحية

حينما نريد أن نحدد متى وقعت أهم الانتصارات الإسلامية في السنة الهجرية

فنجد أن أغلبها قد وقع في شهور الرَّحمة رجب وشعبان وشهر رمضان، فهذه الشّهور تضم كلّ المناسبات العظيمة ابتداءً بمعركة تبوك وولادة الأئمة المعصومين-صلوات الله عليهم- مروراً بولادة سيد الشّهداء-صلوات الله عليه- صاحب أعظم نهضة شهدها التاريخ، ثمَّ ولادة منقذ البشرية الإمام المهدي -عجَّل الله فرجه- وعندما يذكر الانتصار في هذه الشهور، يصرف الذهن مباشرة إلى الانتصارات العسكرية التي حققها المسلمون على أعدائهم، من معركة بدر إلى فتح مكة وغيرها من الملاحم الإيمانية التي كتب الله-تعالى- فيها النصر المؤزّر لعباده المؤمنين، وهذا العام نشهد انتصارًا يضاف الى سجل هذه الانتصارات ألا وهو انطلاق وانتصار حشدنا المقدَّس وقوّاتنا الباسلة على قوى الظلم والطغيان، ولكن مجالات الانتصار في هذه الشّهور وخاصة شهر رمضان المبارك بالنسبة للمؤمن غير مقتصرة على هذا الجانب فقط، بل إن الانتصارات التي تحقّقت وتتحقّق على أعداء الأمة والمتآمرين عليها ما كانت إلا نتيجة للأجواء الروحانية التي تصنعها هذه الشّهور المباركة بفيوضاتها ورحماتها وجوائزها ومآثرها التي يغدقها المولى -عز وجل- فيه على عباده المؤمنين الصّائمين، مما يهيئ لهم أسباب النصر لينتصروا، فإنَّها محصّلة لتلك الانتصارات التي يحدثها وينجزها العبد المؤمن على مستواه الفردي والجماعي كما قال الله -سبحانه-:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) سورة محمد/ الآية:٧.

ويبدو أنَّ الانتصارات بشتَّى أنواعها واختلاف مجالاتها في شهر رمضان، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ببعضها البعض، فكلَّما ارتفع مؤشّر هذه ارتفع منسوب تلك واقترب موعدها وتوفَّرت أسبابها، وكلَّما حدث فشل وتقصير في هذه، أصبحت الأخرى بعيدة المنال وهكذا.لذلك فإنَّ مدرسة الصّيام محطّة مهمّة ليجعل العبد المؤمن لنفسه فيها برنامجاً عملياً لتحقيق الانتصارات بمفهومها الشَّامل. يتعهدها دائماً بالتّجديد والتّزود، ويتصالح

مع الصلاة والقرآن والأذكار ويكثر من الصدقة والإنفاق في سبيل الله-تعالى-، فما يمر عليه الشهر إلَّا وهو ممتلئ روحيّاً وإيمانيًا، ويجد روحه -التي كاد أن يفقدها في زحمة المغريات والشهوات- قد ردت إليه، وتخلص من تآكلها وهزالها وجفافها، بعد أن كانت جدباء، وأنها قد أشرقت بنور ربِّها، بعد أن أظلمت وادلهمَّت بكثرة الذنوب والمعاصي والآثام والتقصير في جنب الله -عز وجل-، فيخرج من محطَّة الصيام وهو أقوى إيماناً، وأرق فؤادًا وأنور قلبًا، وأشد عزمًا وأصلب عودًا وأوفر سكينة وأعظم زادًا، فما عليه إلَّا أن يواصل التّرقّي الرّوحي ويحافظ على كلِّ ذلك لينتفع بها بعد شهر رمضان المبارك.

المحتوى

شهر رجب

متطلّبات المجتمع الإسلامي في عصر الإمام الهادي عليه السلام ١٠
دور الإمام الجواد عليه السلام في الحياة العلمية..... ٢٠
نبراس العدالة ٣٤
أضواء على حياة الحوراء عليها السلام ٤٦
حجاجية الصورة الفنية في الخطاب التربوي (وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام مثالاً)..... ٥٦
البعثة المباركة..... ٦٤

شهر شعبان

الوليد الحبيب ٧٠
العناصر النفسية لشخصية أبي الفضل عليه السلام ٧٨
في رحابِ الصحيفة السجادية ٨٤
صفات الشَّخصية التي قمعت الانتفاضة الشَّعبانية..... ٨٨
منهاج الرحمة..... ٩٦
مفاتيح شخصية علي بن الحسين الأكبر عليه السلام ١٠٤

شهر رمضان

شهر رمضان والتعاليم الاجتماعية..... ١١٠
معركة بدر ومبرراتها في ضوء القرآن الكريم..... ١١٨
السيدة خديجة بنت خويلد صبر عظيم وعطاء كريم..... ١٣٢
حب الحسن عليه السلام ١٣٨
نحن والإمام علي عليه السلام ١٥٢
ليلة القدر والاستكثار والمسيرة التكاملية..... ١٦٠

إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا

شهـر رجب

- متطلبات المجتمع الإسلامي في عصر الإمام الهادي عليه السلام
- دور الإمام الجواد في الحياة العلمية
- نبراس العدالة
- أضواء على حياة الحوراء عليها السلام
- حجاجية الصّور الفنّيّة في الخطاب التَّربوي
- البعثة المباركة

متطلبات المجتمع الإسلامي في عصر الإمام الهادي عليه السلام

السيد حيدر الياسري

لقد كان عصر الإمام الهادي عليه السلام عصراً مليئاً بالظلم والطغيان ونشر الشبهات وإزاء تلك الظروف قام الإمام عليه السلام بعدة أعمال أهمها:

١ ـ ترك مقارعة الحاكمين وتجنّب إثارتهم.

٢ ـ الردّ على الإثارات الفكرية والشّبهات الدِّينية.

٣ ـ التَّحدّي العلمي للسلطة وعلمائها.

٤ ـ توسيع دائرة النّفوذ في جهاز السّلطة.

١ ـ ترك مقارعة الحاكمين وتجنّب إثارتهم:

اتّسمت سيرة الإمام الهادي عليه السلام طوال فترة إمامته بالتَّجنّب من أيّة إثارة للسلطة بدءاً بما فرض عليه من مُؤدّب يتولّى أمره، ثم الاستجابة لدعوة المتوكّل واستقدامه إلى سامراء وفسح المجال للتفتيش الذي قد تكرّر في المدينة وسامراء، بل تعدّى ذلك إلى تطمين المتوكل بأنَّ الإمام عليه السلام لا يقصد الثورة عليه حين استعرض المتوكل قوّاته وقدرته العسكرية وأحضر الإمام في هذا الاستعراض ليطلعه على ما يملكه من قوّة لئلا يُفكّر واحد من أهل بيته عليهم السلام بالخروج على الخليفة، وإذا بالإمام الهادي عليه السلام يجيبه بأنّا لا نناقشكم في الدنيا نحن مشتغلون بأمر الآخرة، فلا

عليك شيء ممّا تظن[١].

ولم يحصل المتوكل على أيّ مستمسك ضدّ الإمام بالرغم من التفتيش المفاجئ والمتكرّر.

وقد لاحظنا كيف يتجنّب الإمام ﷺ مثل هذه الإثارات إلى جانب تقديمه للنصح والإرشاد والموعظة للمتوكل.

روى ابن شهر آشوب بإسناده عن أبي محمد الفحّام أنّه قال: سأل المتوكل ابن الجهم مَن أشعر الناس؟ فذكر الجاهلية والإسلام ثم أنّه سأل أبا الحسن ﷺ، فقال ﷺ الحمّاني حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة ... بمدّ خدود وامتـــــداد أصابع

فلمّا تنازعنا المقال قضى لنـــا ... عليهم بما نهوى نـــداء الصوامع

ترانا سكوتاً والشّهيد بفضلنا ... عليهم جهير الصوت في كل جامع

فإنّ رسـول الله أحمد جدّنـــا ... ونحن بنوه كالنجوم الطوالـــع

قال: وما نداء الصّوامع يا أبا الحسن؟

قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله جدّي أم جدّك؟

فضحك المتوكل ثم قال: هو جدّك لا ندفعك عنه[٢].

ولم يبخل الإمام الهادي ﷺ بالإجابة العلمية فيما كان يشكل عليهم أمره كما لاحظنا، بل تعدّى ذلك الى وصف دواء ناجع لداء عدوّه المتوكّل حين أيس من معالجات أطبّائه بالرغم من تظاهره بالعداء للعلويين[٣].

٢ ـ الرّدّ على الإثارات الفكرية والشّبهات الدِّينيّة

وقد لاحظنا في عصر الإمام ﷺ ما امتحنت به الأمّة الإسلامية بما عرف بمحنة خلق القرآن، والإثارات المستمرّة حول الجبر والتَّفويض والاختيار.

---

(١) بحار الأنوار: ١٥٥/٥٠.

(٢) أمالي الطوسي: ٢٨٧.

(٣) راجع الكافي: ١/ ٤٩٩.

وكانت للإمام الهادي عليه السلام مساهمات جادّة في كيفية معالجة الموقف بشكلٍ ذكي، والرّسالة التي أُثيرت عن الإمام الهادي عليه السلام لأهل الأهواز تضمّنت ردّاً علميّاً تفصيلياً على شبهة الجبر والتَّفويض، بل تضمّنت بيان منهج بديع سلكه الإمام عليه السلام في مقام الرّد، وحيث كان الغلو والتَّصرّف من الظّواهر المنحرفة في المجتمع الإسلامي، فقد واجههما الإمام الهادي عليه السلام بالشَّكل المناسب مع هاتين الظَّاهرتين.

٣ ـ التَّحدِّي العلمي للسلطة وعلمائها

لقد كان الاختبار العلمي لأئمة أهل البيت عليهم السلام أقصر طريق للحكّام لمعرفة ما هم عليه من الجدارة العلميّة التي هي إحدى مقوّمات الإمامة، وهو في الوقت نفسه أقصر طريق لأهل البيت عليهم السلام للتألّق العلمي في المجتمع الإسلامي.

ومن هنا كانت السّلطة بعد إجراء أيّ اختبار علمي تحاول التعتيم عليه لئلاّ يستفيد أتباع أهل البيت عليهم السلام من هذه الورقة المهمّة ضدّ السّلطة الحاكمة.

ولكن المصادر التّاريخية قد حفظت لنا نصوص هذه الاختبارات وفيها ما يدلّ على الرّد القاطع من أهل البيت عليهم السلام على جميع التَّحدِّيات العلمية التي خطّطت لهم وانتصارهم في هذا الميدان الذي كان يعيد لهم مرجعيّتهم الدِّينية في الأمّة الإسلاميّة.

وإليك أنموذجاً من هذا الاختبار الذي أجراه ابن الأكثم في عصر المتوكِّل ثم حاول التَّعتيم عليه.

فقد روى ابن شهر آشوب أنّه: قال المتوكل لابن السّكِّيت: اسأل ابن الرّضا مسألة عوصاء بحضرتي، فسأله، فقال: لم بعث الله موسى بالعصا، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وبعث محمّداً بالقرآن والسّيف؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السّحر، فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم وأثبت الحجّة عليهم، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمان الغالب على أهله الطّب فأتاهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم.

وبعث محمّداً بالقرآن في زمان الغالب على أهله السّيف والشّعر فأتاهم من القرآن الزَّاهر والسَّيف القاهر ما بهر به شعرهم وبهر سيفهم وأثبت الحجّة عليهم.

فقال ابن السّكِّيت: فما الحجّة الآن؟ قال: العقل، يعرف به الكاذب على الله فيكذّب.

فقال يحيى بن أكثم: ما لابن السّكِّيت ومناظرته؟! وإنَّما هو صاحب نحو وشعر ولغة، ورفع قرطاساً فيه مسائل، فأملى علي بن محمد عليه السلام على ابن السّكيت جوابها[١].

وجاء في رواية أخرى أنَّ هذه الأسئلة قد كتبها ابن الأكثم لموسى بن محمد بن الرضا، ومن الواضح أنّ المقصود بها هو الإمام الهادي عليه السلام بلا ريب؛ ولهذا جاء بها أخوه موسى إليه، فأجاب عنها الإمام عليه السلام، وإليك نصّ الرّواية: عن موسى بن محمد بن الرضا قال: لقيت يحيى بن أكثم في دار العامّة فسألني عن مسائل، فجئت إلى أخي علي بن محمد عليهما السلام، فدار بيني وبينه من المواعظ ما حمّلني وبصّرني طاعته، فقلت له: جُعلت فداك، إنّ ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها، فضحك عليه السلام ثم قال: وما هي؟

قلت: كتب يسألني عن قول الله: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)[٢] نبي الله كان محتاجاً إلى علم آصف؟

وعن قوله: (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً) [٣]سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟

وعن قوله: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ)[٤]، مَن المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب النبي صلى الله عليه وآله فقد شكّ، وإن كان المخاطب غيره، فعلى مَن إذن أُنزل الكتاب؟

وعن قوله: (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ)[٥]، ما هذه الأبحر؟ وأين هي؟

وعن قوله: (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين)[٦]، فاشتهت نفس آدم عليه السلام أكل البر فأكل وأطعم وفيها ما تشتهي الأنفس، فكيف عُوقب؟

وعن قوله: (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً)[٧]، يزوّج الله عباده الذكران وقد عُوقب قوم فعلوا ذلك؟

---

(١) مسند الإمام الهادي عليه السلام: ٢٥.
(٢) سورة النمل: ٢٧.
(٣) سورة يوسف: ١٢.
(٤) سورة يونس: ١٠.
(٥) سورة لقمان: ٣١.
(٦) سورة الزخرف: ٤٣.
(٧) سورة الشورى: ٤٢.

وعن شهادة المرأة جازت وحدها وقد قال الله: (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ)[١]؟

وعن رجل أتى إلى قطيع غنم فرأى الرّاعي ينزو على شاة منها فلمّا بصر بصاحبها خلّى سبيلها، فدخلت بين الغنم كيف تذبح؟ وهل يجوز أكلها أم لا؟

وعن صلاة الفجر لِمَ يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النَّهار؟ وإنَّما يجهر في صلاة الليل.

وعن قول علي عليه السلام لابن جرموز: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، فلِمَ لم يقتله وهو إمام؟!

وأخبرني عن علي عليه السلام لم قتل أهل صفّين وأمر بذلك مقبلين ومدبرين وأجاز على الجرحى؟ وكان حكمه يوم الجمل أنَّه لم يقتل مولّياً ولم يجهز على جريح ولم يأمر بذلك، وقال مَن دخل داره فهو آمن، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن لِمَ فعل ذلك؟ فإن كان الحكم الأوَّل صواباً فالثَّاني خطأ.

وأخبرني عن رجل أقرّ باللواط على نفسه أيحد أم يدرأ عنه الحد؟

قال عليه السلام: اكتب إليه: قلت: وما أكتب؟ قال عليه السلام: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وأنت فألهمك الله الرّشد، أتاني كتابك فامتحنتنا به من تعنّتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصرنا فيها والله يكافيك على نيّتك، وقد شرحنا مسائلك، فاصغ إليها سمعك وذلّل لها فهمك، واشغل بها قلبك، فقد لزمتك الحجّة والسلام.

سألت عن قول الله عزّ وجل: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف لكنَّه -صلوات الله عليه- أحبّ أن يعرّف أُمّته من الجن والإنس أنَّه الحجّة من بعده، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه عند آصف بأمر الله، ففهّمه ذلك لئلا يختلف عليه في إمامته ودلالته، كما فهّم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام لتعرف نبوّته وإمامته من بعد لتأكّد الحجّة على الخلق.

وأمّا سجود يعقوب عليه السلام وولده كان طاعة لله ومحبّة ليوسف عليه السلام، كما أنّ السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم عليه السلام وإنَّما كان ذلك طاعة لله ومحبّة منهم لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب عليه السلام وولده ويوسف عليه السلام معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ - إلى آخر الآية -)[٢].

---

(١) سورة الطلاق: ٦٥.

(٢) سورة يوسف: ١٢.

وأمّا قوله: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ)، فإنّ المخاطب به رسول الله ﷺ ولم يكن في شكّ ممّا أنزل إليه، ولكن قالت الجهلة كيف لم يبعث الله نبيّاً من الملائكة إذ لم يفرق بين نبيّه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشي في الأسواق؟! فأوحى الله إلى نبيّه، (فسئل الذين يقرءون الكتاب) بمحضر الجهلة، هل بعث الله رسولاً قبلك إلاّ هو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أُسوة، وإنَّما قال: فإن كنت في شكٍّ ولم يكن شكّ ولكن للمنفعة كما قال: (تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)[1].

ولو قال (عليكم) لم يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أنَّ نبيَّه يؤدِّي عنه رسالته وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبي أنَّه صادق فيما يقول ولكن أحبَّ أن ينصف من نفسه.

وأمّا قوله: (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله)، فهو كذلك لو أنَّ أشجار الدنيا أقلام والبحر يمدّه سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله وهي عين الكبريت وعين التمر وعين الـ (برهوت) وعين طبرية وحمّة ماسبندان وحمّة افريقية يدعى لسان وعين بحرون، ونحن كلمات الله لا تنفد ولا تُدرك فضائلنا.

وأمّا الجنَّة فإنَّ فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، وأباح الله ذلك كلّه لآدم عليه السلام، والشجرة التي نهى الله عنها آدم عليه السلام وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما أن لا ينظرا إلى مَن فضّل الله على خلائقه بعين الحسد، فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزماً.

وأمّا قوله: (أو يزوّجهم ذكراناً وأناثاً) أي يولد له ذكور ويولد له إناث، يقال لكل اثنين مقرنين زوجان كل واحد منهما زوج، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبّست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم، (... ومَن يفعل ذلك يلقَ أثاماً * يضاعفْ له العذاب يوم القيامة ويَخْلُدْ فيه مهاناً)[2] إن لم يتب.

وأمّا شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة جازت شهادتها مع الرِّضا، فإن لم يكن رضى فلا أقل من امرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة؛ لأنّ الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها.

---

(١) سورة آل عمران: ٣.

(٢) سورة الفرقان: ٢٥.

وأمّا قول علي عليه السلام في الخنثى فهي كما قال: ينظر قوم عدول يأخذ كلّ واحد منهم مرآة وتقوم الخنثى خلفهم عريانة وينظرون في المرايا فيرون الشّبح فيحكمون عليه.

وأمّا الرَّجل النَّاظر إلى الرَّاعي وقد نزا على شاة فإن عرفها ذبحها وأحرقها، وإن لم يعرفها قسم الغنم نصفين وساهم بينهما فإذا وقع على أحد النّصفين فقد نجا النّصف الآخر، ثم يفرق النّصف الآخر فلا يزال كذلك حتى تبقى شاتان فيقرع بينهما فأيتها وقع السّهم بها ذُبحت وأُحرقت ونجا سائر الغنم.

وأمّا صلاة الفجر فالجهر فيها بالقراءة؛ لأنَّ النّبي صلى الله عليه وآله كان يغلس بها فقراءتها من الليل.

وأمّا قول علي عليه السلام: بشّر قاتل ابن صفية بالنار فهو لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ممّن خرج يوم النَّهروان فلم يقتله أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة؛ لأنّه علم أنّه يُقتل في فتنة نهروان.

وأمّا قولك: إنّ عليّاً عليه السلام قتل أهل صفّين مُقبلين ومُدبرين وأجاز على جريحهم وأنّه يوم الجمل لم يتبع مولّياً ولم يجهز على جريح ومَن ألقى سلاحه آمنه ومَن دخل داره آمنه، فإنّ أهل الجمل قتل إمامهم ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها وإنَّما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا متنابذين، رضوا بالكف عنهم، فكان الحكم فيها رفع السَّيف عنهم والكف عن أذاهم؛ إذ لم يطلبوا عليه أعواناً.

وأهل صفّين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدّة وإمام يجمع لهم السِّلاح: الدّروع والرّماح والسّيوف ويسني لهم العطاء، يهيّئ لهم الأنزال ويعود مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسو حاسرهم ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم، فلم يساوِ بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتل أهل التَّوحيد لكنّه شرح ذلك لهم، فمَن رغب عرض على السَّيف أو يتوب من ذلك.

وأمّا الرجل الذي اعترف باللواط فإنّه لم تقمْ عليه بيّنة وإنّما تطوّع بالإقرار من نفسه، وإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمنّ عن الله، أمّا ما سمعت قول الله: (هذا عطاؤنا)، قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم ذلك[1].

وقد أوضحت هذه الرّواية الموقع العلمي للإمام عليه السلام ومدى تحدّيه لعلماء عصره ولاسيّما علماء البلاط الذين لا يروق لهم مثل هذا التَّحدِّي.

---

(١) تحف العقول: ٣٥٢.

ولهذا قال ابن أكثم للمتوكل بعدما قرأ هذه الأجوبة: (ما نحب أن نسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه، وأنّه لا يرد عليه شيء بعدها إلاّ دونها وفي ظهور علمه تقوية للرافضة)[١].

٤ ـ توسيع دائرة النّفوذ في جهاز السّلطة

إنّ النّفوذ الذي نجده للإمام الهادي عليه السلام هو النّفوذ المعنوي على عامَّة رجال السّلطة بما فيهم مَن لا يدين بالولاية لأهل البيت عليهم السلام.

وقد كانت أساليب الإمام عليه السلام في هذا المجال متنوِّعة وواسعة فإنّه كان مطالباً بالحضور في دار الخلافة بشكلٍ مستمر.

ومن هنا كان التَّعرّف على شخص الإمام عليه السلام وهديه وسكونه واتّزانه أمراً طبيعياً وفّر له هذه الفرصة والتي لم يلتفت الحكَّام إلى مدى تبعاتها وآثارها التي تركتها في السَّاحة الإسلامية العامة وروّاد البلاط بشكلٍ خاص.

وقد كانت للإمام عليه السلام كرامات شتّى كلّما دخل وخرج من دار الخلافة.

وقد قال أحد ندماء المتوكِّل للمتوكِّل: ما يعمل أحد بك أكثر ممّا تعمله بنفسك في علي بن محمد، فلا يبقى في الدار إلاّ مَن يخدمه، ولا يتبعونه بشيل ستر ولا فتح باب ولا شيء، وهذا إذا علمه النّاس قالوا: لو لم يعلم استحقاقه للأمر ما فعل به هذا، دعه إذا دخل عليه يشيل السّتر لنفسه، ويمشي كما يمشي غيره، فيمسّه بعض الجفوة.

فتقدم ألاّ يخدم ولا يشال بين يديه ستر، وكان المتوكل ما رأى أحداً ممّن يهتم بالخبر مثله.

قال: فكتب صاحب الخبر إليه: أنَّ علي بن محمد دخل الدَّار فلم يخدم ولم يشل أحد بين يديه ستر فهبّ هواء رفع السّتر له فدخل.

فقال: اعرفوا حين خروجه، فذكر صاحب الخبر أنَّ هواء خالف ذلك الهواء شال الستر له حتى خرج، فقال: ليس نريد هواء يشيل الستر، شيلوا الستر بين يديه[٢].

كما نجد جملة من الكتّاب والحجّاب والعيون وحتى السجّان، فضلاً عن بعض القادة والأُمراء كانوا يدينون بالولاء والحبّ الخاص للإمام الهادي عليه السلام، وقد رأينا في قصّة مرض المتوكل ونذر أُمّه للإمام الهادي عليه السلام ما يدل دلالة واضحة على مدى نفوذ الإمام عليه السلام في هذه الأوساط، بينما كان المتوكّل قد خطّط لإبعاد الإمام عن شيعته ومحبّيه وإذا

(١) المناقب: ٣/ ٤٤٣.

(٢) مسند الإمام الهادي عليه السلام: ٣٩.

بالإمام ﷺ يكتسح نفوذه المعنوي أرباب البلاط ويستبصر على يديه مجموعة ممّن لم يكن يعرف الإمام ﷺ أو لم يكن ليواليه، وكان الإمام ﷺ يستفيد من هؤلاء في تحرّكه وارتباطاته التي خطّط الحكّام لمراقبتها أو قطعها وإبعاد الإمام ﷺ عن قواعده وعن الوسط الاجتماعي الذي يريد أن يتحرّك فيه.

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم

دور الإمام الجواد عليه السلام في الحياة العلمية

الشيخ أحمد كاظم

من المقدمات التي يلزم التَّذكير بها هنا أنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام جميعاً هم أبواب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله لا يختلفون سعة، ولا يتميّزون عمقاً، ولا تتباين أهدافهم البتة، وإنَّما الاختلاف والتَّباين والتَّنوّع في أدوار كل منهم، تبعاً للظروف السِّياسيّة والاجتماعية والإقليمية التي تتحكَّم في مساحة تحرّك كلِّ إمام على السّاحة الإسلامية، وفي صفوف الأُمّة .

فهناك دور مفروض للأَئمة عليهم السلام في نصّ الشَّريعة الإسلامية، وهو دور صيانة تجربة الإسلام . . وتعميق الرسالة فكرياً وروحياً وسياسياً في الأمَّة . . والمحافظة على المقياس العقائدي والرِّسالي في المجتمع الإسلامي .

ولقد تمثل الدَّور الإيجابي لأئمة أهل البيت عليهم السلام، في أنَّهم استطاعوا الإبقاء على المعالم الدّينية الأساسية للأُمّة، والحفاظ على طابعها الرّسالي، وهويّتها الفكرية من ناحية، ومقاومة التَّيّارات الفكرية التي تشكل خطراً على الرّسالة، وضربها في بدايات تكوينها من ناحية أُخرى .

وبعد ذلك فإنَّ الرّسالة الإسلامية تعنى بالإنسان من كلِّ نواحيه، وتأخذ بيده إلى كلِّ مجالاته، ومن هنا يتوجَّب في القائد أن يكون على اطّلاعٍ ومعرفة بكلِّ مناحي الحياة، واستيعاب لمجمل العلوم التي يحتاجها أهل الأرض، ولكلِّ ما نزل من السَّماء، وهو مالم يتحقّق في غير النبيّ صلى الله عليه وآله، وبمن أودعهم مكنون علومه من أهل بيته المعصومين المنتجبين الأبرار عليهم السلام.

وقد ورد في الأَخبار أنَّ من صفات الإمام عليه السلام: « أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وضروب أحكامه، وأمره ونهيه، وجميع ما يحتاج إليه الناس . فيحتاج الناس إليه، ويستغني عنهم»[١].

من هنا نقف على أنَّ علم الأَئمة الاثني عشر عليهم السلام واحد، فعلم أوَّلهم كعلم آخرهم، علم إلهامي يتوارثونه خلفاً عن سلف، صغيرهم وكبيرهم فيه سواء، بل ورد أنَّ الأَئمة عليهم السلام تنتقل إليهم بعض مواريث الأَنبياء عليهم السلام أيضاً، كالسَّيف والخاتم والعصا، وغيرها. إضافة إلى ما يعلمونه من أحكام جميع رسالات السَّماء السَّابقة. وحديثهم أيضاً واحد ليس فيه اختلاف وتعارض، وإن ظهر في ألفاظٍ ومعانٍ مختلفة؛ لأنَّه صادر من منبع واحد، فهم عليهم السلام يحدِّثون عن آبائهم عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن الله -تبارك وتعالى-، وذلك ما جاء في قول الإمام الصادق عليه السلام: « إنّ حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله قول الله عزَّ وجلَّ»[٢] .

بعد هذه المقدّمة نعود إلى ساحة قدس إمامنا الجواد عليه السلام، كي نستلهم من فيض علومه ما نتمكّن من خلاله رسم خطٍّ بيانيّ نستطيع به استشفاف واستقراء نشاط الإمام العلمي خلال حياته القصيرة جداً، ورغم سني التّضييق والإقامة الجبرية في بغداد، وإن لم تكن معلومة العدد، إلاّ أنَّها بلا شكّ ليست قليلة بالنسبة إلى المدّة التي عاشها عليه السلام.

دوره في الفقه وأحكام الشَّريعة:

لفقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام سمات بارزة متميزة عن سائر الفقه السَّائد في مدرسة الرَّأي، وخلاصة تلك السّمات أنَّه يستمد مقوّماته من القرآن الكريم أوَّلاً، ثم السُّنّة الثابتة ثانياً، ولهذا أصبح فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو الامتداد الطَّبيعي لفقه القرآن الكريم والسُّنّة المطهّرة، وليس فيه شيء من عمل الرَّأي أو استعمال القياس والاستحسان وما شابه ذلك، وهناك عشرات بل مئات الرِّوايات المصرّحة بأنَّ كل ما لدى أهل البيت عليهم السلام إنَّما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله توارثوه واحداً بعد واحد وصولاً إلى الإمام المهدي-عجل الله تعالى فرجه-[٣].

ويتميّز أيضاً بالشّمولية فإنَّه لم يدع ملحظاً كلياً أو جزئياً إلاّ وقد بيّنه بمنتهى الدّقّة والتّفصيل، أما من حيث الامتداد الزَّماني فهو فقه الأَمس واليوم وغد، لصلاحيته لكلِّ زمانٍ وامتداده إلى حلّ كلّ مشكلات الحياة.

---

(١) بحار الأنوار / المجلسي ٢٥ : ٦٤ .

(٢) أُصول الكافي ١ : ٥٣ / ١٤ (كتاب فضل العلم) . والارشاد / الشيخ المفيد ٢ : ١٨٦ .

(٣) راجع : أُصول الكافي ١ : ٢٦٣ / ١ ـ ٣ و ٢٦٥ / ٢ و ٢٦٨ / ٩ .

ومِمَّا تقدَّم يتبيّن أنَّ فقه أهل البيت عليهم السلام فقه واحد لا يقبل التَّفكيك والفصل، فلا يمكننا أن نقول: إنَّ هذا هو فقه الإمام علي عليه السلام وهذا فقه الإمام الصادق عليه السلام وهكذا بالنسبة إلى جميع أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام.

فحديثنا إذًا عن دور الإمام الجواد عليه السلام الفقهي هو عين الحديث عن فقه أهل البيت عليهم السلام الذين أُمرنا بطاعتهم والاقتداء بهديهم والتَّمسّك بحبلهم، وذلك أمان من الضّلالة بنصِّ حديث الثّقلين المتواتر عند جميع فرق المسلمين.

أما عن الموارد الفقهيّة الكثيرة المرويّة عن الإمام الجواد عليه السلام والتي لا تتّسع لها هذه الدِّراسة الموجزة؛ فهي دالّة بلا شكّ على أنَّه عليه السلام ملأ الفراغ الفقهي في عصره وأنَّه قد أغنى السَّاحة الإسلاميّة، وشيعته على وجه الخصوص عن غيره، فلم يلتمسوا حلول مشكلاتهم وإجابات أسئلتهم من أحد غيره، وهم الطَّائفة الواسعة الانتشار في شرق بلاد المسلمين وغربها .

ومن خلال قراءة واستعراض لبعض تلك الموارد نستخلص أنَّ الإمام الجواد عليه السلام كان مبرّزاً على جمهور الفقهاء، وكبار العلماء والقضاة المعاصرين له .

فمن حيث مجلسه عليه السلام في ديوان الخلافة، ما كان ليجلس إلاّ بموازاة مجلس الخليفة، والعلماء والقضاة في مجلسهم جميعاً كانوا دون مجلسه، ويمثلون بين يديه ـ هيبة ـ عند محادثته .

وأما آراؤه في (العقيدة، والتفسير، والفقه) فهي المقدِّمة على بقيّة الآراء؛ لأنَّها تعكس واقعاً وحقيقة روح الإسلام، وذلك إذ يتجلّى من خلال ما مرّ من مناظرات أو من خلال ما أثبته لنا التأريخ في قصّة الزَّواج في عهد المأمون . . أو قصَّة السَّارق الذي اعترف على نفسه بالسَّرقة في عهد المعتصم، وقد طلب السَّارق من الخليفة تطهيره بإقامة الحدِّ عليه فأُرجئ الحكم عليه إلى وقت معلوم . واستدعى المعتصم لذلك جمعاً من العلماء والقضاة إلى مجلسه للحكم في القضيّة، واستدعى من جملة من استدعى الإمام الجواد عليه السلام إلى ذلك المجلس الضَّخم الذي عقده لهذا الغرض، وكان الإمام عليه السلام يومذاك الشاب ابن الخامسة والعشرين سنة أو نحوها .

وعلى الرغم أنَّ الرّواية التي بين أيدينا لم تُسمّ الفقهاء الذين حضروا مجلس الحكم، ولا عددهم؛ لكن بداهة يمكن الجزم ـ ويشاركنا هذا الرأي كلّ أحد ـ بأنَّ الخليفة لا يستدعي إلى مجلسه إلاّ الطَّبقة الأُولى من فقهاء بغداد، ومحدِّثيها المرموقين، وقضاتها المتمكِّنين، لا ضعافها ومغموريها أو أذناب الناس وشذّاذهم .

فالرّواية التي ينقلها العيَّاشي عن زرقان وهو محمد بن شداد أبو يعلى المسمعي (٢٧٨ أو ٢٧٩ هـ) وقد

عمّر طويلاً، وهو أيضاً من الفقهاء والمتكلِّمين. قال العياشي: عن زرقان صاحب ابن أبي دؤاد وصديقه بشدّة، قال: رجع ابن أبي دؤاد ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم، فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أنّي قد متُّ منذ عشرين سنة، قال: قلت له: ولِمَ ذاك؟ قال: لما كان من هذا الأسود أبا جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين المعتصم، قال قلت له: وكيف كان ذلك؟ قال: إنّ سارقاً أقرَّ على نفسه بالسّرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدِّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمد بن علي عليه السلام، فسألنا عن القطع في أيّ موضع يجب أن يقطع؟ قال: فقلت: من الكرسوع، قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قلت: لأنَّ اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع؛ لقول الله-تعالى- في التَّيمم: (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم)[1] واتّفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، قال: وما الدَّليل على ذلك؟ قالوا: لأنَّ الله-تعالى- لما قال: (وأيديكم إلى المرافق)[2] في الغسل دلّ ذلك على أنَّ حدَّ اليد هو المرفق، قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلّم القوم فيه يا أمير المؤمنين، قال: دعني مما تكلّموا به، أيّ شيء عندك؟ قال: اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين . قال: أقسمت عليك بالله لّما أخبرت بما عندك فيه، فقال: أمَّا إذا أقسمت عليَّ بالله إنِّي أقول إنّهم أخطأوا فيه السنة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف . قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السّجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرّجلين[3] . فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبقَ له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: (وأنَّ المساجد لله)[4] يعني به هذه الأعضاء السّبعة التي يسجد عليها (فلا تدعوا مع الله أحداً) وما كان لله لم يقطع، قال: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ، قال ابن أبي دؤاد: قامت قيامتي وتمنّيت أنّي لم أك حيّاً[5] .

فلسان الرّواية يبيّن أنَّ الخليفة أعدّ مسبقاً لذلك المجلس جمعاً غفيراً من الفقهاء للحكم في هذه المسألة، ويبدو أيضاً أنَّه اختارهم على مختلف المشارب والاتجاهات الفقهية والفكرية؛ لأنَّ الوقت آنذاك كان وقت كلام ومساجلات وتعدّد في الآراء الفقهية .

---

(١) سورة النساء : ٤ / ٤٣ .

(٢) سورة المائدة : ٥ | ٦ .

(٣) صحيح البخاري ١ : ٢٨٠ / ٧٧٦ و ٧٧٧ ؛ والجامع الصحيح ١ : ٤٤٦ / ٢٣١ (٤٩١) . وكذا الأحاديث ٢٢٧ ـ ٢٣٠ . وسنن ابن ماجة ١ : ٢٨٢ / ٨٨٤ و ٨٨٥ .

(٤) سورة الجن : ٧٢ / ١٨ .

(٥) تفسير العياشي ١ : ٣١٩ ـ ٣٢٠ / ١٠٩.

دوره في تفسير القرآن:

من نافلة القول إنَّ الأئمة من أهل البيت النّبوي الطَّاهر عليهم السلام، هم الرَّاسخون في العلم، المفسرون للقرآن الكريم كما أنزله الله وأراده حقيقة، وهم وحدهم العالمون بتأويله، والدَّليل على ظاهره وباطنه . وليس بدعاً من القول إذا سلّمنا بأنَّهم عدل القرآن؛ للحديث النَّبوي الصَّحيح المروي في المدوّنات الحديثية لدى الفريقين سواء بسواء، ذلك هو حديث: « إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً»[١] .

إذا علمت هذا، فينبغي بمن هو عدل الكتاب وقرينه، أن يكون عالماً بكلِّ آياته، ومحيطاً بجميع أسراره ومحكمه ومتشابهه، ناسخه ومنسوخه، وهكذا كان أهل البيت عليهم السلام قرآناً ناطقاً يهدي للتي هي أقوم، ويبشّر المؤمنين بخطّ ولايتهم بأنَّ لهم قدم صدقٍ عند مليك مقتدر .

إنَّ المتصدِّي لتفسير القرآن الكريم لا يمكنه الاستغناء عن تفسيرهم عليهم السلام لما فيه من سمات أصيلة لفهم كتاب الله، أبرزها تفسير القرآن بالقرآن، والقول بسلامة القرآن من التَّحريف وغيرها من المبادئ الأساسية لإدراك معاني الكتاب الكريم .

وإمامنا الجواد عليه السلام هو واحد من تلك الكوكبة، لا يمكن الاستغناء عمّا وصَلَنا عنه في التَّفسير، وهو كثير جداً لو استُخرج من مظانه، وجمع شتاته .

ومن أمثلة تفسيره عليه السلام، ما نقله الكليني في الكافي بسنده عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري الذي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام سائلاً عن معنى: (لا تُدرِكُهُ الاَبصَارُ وهو يُدرِكُ الاَبصارَ)[٢] .

فقال عليه السلام: « يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السّند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟ !» [٣] .

ونقل شيخ الطَّائفة في تهذيبه، بسنده عن السيد (عبدالعظيم بن عبدالله الحسني، عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام أنّه قال: سألته عمّا أُهلّ لغير الله . قال: « ما ذُبح لصنم أو وثن أو شجر، حرّم الله ذلك كما حرّم الميتة

---

(١) الحديث روي في العديد من المصادر التي لا يمكن حصرها هنا نذكر منها : صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ / ٢٤٠٨ . ومسند أحمد ٥ : ١٨٩ . وسنن الدارمي ٢ : ٤٣١ ـ ٤٣٢ . ومصنّف ابن أبي شيبة ١١ : ٤٥٢ / ١١٧٢٥ . وصحيح الترمذي ٥ : ٦٦٢ / ٣٧٨٦ . وللمزيد راجع : دفاع عن الكافي / ثامر العميدي ١ : ١٤٤ ـ ١٥٣.

(٢) سورة الأنعام : ٦ / ١٠٣ .

(٣) أُصول الكافي ١ : ٩٩ / ١١ .

والدم ولحم الخنزير (فَمن اضطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه)[١] أن يأكل الميتة» . قال: فقلت له: يا ابن رسول الله، متى تحلّ للمضطر الميتة؟ فقال: «حدّثني أبي عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل فقيل له: يا رسول الله إنَّا نكون بأرض فتصيبنا المخمصة، فمتى تحلُّ لنا الميتة؟ قال: ما لم تصطبحوا أو تغتبقوا أو تحتفوا بقلاً، فشأنكم بهذا» .

قال عبدالعظيم: فقلت له: يا ابن رسول الله فما معنى قوله عزَّ وجلَّ: (فَمنِ اضطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ)؟ قال: « العادي: السارق، والباغي: الذي يبغي الصيد بطراً ولهواً؛ ليعود به على عياله، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرّا، هي حرام عليهما في حال الاضطرار كما هي حرام عليهما في حال الاختيار، وليس لهما أن يقصّرا في صوم ولا صلاة في سفر» .

قال: قلت له: فقول الله تعالى: (والمنخَنِقَةُ والموقُوذَةُ والمتردِّيةُ والنَّطيحَةُ وما أكلَ السَّبُعُ إلاَّ ما ذكَّيتُم)[٢] . قال: « المنخنقة: التي انخنقت بأخناقها حتى تموت. والموقوذة: التي مرضت ووقذها المرض حتى لم تكن بها حركة. والمتردّية: التي تتردّى من مكان مرتفع إلى أسفل أو تتردّى من جبل أو في بئر فتموت . والنَّطيحة: التي تنطحها بهيمة أُخرى فتموت. وما أكل السبع منه فمات . وما ذُبح على حجر أو على صنم، إلاّ ما أُدركت ذكاته فذُكي» .

قلت: (وأن تستقسمُوا بالاَزلامِ)؟ قال: « كانوا في الجاهلية يشترون بعيراً فيما بين عشرة أنفس، ويستقسمون عليه بالقداح، وكانت عشرة، سبعة لهم أنصباء وثلاثة لا أنصباء لها. أما التي لها أنصباء: فالفذّ، والتوأم، والنافس، والحِلس، والمسبل، والمعلّى، والرقيب[٣]. وأما التي لا أنصباء لها: فالسفح، والمنيح، والوغد . وكانوا يجيلون السهام بين عشرة، فمن خرج باسمه سهم من التي لا أنصباء لها أُلزم ثلث ثمن البعير، فلا يزالون كذلك حتى تقع السهام التي لا أنصباء لها إلى ثلاثة، فيُلزم ثمن البعير، ثم ينحرونه ويأكل السبعة الذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا منه الثلاثة شيئاً. فلمّا جاء الإسلام حرّم الله تعالى ذكره ذلك فيما حرّم، وقال: (وأن تستَقسِمُوا بالاَزلامِ ذلِكُم فسقٌ) يعني حراماً»[٤] .

دوره في ترسيخ العقائد الإسلامية:

(١) سورة المائدة : ٥ / ٣ .
(٢) سورة البقرة : ٢ / ١٧٣ .
(٣) وقيل في ترتيبها غير ذلك .
(٤) تهذيب الأحكام ٩ : ٨٣ / ٣٥٤ .

في هذا المقطع التاريخي الذي عاصره الإمام الجواد عليه السلام كانت حمّى ظهور المذاهب الكلامية والعقائدية تأخذ بالانتشار هنا وهناك، يساعد على ذلك توجه الحاكم نفسه إلى اللعب بالورقة المذهبية من جهة وظهور طبقة من وعّاظ السَّلاطين نظّمت نفسها وكيّفتها على نمط خاص للدخول في إكمام السلطان والعيش تحت سلطانهم، قانعين بما ينالهم من نتانة الموقع، مقابل أن لا يُحرموا من بذخ القصور، ودعة العيش، وفاخر الثِّياب، وبدر الدّراهم .وتموج الأُمّة في ضلال تيّارات عقيدية وفكرية عديدة فمن مشبّهة إلى معطّلة إلى مجبرة إلى غير ذلك من العقائد الباطلة والدّعاوى المنحرفة، التي أثيرت في عصره عليه السلام، ممّا لا تتّسع له صفحاتنا هذه، وكان للإمام الجواد عليه السلام دور بارز في ترسيخ العقائد الإسلامية والدِّفاع عنها، وتصحيح معتقدات الناس ممّا قد يخطر في أذهانهم من تصوّرات خاطئة حول أُصول الاعتقاد .

التَّوحيد والصِّفات:

فعندما يُسأل من قبل عبدالرحمن بن أبي نجران عن التَّوحيد حين قال له: أتوهّم شيئاً؟

أجابه الإمام عليه السلام من فوره: « نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء، ولا تدركه الأوهام .

كيف تُدركه الأوهام وهو خلاف ما يُعقل، وخلاف ما يُتصوّر في الأوهام؟ إنّما يتوهّم شيء غير معقول ولا محدود»[١] .

ويُسأل الإمام عليه السلام أيضاً عن الباري تبارك وتعالى أنَّه يجوز أن يقال له: إنّه شيء؟

(قال: « نعم، يُخرجه من الحدَّين: حدّ التَّعطيل، وحدّ التَّشبيه»)[٢] .

وفي الكافي أيضاً أنَّ عبدالرحمن بن أبي نجران كتب إلى أبي جعفر عليه السلام أو سأله قائلاً: (جعلني الله فداك، نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد الصّمد؟

فقال: « إنّ من عبد الاسم دون المسمّى بالأسماء أشرك وكفر وجحد، ولم يعبد شيئاً، بل اعبُد الله الواحد الأحد الصّمد المسمّى بهذه الأسماء، دون الأسماء . إنّ الأسماء صفات وصف بها نفسه»)[٣] .

وفي إطار الأسماء والصّفات لله تبارك وتعالى، يسأله داود بن القاسم أبو هاشم الجعفري عن معنى الواحد

---

(١) أُصول الكافي/ ١: ٨٢/ ١ .
(٢) المصدر نفسه/ ١: ٨٢/ ٢ .
(٣) المصدر نفسه/ ١: ٨٧/ ٣ .

. فيجيبه الإمام عليه السلام قائلاً: « إجماع الألسن عليه بالوحدانية، كقوله تعالى: (ولئن سألتَهُم من خَلَقَهُم ليقولُنَّ الله)»[١] .

وروى داود بن القاسم أبو هاشم الجعفري أنّ رجلاً ناظر الإمام الجواد عليه السلام في أسماء الله -تعالى- وصفاته، فقال: (كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الربِّ تبارك وتعالى، له أسماء وصفات في كتابه؟ وأسماؤه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: « إنّ لهذا الكلام وجهين:

إن كنت تقول: هي هو، أي أنَّه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك .

وإن كنت تقول: هذه الصِّفات والأسماء لم تزل فإنّ (لم تزل) محتمل معنيين: فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها، فنعم .

وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها ـ أي الأسماء ـ وسيلة بينه وبين خلقه يتضرّعون بها إليه، ويعبدونه وهي ذكره .

وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصِّفات مخلوقات . والمعاني والمعنيُّ بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف وإنَّما يختلف ويأتلف المتجزّئ، فلا يقال: الله مؤتلف، ولا: الله قليل، ولا كثير، ولكنه القديم في ذاته؛ لأنَّ ما سوى الواحد متجزّئ، والله واحد لا متجزئ، ولا متوهّم بالقلّة والكثرة، وكلّ متجزّئ أو متوهّم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دالٌّ على خالقٍ له .

فقولك: (إنّ الله قدير)، خبّرت أنَّه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز سواه . وكذلك قولك: (عالم)، إنَّما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل سواه. وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتّقطيع، ولا يزال من لم يزل عالماً» .

فقال الرّجل: فكيف سمّينا ربّنا سميعاً؟

فقال الإمام: « لأنَّه لا يخفى عليه ما يُدرك بالأسماع، ولم نصفه بالسَّمع المعقول في الرَّأس، وكذلك سمّيناه بصيراً؛ لأنَّه لا يخفى عليه ما يُدرك بالأبصار . من لون أو شخص أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر لحظة العين.

---

(١) أُصول الكافي ١: ١١٨ / ١٢ . والآية من سورة الزخرف: ٤٣ / ٨٧ .

وكذلك سمّيناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك، وموضع النّشوء منها، والعقل والشَّهوة للسفاد والحدب على نسلها، وإقام بعضها على بعض، ونقلها الطَّعام والشَّراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار . فعلمنا أنَّ خالقها لطيف بلا كيف، وإنَّما الكيفية للمخلوق المكيّف .

وكذلك سمَّينا ربَّنا قويّاً لا بقوّة البطش المعروف من المخلوق، ولو كانت قوَّته قوَّة البطش المعروف من المخلوق لوقع التَّشبيه ولاحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النّقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم، وما كان غير قديم كان عاجزاً .

فربّنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضدّ، ولا ندّ، ولا كيف، ولا نهاية، ولا تبصار بصر . ومحرّم على القلوب أن تُمثّله، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الضَّمائر أن تكوّنه جلّ وعزّ عن أداة خلقه، وسمات بريّته، وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً» [١].

الفرق المنحرفة:

في رجال الكشي عن علي بن مهزيار قال: (سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول ـ وقد ذُكر عنده أبو الخطّاب [٢]: « لعن الله أبا الخطّاب، ولعن أصحابه، ولعن الشَّاكّين في لعنه، ولعن من وقف فيه، وشك فيه . . .»[٣] .

وبالإضافة إلى لعن الإمام عليه السلام لأبي الخطّاب وأصحابه، فإنّه عليه السلام وقف موقفاً حاسماً من الفرقة الواقفية وغيرها . فقد أورد الكشي بسنده عن محمد بن رجاء الحنّاط، عن محمد بن علي الرضا عليه السلام أنَّه قال: « الواقفة حمير الشّيعة» .

ثم تلا قوله تعالى: (إنْ هُم إلاّ كالأنعام بل هُم أضَلُّ سبيلاً)[٤].

كما تجلّى موقفه الحاسم هذا في نهيه عن التَّعامل مع الفطحية والواقفة ولم يجوّز الصلاة خلف أحدهم[٥].

---

(١) أُصول الكافي ١: ١١٦ / ٧ . وراجع: التوحيد / الصدوق: ١٩٣ .

(٢) أبو الخطّاب: هو محمد بن أبي زينب مقلاص الأسدي الكوفي الأجدع . كان في بادئ أمره من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، ثم انحرف عن خط أهل البيت عليهم السلام، بل وعن الدين، فأخذ ينسب أباطيله وعقائده الفاسدة إلى الإمام الصادق عليه السلام كذباً وزوراً، وتبعه عدد من المضلّلين والنفعيين حتى شكّلوا فرقة سمّيت فيما بعد بالخطّابية . أظهروا كثيراً من البدع والضلالات والإباحات، حتى وصل بهم الأمر إلى الدعوة إلى نبوّة أبي الخطاب . بعث إليهم والي المدينة جيشاً ـ بعد أن استفحل أمرهم ـ فقاتلوهم حتى أبادوهم عن آخرهم إلاّ رجلاً واحداً منهم نجا من القتل .

(٣) اختيار معرفة الرجال: ٥٢٨ / ١٠١٢ .

(٤) سورة الفرقان: ٢٥ / ٤٤ .

(٥) راجع: تهذيب الأحكام ٣: ٢٨ / ٩٨ .

توظيف المعجزة والكرامة في الهداية والإرشاد:

الحدث المعجز إنّما يجريه الله – سبحانه وتعالى– على يد أنبيائه ورسله أو أوصيائهم؛ للتدليل على أنَّ النبي المرسل أو الوصي المختار مرتبط بالسَّماء بشكل أو بآخر، وأنَّ المعجزة ـ وهي أمر خارق للعادة الطبيعية ـ هي تأييد لدعوى النبي بأنّه ينطق عن السَّماء، وأنَّ ما يأتي به من تعاليم إنّما تصدر عن الله تبارك وتعالى؛ وتأييد لدعوى الوصي أو الإمام المعصوم أيضاً بأنَّه يتّصل بالنّبوة التي هي بدورها من مختصَّات السَّماء .

ولقد وظّف أئمة أهل البيت عليهم السلام المعاجز والكرامات التي كانت تجري على أيديهم في استقطاب أفراد الأُمّة حول محور الإمامة، ثم إرشادهم وهدايتهم نحو المسار الصَّحيح .

ومن ذلك، الخبر الذي يبيّن بجلاء توظيف الإمام عليه السلام للمعجزة في هداية الناس إلى طريق الحق، وإلفات نظرهم إلى عظيم منزلة أئمة أهل البيت عليهم السلام عند الله سبحانه . فقد جاء عن علي بن خالد، قال: كنت بالعسكر، فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أُتي به من ناحية الشام مكبولاً، وقالوا: إنّه تنبّأ [1].

قال: فأتيت الباب وداريت البوّابين حتى وصلت إليه، فإذا رجل له فهم وعقل، فقلت له: يا هذا ما قصّتك؟

فقال: إنّي كنت رجلاً بالشام أعبد الله في الموضع الذي يقال إنّه نُصب فيه رأس الحسين عليه السلام فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبلٌ على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يديّ، فنظرت إليه . فقال لي: قم، فقمت معه فمشى بي قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة، قال: فصلّى فصلّيت معه ثم انصرف وانصرفت معه، فمشى قليلاً فإذا نحن بمسجد الرَّسول صلى الله عليه وآله فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله وصلّى وصلّيت معه، ثم خرج وخرجت معه فمشى قليلاً فإذا أنا بمكّة، فطاف بالبيت وطفت معه، ثم خرج فمشى قليلاً فإذا أنا بموضعي الذي كنت أعبد الله تعالى فيه بالشام، وغاب الشَّخص عن عيني، فبقيت متعجّباً حولاً مما رأيت .

فلما كان في العام المقبل رأيت ذلك الشَّخص فاستبشرت به، ودعاني فأجبته، ففعل كما فعل في العام الماضي، فلمّا أراد مفارقتي بالشام قلت له: سألتك بحقِّ الذي أقدرك على ما رأيت منك إلاّ أخبرتني من أنت؟

فقال: « أنا محمد بن علي بن موسى بن جعفر» .

فحدّثتُ من كان يصير إليّ بخبره، فرقي ذلك إلى محمد بن عبدالملك الزيّات، فبعث إليّ فأخذني وكبلني في الحديد وحملني إلى العراق وحبست كما ترى، وادُّعي عليَّ المحال .

---

(١) تنبأ أي ادّعى النبوة .

فقلت له: فأرفع عنك قصة إلى محمد بن عبدالملك الزيّات .

فقال: اِفعل .

فكتبت عنه قصة شرحت أمره فيها ورفعتها إلى محمد بن عبدالملك الزيّات، فوقّع في ظهرها: قل للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة ومن الكوفة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة وردَّك من مكة إلى الشام، أن يخرجك من حبسك هذا .

قال علي بن خالد: فغمني ذلك من أمره ورققت له وانصرفت محزوناً عليه، فلما كان من الغد باكرت الحبس لأعلمه بالحال وآمره بالصبر والعزاء، فوجدت الجند وأصحاب الحرس وأصحاب السّجن وخلقاً عظيماً من الناس يهرعون، فسألت عن حالهم فقيل لي: المحمول من الشام المتنبي افتقد البارحة من الحبس، فلا يُدرى أخُسِفت به الأرض أو اختطفته الطَّير !

وكان هذا الرجل ـ أعني علي بن خالد ـ زيديّاً، فقال بالإمامة لمّا رأى ذلك وحسُنَ اعتقاده[١] .

وروي عن القاسم بن المحسن[٢]، قال: كنت فيما بين مكّة والمدينة فمرَّ بي أعرابي ضعيف الحال، فسألني شيئاً فرحمته وأخرجت له رغيفاً فناولته إياه، فلمَّا مضى عنِّي هبّت ريح شديدة ـ زوبعة ـ فذهبت بعمامتي من رأسي، فلم أرها كيف ذهبت؟ وأين مرّت؟ فلمَّا دخلت على أبي جعفر بن الرضا عليه السلام، فقال لي: « يا قاسم ! ذهبت عمامتك في الطّريق؟» .

قلت: نعم .

قال: « يا غلام أخرج إليه عمامته»، فأخرج إليَّ عمامتي بعينها، قلت:

يا ابن رسول الله ! كيف صارت إليك؟

قال: « تصدقت على الاعرابي، فشكر الله لك، وردّ عمامتك، وأنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين»[٣] .

ونقل الاربلي عن القاسم بن عبدالرحمن ـ وكان زيديّاً ـ قال: خرجت إلى بغداد فبينا أنا بها إذ رأيت الناس يتعاودون ويتشرّفون ويقفون قلت: ما هذا؟ فقالوا: ابن الرضا، ابن الرضا .

---

(١) الإرشاد ٢: ٢٨٩ ـ ٢٩١ . وراجع: دلائل الإمامة: ٢٠٥ / ٣٦٦ . وإعلام الورى: ٣٤٧ . وكشف الغمة ٣: ١٤٩ .

(٢) الظاهر أنّه: القاسم بن الحسن البزنطي، إذ لا وجود للقاسم بن المحسن في كتب الرجال .

(٣) كشف الغمة ٣: ١٥٩ ـ ١٦٠ .

فقلت: والله لأنظرنّ إليه، فطلع على بغل ـ أو بغلة ـ فقلت: لعن الله أصحاب الإمامة حيث يقولون إنّ الله افترض طاعة هذا .

فعدل إليَّ وقال: « يا قاسم بن عبدالرحمن (أَبَشَراً منّا واحداً نتّبِعُهُ إنّا إذاً لفي ضلالٍ وسُعرٍ) »[١] .

فقلت في نفسي: ساحر والله .

فعدل إليَّ فقال: « (أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ)»[٢] .

قال: فانصرفت وقلت بالإمامة، وشهدت أنَّه حجة الله على خلقه واعتقدت[٣] .

دوره في التَّربية الأخلاقية والاجتماعية:

إنّ دور الإمام عليه السلام في المجتمع هو دور الأنبياء والرسل عليهم السلام، يتمثَّل في بناء وصياغة الإنسان الأنموذج؛ لأنَّ النبي أو الإمام هو شاهد منتخب من قبل عالم الغيب، ويتحمّل في عالم الشَّهادة مسؤولية تأسيس أُمّة صالحة من الدَّاخل، بعد أن يغرس في أعماقها كلّ المعاني والمُثُل والقيم الفاضلة، ثم قيادتها وفق الأوامر الإلهية، للوصول إلى المجتمع التَّوحيدي المتكامل .

ومن خلال استقراء منهج الأنبياء والرّسل في قيادة البشرية وهدايتها عبر سلسلتهم الطَّويلة الممتدّة منذ بدء الخليقة المتمثّلة بالإنسان الأول، والذي كان نبياً أيضاً، وحتّى الرسالة الخاتمة المتمثِّلة بأشرف الأنبياء والرّسل صلى الله عليه وآله وسلم، وهو خاتمهم، نجد أنّ هذا المنهج يعتبر الإنسان محور حركته . . .

الإنسان لا كعقل مجرَّد، بل الإنسان صاحب العقل والرُّوح والأحاسيس والمشاعر . . الإنسان صاحب القلب والعواطف . .

وعليه فمشروع الأنبياء عليهم السلام وأوصيائهم ـ وخاتمتهم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام في صياغة الإنسان وتربيته وصنعه، يتم من خلال التَّعامل مع تلك المقوّمات الإنسانية التي ذكرنا بشكل عاطفي وعملي، وليس كالفلاسفة الذين يتعاملون ويتجاذبون مع العقول المجرَّدة .

---

(١) سورة القمر: ٥٤ / ٢٤ .

(٢) سورة القمر: ٥٤ / ٢٥ .

(٣) كشف الغمة ٣/ ١٥٠ .

ونستعرض هنا بعض المرويّات عن إمامنا جواد الأئمة عليه السلام والتي تكشف لنا كيفية توعيته لأصحابه وشيعته وعموم الأُمّة وإرشادهم إلى السلوك الإيماني القويم ومن ذلك؛ الخبر الذي أورده ابن شعبة في تحف العقول حيث نقل أنَّ أبا هاشم الجعفري قال للإمام أبي جعفر عليه السلام في يوم تزوّج أُم الفضل ابنة المأمون: (يا مولاي لقد عظمت علينا بركة هذا اليوم .

فقال عليه السلام: « يا أبا هاشم ! عظمت بركات الله علينا فيه» .

قلت: نعم يا مولاي، فما أقول في اليوم .

فقال عليه السلام: « تقول فيه خيراً فإنّه يصيبك» .

قلت: يا مولاي أفعل هذا ولا أخالفه .

قال عليه السلام: « إذاً ترشد ولا ترى إلاّ خيراً»)[1] .

ومن ذلك أيضاً الخبر المروي في تهذيب شيخ الطائفة -قدّس سره- بسنده عن أبي ثمامة قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: إنّي أُريد أن ألزم مكة أو المدينة، وعليّ دين، فما تقول؟

فقال عليه السلام: « اِرجع إلى مؤدّي دينك وأُنظر أن تلقى الله عزَّ وجلَّ وليس عليك دين، إنَّ المؤمن لا يخون» [2].

وفي الكافي أورد عن ابن مهران، قال: كتب أبو جعفر الثَّاني عليه السلام إلى رجل: « ذكرت مصيبتك بعلي ابنك، وذكرتَ أنَّه كان أحبّ ولدك إليك، وكذلك الله عزَّ وجلَّ إنَّما يأخذ من الولد وغيره أزكى ما عند أهله؛ ليعظم به أجر المصاب بالمصيبة . فأعظم الله أجرك، وأحسن عزاك، وربط على قلبك، إنّه قدير، وعجّل الله عليك بالخلف، وأرجو أن يكون الله قد فعل إن شاء الله تعالى»[3] .

وحدّث الشَّيخ الصّدوق عن أبيه قوله: (حدثني سعد بن عبدالله، عن الهيثم بن أبي مسروق النهدي، عن اسماعيل بن سهل، قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام علّمني شيئاً إذا أنا قلته كنت معكم في الدنيا والآخرة .

قال: فكتب بخطّه أعرفه: « أكثر من تلاوة (إنّا أنزلناه) ورطّب شفتيك بالاستغفار»[4] .

---

(٢) تهذيب الأحكام ٦: ١٨٤ / ٣٨٢ .

(٣) الفروع من الكافي ٣/ ٢٠٥ . .

(٤) ثواب الأعمال/ ١٦٥ .

رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا
وللمؤمنين والمؤمنات

نبراس العدالة

السيد كريم الموسوي

سلك أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ مسلكاً في العدل والعدالة لم يسلكه من قبل ومن بعد أحد غيره ما خلا الأنبياء والأوصياء (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فكان - صلوات الله عليه - لا يخشى في الله لومة لائم، بل كان يرعى الله-تعالى- ومصلحة الإسلام والمسلمين ويقدمهما على كلِّ شيء، حتى لو كانت فيها عليه مشقّة خاصة، أليس هو القائل لما عزموا على بيعة عثمان: " لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهِ لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً؛ الْتِمَاساً لأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ"(١).

فهو - صلوات الله عليه- لا يرى في الخلافة إلَّا وسيلة لتطبيق عدالة الإسلام لكي يرفل الجميع بالعدل والأمان والمساواة، فالكل عنده سواء، أسودهم وأحمرهم، عربيهم وأعجميهم، سيّدهم ومولاهم، لا فضل لأحدهم إلا بسابقة أو دين، أليس هو القائل: " الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ اللهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا للهِ أَمْرَهُ"(٢).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧٤.

(٢) المصدر نفسه: الخطبة ٣٧.

هذا هو علي عليه السلام في عدله ومساواته.

ومن للعدالة غير علي عليه السلام ؟

وهل عرفت العدالة شخصاً كعلي عليه السلام ؟

وهل طبقت العدالة إلا في حكومة علي عليه السلام ؟

ونحن إذا أردنا أن نستعرض عدل الإمام علي عليه السلام وعدالته لسوف يطول بنا المقام، ولا نقر على قرار. فقد عمّ عدله القريب والبعيد، والمخالف والمؤالف، والصَّديق والعدو، والمسلم وغير المسلم، والإنسان والحيوان، أليس هو القائل: (وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ)[1].

إنَّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام لا يريد أن يعيش للدنيا؛ لأنَّ الدنيا في عينه أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لـه ولنعيم يفنى ولذَّة لا تبقى. فقد عرف – صلوات الله عليه – حقيقة الدّنيا حقّ المعرفة، فطلَّقها ثلاثاً لا رجعة لـه فيها، ولو أراد أن يعيش للدنيا لاهتدى إلى مصفّى العسل، ولباب القمح، ونسائج القز.

هيهات هيهات أن يكون علي عليه السلام كذلك، يأبى الله لـه ذلك ورسوله صلى الله عليه وآله والمؤمنون، فعلي عليه السلام هو الذي اكتفى بالملح الجريش أداماً، وبالماء القراح شراباً، أراد أن يعيش للآخرة لتأتي نفسه آمنة مطمئنة يوم الفزع الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق، وليبقى كما أراد الله – تعالى– لـه علماً ومناراً، يهتدي به السّائرون إلى الله. فقد عرف – صلوات الله عليه – حقيقة الآخرة، وخبر أهوالها وعقباتها، فكان نافذ البصيرة، أليس هو القائل: "لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً"[2].

أي غطاء يكشف لعلي عليه السلام وهو الذي أخبر عن تخوم الأرض بما ضمّت، وأعنان السَّماء وما حوت، وعن الجنّة ونعيمها، وعن جهنّم وعذابها. فهو إنَّما أراد إخبارنا بأنَّ السَّفر طويل، وأنَّ زادنا لقليل، وأنَّ أفضل زاد الرّاحل إلى الله عزوجل هو التَّقوى، وعزم إرادة يختار الله بها.

إنَّ الإمام عليًا عليه السلام أراد بهذا المسلك الرّوحاني الذي سلكه، فضيَّق به على نفسه، أن يثبت قواعد العدل الاجتماعي، وبناء المجتمع الفاضل والعادل الذي سعى لبنائه الأنبياء وأوصياؤهم (صلوات الله وسلامه عليهم

(١)نهج البلاغة:: الخطبة ٢٢٤.

(٢) المناقب: ج٢/ ص٣٨.

أجمعين). فيقطف الناس ثمرة الرّسالات الإلهية والعدالة التي جاءت من أجل البشر وسعادتهم في الدّنيا والآخرة.

لقد ورد في الحديث الشَّريف المروي عن رسول الله ﷺ، والذي فاضت به كتب الفريقين، قوله ﷺ: " النّظر إلى وجه علي عبادة" وأي عبادة هي، إنَّها والله من أعظم العبادات وأجل القربات، لكن ألا يعتبر النَّظر في هدي علي عليه السلام وسيرته عبادة!! ألا يعتبر النَّظر في عدل علي عليه السلام وعدالته عبادة!! ألا يعتبر التَّطلّع إلى رأي علي عليه السلام وفكره عبادة!.

نعم كل ذلك عبادة، ومن أفضلها، من هنا أضحى النَّظر إلى علي عليه السلام عبادة فهل هناك من سر أُخفي في علي عليه السلام حتى عاد النَّظر إليه عبادة؟!

إنَّ المخبر بذلك هو رسول الله ﷺ، والرَّسول ﷺ كما يقول عنه الله -تعالى- في محكم كتابه وشريف خطابه: (مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)[1]، فكل شيء في الإمام علي عليه السلام يُذكّر بالله -تعالى-، إن غضب فإنَّما يغضب لله، وإن رضا فإنَّما يرضى لله، وإن تكلَّم فإنَّما يتكلَّم لله، وإن صال فإنَّما يصول لله، وإن أمسك فإنَّما يمسك لله، وإن أفتى فإنَّما يفتي لله، وإن حكم فإنَّما يحكم لله، وهكذا فعلي عليه السلام كرسول الله ﷺ، يحذو حذوه، ويسير على نهجه، ويقول بقوله، ويفعل فعله، ويضع قدمه على أثر قدمه، لا يزيغ عنه قيد أنملة، بل هو نفس رسول الله ﷺ بنص القرآن المجيد[2].

وهل يشك أحد بأنَّ النَّظر إلى رسول الله ﷺ عبادة؟! فكذلك هو علي عليه السلام، وهل يشك أحد بأنَّ كل شيء في رسول الله ﷺ يُذكّر بالله؟! فكذلك هو علي عليه السلام. وحريّ بنا الآن ونحن نعيش أزمة في أثر أزمة، أن ننظر في هدي علي عليه السلام وسيرته، وأن نقتفي عدل علي عليه السلام واستقامته، وأن نأخذ برأي علي عليه السلام وفكره، فهو السَّبيل الأمثل والطَّريق الأقوم لغدٍ آمنٍ مطمئنٍّ في الدنيا والآخرة. فمن أراد أن يحيا حياة رسول الله ﷺ، ويموت ميتة رسول الله ﷺ، وأن يسكن جنَّة عدنٍ وعدها الله رسوله ﷺ، وأن يمسك بالقضيب الذي غرسه الله بيده، وقال: كن فكان، فليقتدِ بعلي بن أبي طالب عليه السلام، وليهتدِ بهداه، كما قال الإمام علي عليه السلام: " أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ" [3].

---

(١) سورة النجم: ٣ - ٥.

(٢) راجع قوله تعالى في سورة آل عمران الآية: ٦١: (وأنفسنا وأنفسكم).

(٣) نهج البلاغة: الرسائل ٤٥.

ثمّ إنَّ أركان الإسلام كثيرة، فكيف أصبحت الصَّلاة والصَّوم والزّكاة والحجّ والولاية من أركان الإسلام دون البقيّة؟!.

إنَّ لذلك فلسفة تفصيلية، ونحن نكتفي بالإشارة إليها فقط:

فلسفة الأحكام

إنَّ الصَّلاة ارتباط بالله-تعالى-، والصَّوم وقف للنفس وكفّها عن المفطرات، والزَّكاة تمرين على العطاء من أجل بناء المجتمع، فالمجتمع فيه الفقير والمحتاج، وهو بحاجة إلى العديد من المشاريع كالطّرق والجسور، والمستشفيات والمستوصفات، وكلُّ هذه بحاجة إلى المال لإدارتها والزّكاة تؤمن جانبًا منه.

أمَّا الحج فهو المؤتمر العالمي للمسلمين، ليجتمعوا مع بعضهم البعض، ويبحثوا مشاكل الأمَّة الإسلاميّة فيما بينهم، كي يصلوا إلى التَّنسيق ووحدة الموقف.

إذًا قسم من هذه الأركان يتعلّق بالله-تعالى- وهو الصَّلاة، وقسم آخر بالنَّفس ويطلق عليه الصَّوم، وقسم يتعلَّق ببناء المجتمع واقتصاد بلاد الإسلام وهو الزَّكاة. وقسم يتعلّق بوحدة المسلمين، إذ يقدم المسلمون من الآفاق البعيدة ويجتمعون ليبحثوا مشكلاتهم، فهذه أربعة.

أما الركن الخامس وهو أهمّها: الولاية. يقول ﷺ: "ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية"، والولاية تعني: القيادة. ومن الواضح أنَّ أهمّ أركان المجتمع هي القيادة، فإنَّها أهم من الصَّلاة والصَّوم والحج والزَّكاة؛ لأنَّ القيادة الشَّرعية هي التي تأخذ بأيدي الناس إلى سعادة الدنيا والآخرة وتُحافظ على الصَّلاة والصَّوم والزّكاة والحج، أمَّا القيادات غير الشَّرعية فتوجب البؤس والشَّقاء وتوجب ضياع الصّلاة والصّوم والزّكاة والحج، ومن هنا ورد في زيارة أمير المؤمنين ﷺ " أشهد أنَّك قد أقمت الصَّلاة وآتيت الزّكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر"[١].

وهكذا في زيارة الإمام الحسين ﷺ[٢]، وزيارة الإمام الرضا ﷺ[٣].

---

(١) الكافي: ج٤/ ص٥٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ج٤/ ص٥٧٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٢/ ص١٠٤.

إنَّ القيادة الحقيقية هي لله -تعالى-، والرَّسول ﷺ، والإمام المعصوم عليه السلام، وفي زمن الغيبة لنواب الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وهم الفقهاء العدول، والذين تختارهم الأمَّة بكامل حرّيّتها.

وأمَّا إذا كانت القيادة غير شرعية، ولم تكن الولاية للرسول ﷺ، ولا الإمام المعصوم عليه السلام، ولا نوّاب الإمام عليه السلام ـ وهم الفقهاء العدول ـ فإنَّ المسير سيكون معوجاً وغير مستقيم.

ضرورة النِّظام

إنَّ المجتمع بحاجة إلى النِّظام، وإلا فستسوده الفوضى، وهذا لا يختصّ بالمجتمع الكبير بل يشمل حتَّى الصَّغير أيضًا أي العائلة. فالمنزل الذي يضم أسرة مكوَّنة من الوالدين والأبناء، وتتوفَّر فيه كافَّة الوسائل المنزلية، لكن لا قيادة ولا نظام فيه، هو منزل فاشل، إذ رب المنزل لا يتمكّن من أداء مسؤوليته، وربة البيت لا تقوم بواجباتها.

فأين موقع الخلل؟!

الخلل في إدارة البيت وقيادته.

إنَّ الولاية هي الإدارة بعينها، يعني: الإدارة الصَّحيحة والنَّظيفة، والقيادة الشَّرعيّة، فبدونها لا يستقيم شيء من أمور الدِّين والدُّنيا.

الولاية = القيادة

الولاية تعني القيادة وتعني الإدارة. فالشَّخص الذي يمسك بمقود السَّيّارة إذا لم يكن مؤهّلاً لها فقيادته تؤدّي إلى هلاك نفسه وهلاك الرّكاب في كثير من الأحيان.

فإذا كانت السّيّارة حديثة، وفيها من الوقود الكافي، والطَّريق مُعبَّد بشكلٍ جيّدٍ، والجو معتدل، لكن السَّائق الذي أخذ بزمام القيادة كان شخصاً غير منظم وغير مؤهّل، فما الذي سيحل بهذه السّيّارة وبركَّابها؟!

هكذا الأمر في قيادة الأمة، فإنَّها تنجر نحو التّأخّر والضّياع إذا كانت القيادة غير شرعيّة.

المقصود بآية الولاية

قال المفسِّرون من الفريقين: إنَّ قوله – تعالى-: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[١]، نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام في قصَّة مشهورة[٢].

وهذه الآية تحصر الولاية والقيادة في الله -عزوجل-، ثم الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ثم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد بلّغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله في قِصَّة الغدير المتواترة وفي غيرها، وهذه الولاية يعترف بها جميع المسلمين. فالمسلمون في العالم نصفهم يقولون: بأنَّ الولاية بعد النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام بلا فصل. أمّا النّصف الثَّاني من المسلمين فيقولون: بأنَّ هذه الولاية تصله بعد ثلاثة، لكن الجميع يعترفون بذلك، يعني أنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام هو الولي والخليفة، وهو القائد الشَّرعي للأمَّة الإسلامية.

في مدرسة علي عليه السلام علينا أن نتعلَّم من أمير المؤمنين عليه السلام كيفية العمل؟!

كيفية العبادة؟!

كيفية الطَّاعة؟!

كيفية الأخلاق؟!

كيفية الآداب؟!

كيفية الحكم؟!

كيفية الإدارة؟!

وكيفية العدالة؟!

فأمير المؤمنين عليه السلام كان هكذا، يدير الحرب والسّلم، ويقيم الجمعة والجماعة، ويدير البلاد والعباد، وكان صاحب عائلة، وكان معلِّماً، وكان خطيباً، وكان قائداً، وكان حاكماً، وفي كلّها كان عادلًا، فهو عليه السلام حجّة لنا في جميع ذلك.

(١) سورة المائدة: ٥٥.

(٢)راجع تفسير العياشي: ج١/ ص٣٢٧.

نحن يلزمنا أن نتعلّم كل هذه الأمور من أمير المؤمنين عليه السلام بالقدر الذي يمكننا ويسعنا تطبيقه. فقد يقول الشَّخص: أنا لا يمكنني أن أتعامل بالشَّكل الذي يمكنك أنت، فالقدح الصَّغير لا يمكنه أن يشغل بقدر ما يشغله القدح الكبير ولا أكثر منه، فإذا كان الكبير يستوعب مائة لتر من الحليب، والصَّغير لا يستوعب إلَّا لتراً واحداً لا يراد من القدح الصّغير أن يستوعب المائة.

ولكن القدح الصَّغير قد يملؤه الماء، وقد يملؤه الحليب، وقد يملؤه الخمر نعوذ بالله، والمفروض أن لا يُملأ القدح الصَّغير إلا بمثل ما يُملأ به القدح الكبير، وهكذا نحن بالنسبة إلى الأئمة عليهم السلام، علينا أن نتعلم منهم وإن كُنَّا لا نتمكّن من الوصول إلى مقامهم، أمّا إذا خالفناهم فيعني أنَّنا لم نأخذ بسيرتهم.

نحن لا يمكننا مثلاً استيعاب ألف لتر من الحليب لأنَّنا صغار، قال تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا)[1]، ولكن أما يمكن للقدح الصَّغير والقدح الكبير أن يكونا متشابهين فكلاهما فيه حليب مثلًا.

إنَّ من يتَّبع فرعون يكون كفرعون، وتابع يزيد كيزيد، كلاهما يشرب الخمر، وكلاهما يلعب القمار، وكلاهما دكتاتور وظالم، فهذان الاثنان في مسير واحد، إلا أنَّ فرعون ويزيد ذنبه أكثر وأعظم وهذا أقل.

نحن وأمير المؤمنين عليه السلام

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام في قِمَّة العبودية لله -عزوجل-، فكان يصلّي ألف ركعة في ليلة واحدة، أمَّا نحن فمصلّون عاديون، وهنا يكمن الفرق في الارتفاع والانخفاض، وإلّا فعلينا أن نكون جميعاً في مسيرٍ واحدٍ كما تسير السّيّارات مثلاً باتجاه كربلاء المقدّسة، لكن سيارة تسير بسرعة مائة وسيارة بسرعة ثمانين وأخرى ستين وهكذا، فالكل في طريق كربلاء، لا أنَّ أحدهم في طريق بغداد والآخر في طريق كربلاء.

وبناءً على هذا يلزمنا نحن أن نتعلّم من هذا الإمام العظيم عليه السلام، ونسير على نهجه القويم، أمّا مجرد العلم من دون العمل فلا يفيد. فقد يتعلم الشَّخص شيئاً ولكن لا يطبقه، كما في تارك الصلاة، فإنَّه يعلم أنَّ الصلاة واجبة ولكنه لا يصلِّي.

بين العلم والعمل

إذاً العلم شيء والعمل به شيء آخر، نحن يلزمنا:

أوَّلاً: أن نتعلّم وندرس سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام العادلة.

(١) سورة الرعد: ١٧.

وثانياً: أن نطبّق تلك السّيرة العطرة في حياتنا الشَّخصية، والعائلية والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية وغيرها.

فإذا ما تمكّنَّا من العمل بذلك فنحن سعداء إذاً، وإذا لم نعمل به فلسنا من أتباع الإمام عليه السلام الحقيقيين، بل مجرد الاسم فقط وهذا لا يكفي.

علي عليه السلام وإدارة البلاد الإسلامية

كان لأمير المؤمنين عليه السلام ألف والٍ وألف قاضٍ منتشرين في مختلف البلاد الإسلامية وذلك لإدارة البلاد والعباد بالعدل والإحسان، وكانت هذه البلاد الواسعة تحت إشرافه ونظره.

علمًا بأنَّ البلاد الإسلامية حينذاك كانت بلداً واحداً، والأمّة واحدة، لا تفصلها الحدود المصطنعة في عالمنا المعاصر، فكافَّة المسلمين كانوا متّحدين وتحت راية واحدة وفي بلد واحد، أمَّا اليوم فقد تفرّقت البلاد الإسلامية وأصبحت كلّ دولة على حدة تغلق أبوابها أمام سائر المسلمين، ولكن في عهد أمير المؤمنين عليه السلام كانت دولة واحدة إلا قطعة صغيرة وهي الشام فقد استأثر بها معاوية، واقتطعها من الدَّولة الإسلامية التي كان يحكمها أمير المؤمنين علي عليه السلام، أمَّا سائر البلاد الإسلامية من شرقها إلى غربها، وتلك البلاد الواسعة من أفريقيا إلى آخر إيران، إلى الحجاز ومصر، كلّها جميعاً كانت تحت سيطرة دولة الإمام عليه السلام العادلة والتي تعد خمسين دولة على خارطة اليوم. لذلك فقد بلغ عدد ولاة الإمام عليه السلام ألف والٍ، ومن الواضح أنَّ إدارة ألف والٍ في ذلك الزَّمان ليس بالأمر السَّهل.

فإنَّ الحكومة الإسلامية كانت حديثة التَّأسيس، وقد خلف الحكام الذين سبقوا الإمام عليه السلام مشاكل عديدة، فكانت إدارة الحكومة في غاية الصّعوبة؛ مضافًا إلى اختلاف القوميّات والمذاهب والأفكار والألوان واللغات والعادات والتَّقاليد، وحتّى الأديان إذ كان يعيش في ظل الحكومة الإسلامية الكثير من غير المسلمين، وقد تجمّع كل هؤلاء في هذا المكان الواسع بصورة مفاجئة وغير مفاجئة، وعندها فإنَّ إدارتهم بألف والٍ يعتبر عملاً صعباً وشاقّاً للغاية، ومع كلّ ذلك استطاع الإمام عليه السلام أن يديرهم بأحسن ما يمكن وبعدالة تامّة شاملة.

وفي مقابل كل والٍ كان هناك قاضٍ، فالوالي للسلطة التَّنفيذية والقاضي للسلطة القضائية.

فكان تحت إمرة الإمام عليه السلام ألف والٍ وألف قاضٍ في كافّة الولايات، وقد سجل التاريخ بعض القضايا التي حدثت مع عدد من قضاته، وقضايا من السّلطة التَّشريعية والتَّنفيذية وما أشبه في عهده، سنشير إلى بعضها، لنعرف سيرة الإمام عليه السلام في إدارته وحكومته العادلة.

لِمَ عزلتني؟!

إنَّ أحد قضاة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان رجلاً حسن السيرة والسمعة ويدعى أبا الأسود الدؤلي. كان هذا القاضي من العلماء الفضلاء، وكان شيخاً كبيرًا قد تجاوز عمره التسعين عاماً، وكان من تلامذة الإمام عليه السلام مباشرة وبلا واسطة، وهو نفسه الذي تعلَّم النَّحو من الإمام عليه السلام ثم أخذ يعلّم الآخرين.

علماً بأنَّ السَّبب في تسمية علم النَّحو بالنحو؛ أنَّ الإمام عليه السلام عندما علَّمه النَّحو وذكر له أسسه وقواعده، قال عليه السلام له: أنح على هذا[1]، يعني سر على هذا المنوال، فالنَّحو تعني الطَّريقة، يعني لقد علّمتك أصول العلم وعليك بالسَّير عليه إلى النِّهاية، كما نلاحظ البنّاء عندما يضع شيئًا من الآجر ثم يأمر عُمّاله بإكمال البناء على هذا الأساس، فهذا اسمه (النحو).

وقد نصَّبه الإمام عليه السلام قاضياً في إحدى الولايات ـ والمراد بالقاضي آنذاك هو الأعم مما يصطلح عليه في يومنا هذا ـ ثم إنَّه عليه السلام قد أرسل له في أحد الأيَّام كتاباً عزله فيه، وأمره بالعودة إلى الكوفة.

فكان هذا الأمر شديداً عليه؛ لأنَّ القاضي إذا كان محترماً ولم يقم بأيّ عمل خلاف؛ فإنَّ عزله يثير الاستفهام في نظر النّاس. فقدّم أبو الأسود الدّؤلي الكوفة، وجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وسأله: لِمَ عزلتني يا أمير المؤمنين؟! ولا خنت ولا جنيت؟! إنّه سؤال مهم، وقد صدقه أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: نعم، لم تخن ولم تجن.

قال: فلماذا عزلتني إذن؟!

قال عليه السلام: لكن صوتك يعلو صوت الخصمين[2].

---

(١) راجع كنز العمال للمتقي الهندي: ج١٠/ ص٢٨٣.

(٢) راجع غوالي اللآلي: ج٢/ ص٣٤٣.

فلقد أُخبرت بأنَّك عندما تجلس في مجلس القضاء وتتكلّم؛ فإنَّ صوتك يعلو على صوت المتخاصمين! وهذا يخالف الآداب الإسلامية المذكورة في باب القضاء.

إنَّ هذه القصّة تدلّ على مدى اهتمام الإسلام بأمر القضاء وعدالة القضاة ونزاهتهم، ورعاية حقوق المترافعين؛ فإنَّ القاضي في الميزان الإسلامي يعتبر حلاّل المشاكل، فيقوم بحل العقد المستعصية والنِّزاعات بين الناس، ومن اللازم أن تحل تلك المشاكل بكل هدوء وطمأنينة، وبكامل العدالة، كما أنَّ الدَّرس والمباحثة بحاجة إلى الهدوء، فلا يرفع أحد صوته، بل تناقش المسائل بكلِّ موضوعيّة.

علماً بأنَّ البحث شيء آخر لا يصل إلى أهمّيّة القضاء، فعندما يتباحث الإنسان فإنَّه يتباحث بهدوء وانخفاض صوت، فكيف بالقاضي، فعليه أن يكون هادئاً إلى أقصى حدٍّ؛ لأنَّ هذين الشَّخصين اللذين حضرا أمامه، إنَّهما بشران، إنَّهما إنسانان ليس إلا، ولهما حقوقهما وكرامتهما، ولا يحقّ لأحد أن يرفع صوته عليهما؛ فإذا ما رفع أحد صوته على الآخر، فإنَّه نوع إهانة له.

نعم، أمير المؤمنين ﷺ يعزل أحد أفضل قضاته ويقول له: ولكن صوتك يعلو صوت الخصمين!.

فماذا يعني هذا؟

يعني أنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ تمكَّن من أن يجعل قضاته الألف في القمَّة، وأن يكونوا هكذا يُجسّدون العدالة الإسلامية ويحترمون حقوق الإنسان، فعلينا أن نقتدي بأمير المؤمنين علي ﷺ في كل خطواته العادلة، فإنَّه ﷺ جعل الدّنيا تسير خلفه على الصِّراط المستقيم وإلى السَّعادة والأمان، فيلزم السير خلفه بكلِّ دقّة للالتحاق بركبه.

وهكذا يكون أمير المؤمنين ﷺ إمام الأولين والآخرين، ويبقى ليسير الجميع على هداه العادل، ولا عجب في ذلك.

إنَّ إنساناً عاش قبل ١٤٠٠ سنة في الكوفة، وقد تغيرت الدُّنيا، وتغيّرت المناهج، وتغيّرت العلاقات، لكن الإمام ﷺ بقي إماماً يُقتدى به إلى الآن وإلى يوم القيامة!! ويكون الناس مأمورين باتّباعه!!

فإنَّ الله-تعالى- شاء ذلك لأمير المؤمنين ﷺ كما شاء للشمس أن تبقى مشرقة عبر السّنين والقرون، ومن

هنا يعرف بعض السرّ فيما خاطب الله -تعالى- نبيّه الكريم ﷺ: (بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)[1]، وذلك في موضوع التبليغ عن خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام مباشرة بعد رسول الله ﷺ.

إنَّ الله -تعالى- أراد إيجاد قدوة حسنة للمسلمين، بل لكلِّ الناس، ومثلاً أعلى يُقتدى به ويُشار إليه، ويسير الجميع خلفه كي تعلم الدّنيا بأسرها بأنَّ عدالة السَّماء، وهي العدالة الحقيقية والواقعية، قد طُبِّقت بشكلٍ دقيق في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) سورة المائدة: ٦٧.

أضواء على حياة الحوراء عليها السلام

حيدر الدفاعي

لا شك أنَّ لكلّ حدث تاريخي هام، ولكل واقعة تاريخية مهمّة أبطال.

ومن أهمّ الحوادث والوقائع التي اتفقت في تاريخ البشرية، واقعة الطَّف، إذ أنَّها سبَّبت بقاء الإسلام قويّاً شامخاً، ومحفوظاً من الضَّياع والاندراس، ومأموناً من التَّشويه والتَّمويه.

كما لا يبقى مجال للشكّ أنَّ الجانب الأهم في قضيّة كربلاء، هو حفظها وبقاء أهدافها وثمارها، واستمرار حياتها، ودوام اسمها رمزاً للتضحية والفداء، وبقاء عنوانها حيَّاً يتفاعل مع النُّفوس والأرواح، ويتجاوب مع القلوب والعواطف، ويُسخِّر الهمم والأفكار، ويُنير الدّروب والمسالك، ويهزّ مشاعر النَّاس ويأخذ بقلوبهم في الدِّفاع عن أهداف الإسلام، والوقوف بوجه من يلعب بأحكامه، ويحارب شعائره، ويخيف جميع الطَّواغيت والظَّالمين، وجميع أهل الختل والغدر الذين همّوا بإبادة الإسلام.

فمن هي التي بدورها حفظت كربلاء؟

من التي لولاها لأباد بنو أميّة كربلاء، ومحوا من التاريخ اسمها، وأماتوا ذكرها وأهدافها؟

من التي بخطبتها في الكوفة وفي الشام وفي وجه يزيد الطّاغية، أبلغت صوت أخيها الإمام الحسين عليه السلام الى مسامع التاريخ، وفي آذان الأجيال، وأخزت وبيَّنت للعالم خداع بني أمية ونفاقهم بل وكفرهم؟

من التي صبرت على جميع المصائب والمصاعب والمتاعب، وتحمَّلت البلايا والرّزايا والمحن حفظاً للإسلام وبقاءً لأحكامه؟

من التي قالت: (وليجتهدنَّ أئمة الكفر وأشياع الضَّلال في محوه وتطميسه، فلا يزداد إلا علوّاً)[1]، أبلغت الظَّالمين والمنافقين المدسوسين وأئمَّة الكفر وأشياع الضَّلال، والذين يجعلون أنفسهم أولي الأمر وبسوطهم وسيفهم يقمعون الأحرار المؤمنين، وبدعاياتهم يظللون الجماهير، ويقفون أمام الحسين عليه السلام، أمام كربلاء، وأمام عاشوراء، أنَّ رأيهم لا يكون إلّا فند، وأيّامهم إلا عدد، وجمعهم إلا بدد، ولا يمحو ذكر الإمام الحسين عليه السلام أبداً، وتحيى كربلاء، وتبقى عاشوراء، رغم كيدهم لتضعيفها وإخمادها وإبادتها؟

ومن التي...؟

نعم: هي كوكب سماء العِفَّة والطَّهارة..

هي صدف بحر الإمامة والولاية..

هي الصّديقة الصُّغرى..

هي أميرة موكب عاشوراء..

هي نائبة الزَّهراء عليها السلام..

هي عالمة غير معلَّمة..

هي فهمة غير مفهَّمة..

هي صاحب العصمة الصُّغرى..

هي أمُّ المصائب..

هي بطلة كربلاء..

هي زينب عليها السلام..

---

(١) كامل الزيارات/ ص٢٦١.

ولادتها عليها السلام:

ولدت السَّيدة زينب عليها السلام في الخامس من جمادى الأولى السَّنة السَّادسة للهجرة في المدينة المنورة.

وكان عمرها حين وفاة جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله خمس سنوات[1].

تسميتها عليها السلام:

كان من عادة أهل البيت عليهم السلام أن يوكّلوا تسمية مولودهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يسبقونه بذلك، احتراماً وإجلالاً للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

فلمّا وُلِدت السيدة زينب عليها السلام كان الرَّسول صلى الله عليه وآله في السفر، فقالت فاطمة الزَّهراء عليها السلام لأمير المؤمنين علي عليه السلام: ماذا نُسمِّيها؟

فقال علي عليه السلام: ما كنت لأسبق رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فلنصبر حتَّى يرجع صلى الله عليه وآله من سفره.

وبعد ثلاثة أيام رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من سفره، وكعادته في كلِّ عودة جاء مسرعاً إلى بيت فاطمة عليها السلام حيث كان لا يهدأ من وعثاء السّفر حتى تكتحل عيناه برؤية ابنته وبضعته الطَّاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

فقال صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة عليها السلام: يا بنية! ايتيني بابنتك المولودة.

فلما أحضرتها، أخذها رسول الله صلى الله عليه وآله وضمّها إلى صدره ووضع خدَّه الشَّريف على خَدِّها، ثمَّ بكى بكاءً عالياً حتى سالت دموعه على خدّيه المباركتين.

فقالت فاطمة عليها السلام: لا أبكى الله عينيك يا أبتاه؟!.

مِمَّ بكاؤك يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله: يا بنتاه يا فاطمة.

اعلمي أنَّ هذه البنت ستبتلى ببلايا وتردّ عليها مصائب شتى ورزايا.

فقصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله قصّة كربلاء وما يجري فيها، فبكى الجميع على مصاب الإمام الحسين عليه السلام وشقيقته السّيّدة زينب عليها السلام.

---

(١) مستدرك سفينة البحار: ج٤/ ص٣١٦.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا رسول الله ما تسمّيها؟

قال صلى الله عليه وآله: إنَّ أولاد فاطمة عليها السلام أولادي، ولكنِّي أنتظر نزول الوحي في تسميتها.

فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا رسول الله! إنَّ الله تعالى يبلغك السّلام ويقول لك: سمّها بـ (زينب) فإنّا كتبنا اسمها في اللوح المحفوظ[١].

فضمّها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى صدره وأخذ يقبّلها، ثم قال: أوصيكم بها، فهي شبيهة خديجة الكبرى عليها السلام[٢].

إنّهم ولدي

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « إنَّ لكلّ نبيّ عصبة ينتمون إليها إلَّا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم، وهم عترتي خلقوا من طينتي، وويل للمكذّبين بفضلهم، من أحبّهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[٣].

معنى زينب

قال ابن منظور في (لسان العرب): الزينب: شجر حسن المنظر، طيّب الرَّائحة[٤].

زينب عليها السلام والحجاب

الحجاب زينة للمرأة المسلمة وقد فرض الله -سبحانه- الحجاب على المرأة لكي تُصان كرامتها وحفظ عزّها وشرفها من اعتداء الأرذال والأنذال، ومن هنا قال الله -تعالى- في كتابه الكريم: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)[٥].

وقال -عز وجل-: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَيُؤْذَيْنَ)[٦].

نعم إنَّ زينب الكبرى عليها السلام كانت في غاية الحشمة والوقار ومنتهى السِّتر والحجاب وأسوة لكلِّ الفتيات المؤمنات.

---

(١) تراجم أعلام النساء للأعلمي: ج٢/ ص١١٦.

(٢) الطراز المذهّب: ج١/ ص٤٤.

(٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٣/ ص١٥٠.

(٤) لسان العرب: ج١/ ص٤٥٣.

(٥) سورة الأحزاب: ٥٣.

(٦) سورة الأحزاب: ٥٩.

شرفها ومجدها عليها السلام

الشَّرف في اللغة هو: العلو.

والشَّرف في النَّسب: اتصاله بعظيم من العظماء، وأظهر أفراد هذا النَّوع: هم الذّرّيّة الطَّاهرة من آل الرَّسول صلى الله عليه وآله.

والمجد لغة يطلق على الشَّرف الواسع، ويطلق على الكرم والعز والجاه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلُّ بني أم ينتمون إلى عصبتهم، إلّا ولد فاطمة فإنِّي أنا أبوهم وعصبتهم»[1] وقد روي هذا الحديث بالإسناد إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام عن فاطمة الكبرى عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ورواه الطبراني وغيره بأسانيدهم المختلفة، كما في الشَّرف المؤبد للنبهاني عنه صلى الله عليه وآله: « أنَّ الله عز وجل جعل ذرّيّة كل نبي في صلبه، وأنَّ الله تعالى جعل ذرّيّتي في صلب علي بن أبي طالب عليه السلام»، والروايات بهذا المعنى كثيرة.

وهذا الشَّرف الحاصل لزينب عليها السلام شرف عظيم جداً.

فإذا ضممنا إلى ذلك أنَّ أباها علي المرتضى، وأمّها فاطمة الزَّهراء وجدّتها خديجة الكبرى، وعمّها جعفر الطّيّار في الجنة، وعمّتها أمّ هاني بنت أبي طالب، وأخواها سيدا شباب أهل الجنة -عليهم السلام-وأخوالها وخالاتها أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله فماذا يكون هذا الشَّرف، وإلى أين يبلغ مداه.

وإذا ضممنا إلى ذلك أيضاً علمها وفضلها، وتقواها وكمالها، وزهدها وورعها وكثرة عبادتها ومعرفتها بالله -تعالى-، كان شرفها شرفاً خاصّاً بها وبأمثالها من أهل بيتها، ومجدها مجدًا مؤثلاً لا يليق إلا بها وبهم عليهم السلام.

ومما زاد في شرفها ومجدها أنَّ الخمسة الطَّاهرة أهل العباء عليهم السلام كانوا يحبّونها حبًّا شديداً.

روى يحيى المازني وقال: كنت في جوار أمير المؤمنين علي عليه السلام في المدينة المنوّرة مدّة مديدة وبالقرب من البيت الذي كانت تسكنه زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً والحسن عليه السلام عن يمينها والحسين عليه السلام عن شمالها وأمير المؤمنين عليه السلام أمامها فإذا قربت من القبر الشَّريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القناديل، فسأله الحسن عليه السلام مرَّة عن ذلك؟.

(١) أورده النبهاني في الشرف المؤبد: ٥١.

فقال عليه السلام: أخشى أن يرى شخصها أحد[١].

ولذا قالت السَّيّدة زينب عليها السلام مخاطبةً يزيد-لعنه الله-: «أمن العدل! يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا قد هتكت ستورهنَّ وأبديت وجوههنَّ»![٢].

عالمة غير معلمة

العلم من أفضل السَّجايا الإنسانيّة، وأشرف الصِّفات البشرية، به أكمل الله أنبياءه المرسلين، ورفع درجات عباده المخلصين، قال تعالى: (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)[٣].

وإنَّما صار العلم بهذه المثابة؛ لأنَّه يوصل صاحبه إلى معرفة الحقائق، ويكون سببًا لتوفيقه في نيل رضاء الخالق، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام يحثّون الأمَّة على طلب العلم، وكانوا يغذّون أطفالهم العلم كما يغذّونهم اللبن.

أما زينب عليها السلام المتربّية في مدينة العلم النّبوي، المعتكفة بعده ببابها العلوي، المتغذّية باللبان الفاطمي من أمِّها الصِّدّيقة الطّاهرة (سلام الله عليها)، وقد طوت عمراً من الدَّهر مع الإمامين السّبطين يزقّانها العلم زقّاً.

وقد نصّ لها بهذه الكلمة ابن أخيها علي بن الحسين عليهما السلام: (أنت بحمد الله عالمة غير معلَّمة، وفهمة غير مفهّمة)[٤].

وهذا اللقب منحها الإمام زين العابدين عليه السلام ووصفها به، وذلك حينما أراد تسليتها وتعزيتها وتكريمها وتزكيتها عليها السلام على مرأى من الناس ومسمع، ليعلمهم:

أوَّلاً: بالمقام الرَّفيع الذي وهبه الله تعالى لها (سلام الله عليها)، وليهون من وقع المصائب العظيمة عليها.

ثانياً: إنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام لمّا رأى عمَّته زينب عليها السلام وهي في أسرها تخطب على الجماهير المتجمِّعة من أهل الكوفة، الذين خرجوا للتفرج عليهم، والتفت إلى أنَّها عليها السلام قد استعادت في ذاكرتها كلّ المصائب العظيمة التي جرت عليها واستعرضت كل انتهاكات القوم أمام مخيّلتها، خاف عليها أن تموت حسرة وغصّة، فخاطبها قائلاً:

---

(١) زينب الكبرى عليها السلام للشيخ جعفر للنقدي: ص٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٥/ ص١٣٤..

(٣) المجادلة: ١١.

(٤) الاحتجاج: ص٣٠٥.

(أنتِ بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهّمة...).[١]

ثم إنَّه يمكن أن يستفاد من كلام الإمام السَّجّاد عليه السلام المزبور في حقِّ عمَّته زينب عليها السلام أموراً:

١: إنَّ السَّيدة زينب عليها السلام كانت قد بلغت هذه المرتبة العظيمة والمقام الرَّفيع عند الله -تعالى- وأنَّ مادة علمها من سنخ ما منح به رجالات بيتها الرَّفيع أفيض عليها إلهامًا، وإن كان الحصول على تلك القوة الربانية بسبب قابليتها وتهذيبات جدّها وأبيها وأمّها وأخويها، ولانتمائها إليهم واتحادها معهم في الطّينة، فأزيحت عنها بذلك الموانع المادية، وبقي مقتضى اللطف الفياض الإلهي وحده، وإذ كان لا يتطرقه البخل بتمام معانيه عادت العلة لإفاضة العلم كله عليها بقدر استعدادها تامة، فأفيض عليها بأجمعه، سوى ما اختصّ به الأئمة عليهم السلام من العلم المخصوص بمقامهم الأسمى.

ولولا ذلك لما نعتها ابن أخيها الإمام السّجاد عليه السلام وهو معصوم بهذا النَّعت.

٢: إنَّ الإمام عليه السلام أراد بكلامه المذكور في حقِّ عمَّته زينب عليها السلام بيان شأنها وإظهار عظمتها.

٣: إنَّ الإمام عليه السلام أراد أن يشكر عمَّته زينب عليها السلام بكلامه هذا، على ما أسدته عليها السلام إليه في كربلاء من خدمة كبرى حيث رأته يجود بنفسه من عظم المصاب فعزَّته بمصابه وصبّرته عليه، فقام عليه السلام في الكوفة بعملٍ مماثل لما قامت به عليها السلام تجاهه، إضافة أنَّ من أهمّ الكمالات النَّفسيّة، والمقامات الإنسانيّة، هو مقام العلم، فإنَّ العلم هو قمّة كل شرف، وأفضل كلّ الملكات، وغذاء الرُّوح، وبه استمرار الحياة المعنوية، وشرفه ذاتي، وهذا ما لا يستطيع أحد إنكاره، إذ علو مقام العلم لا يخفى على أحد.

واعلم أنَّ العلم على قسمين: اكتسابي وموهوبي، وبعبارة أخرى: تحصيلي ولدنّي.

أما الاكتسابي والتَّحصيلي: فهو أن يسعى الإنسان في طلب العلم ويجدّ في تحصيله، وبقدر سعيه وجدّه يستطيع الإنسان أن ينال من درجات العلم وينتفع من بركاته.

وأما الموهوبي واللدنّي: فهو العلم الذي يمنحه الله -تعالى- خالق الإنسان بعض عباده ممّن له أهلية ذلك، ويقذفه في قلب من هو كفؤ لها، وذلك من غير تجشّم عناء التَّعليم، ولا تحمّل أتعاب التَّحصيل، فبعض يلهمه الله -تعالى- العلم إلهاماً غيبيّاً ومن دون واسطة، وبعض يلهمه بواسطة الملائكة ويريه الملائكة أيضاً ويسمَّى بالوحي، وبعض لا يريه الملائكة ويُسمّى هذا الذي يوحى إليه بواسطة الملائكة ولا يرى الملائكة بالمحدّث، ولكل مقام

(١) المصدر نفسه: ص٣٠٥.

خاص ودرجة خاصة تتفاوت رفعة وعلوّاً.

والحصول على هذه المقامات الرَّفيعة من العلم اللدني صعب جدًا، ولا يتسنى لأحد من الناس الوصول إليها إلا للأنبياء والرسل، والأوصياء والأولياء.

ثم إنَّ الأنبياء والرّسل والأوصياء والأولياء الذين هم وحدهم المختصون بالعلم اللدنّي يكونون بالنسبة إلى هذا العلم على درجات، فمنهم من حاز على درجة منه، ومنهم على درجتين، ومنهم على ثلاث درجات، والذي قد حاز على كامل الدّرجات وأعلى المراتب، هو أكمل المخلوقات، وأشرف الكائنات، سيّد الأنبياء وأشرف المرسلين، حبيب إله العالمين، محمد وأهل بيته المعصومين -صلوات الله عليهم أجمعين-.

والسيدة زينب عليها السلام هي من هذا البيت الرَّفيع: بيت النّبوة، وموضع الرِّسالة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي، فلا عجب أن تكون قد نالت درجة الإلهام فهي إذن ملهمة بصريح كلام ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام حين قال لها: (يا عمة ... أنت بحمد الله عالمة غير معلمة) إذ لا يكون العلم بلا تعلّم إلا عن طريق الإلهام.

وقد ظهر من السّيّدة زينب عليها السلام ما يدلّ على علمها وفهمها وذلك في مواقع ومواقف مشهورة.

مواقف كمواقف أمّها الزَّهراء عليها السلام لقد أشبهت زينب عليها السلام في احتجاجها على يزيد وابن زياد احتجاج أمّها فاطمة الزّهراء عليها السلام في قصّة فدك، وقضيّة خلافة بعلها أمير المؤمنين عليه السلام حيث بذلك بان كبير فضلها، وغزارة علمها، ووفور عقلها، وكثرة فهمها، وحسن معرفتها بالأحكام والقرآن، مما لم يتسنَّى لأحد إلا لمن هو ملهم من عند الله -تعالى-.

ونابت عليها السلام أمّها فاطمة الزّهراء عليها السلام في مهمَّة الإبقاء، وقامت مقامها ـ وبأحسن وجه ـ لأداء دور المشاركة في هذه المهمَّة، ويشهد لذلك مواقفها البطولية المشرّفة من بدء قيام أخيها الإمام الحسين عليه السلام بأعباء الإمامة حتى شهادته عليه السلام وخاصَّة من بدء نهضته عليه السلام حتى انتهاء قضايا السَّبي والأسر، والرّجوع ببقايا حرم رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة، ومنها حتى ارتحالها من هذه الدّنيا الى الدّار الآخرة.

ففي كل هذه المدّة الطويلة والفترة العصيبة قامت السيدة زينب عليها السلام مقام أمّها فاطمة الزهراء عليها السلام في دور المشاركة ونابت عنها في مهمّة الإبقاء، وقدمت في سبيل ذلك كل ما قدمته، حتى لُقّبت بكونها: نائبة الزَّهراء عليها السلام.

فكما أنَّ الأمّ شاركت زوجها وإمامها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مهمَّة الإبقاء، وقدَّمت نفسها ضحيّة، ودمها وقاءً، ومحسنها قربانًا، ليبقى الإسلام على نزاهته وقدسيّته، وطهارته وبراءته مما ارتكبه المتقمّصون للخلافة، وممّا فعله الغاصبون لفدك باسم الإسلام.

فكذلك البنت شاركت أخاها وإمامها الإمام الحسين ﷺ في مهمَّة الإبقاء، وقدَّمت ما قدَّمت لتصون نزاهة الإسلام، وتحفظ قدسيته وطهارته مما ارتكبه الطّلقاء وأبناء الطّلقاء من تشويه وتمويه، وجرائم وجنايات ضدّ الإسلام، باسم الإسلام.

ولكن هذه المرة كان القربان هو الإمام الحسين ﷺ وزينب ﷺ شاطرته بتقديم نفسها أسيرة، ودم ولديها وقاءً، وراحت في موكب السبي من كربلاء الى الكوفة ومنها الى الشام لتبلّغ دم الشهيد حتى في قصور الظالمين، وتوصل أهداف الشهادة إلى العالم أجمع، وإلى كل الأجيال على مدى التاريخ ومرّ العصور والزّمان.

ولولا مشاطرتها وتحملها في سبيل الله ما تحملته من البلايا والرزايا لاستطاعوا بعد واقعة كربلاء اجتثاث جذور الإسلام والقضاء عليه بالمرة، إذ ورثة المتقمصين للخلافة الطلقاء وأبناء الطلقاء كانوا قد عرّفوا أنفسهم ـ كذبًا وزورًا ـ بأنَّهم أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، وصوّروا بأنَّ جرائمهم وجناياتهم هو انعكاس عن الإسلام الصَّحيح، وكان بيدهم السيف والسَّوط، والدعاية والتبليغ، وقد سخروها جميعًا لتثبيت سلطانهم، فلم يكن أحد من الناس يجرأ على مناجزتهم ومجابهتهم، وكشف زيفهم وزيغهم، وبيان كذبهم وغدرهم، والتنديد باستبدادهم، وفضح تآمرهم على الله ورسوله، وعدائهم للإسلام والمسلمين، سوى الإمام الحسين ﷺ، وذلك بأغلى ثمن وحتى بمثل سبي حرم رسول الله وأهل بيته –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين–، ووطّنت السيدة زينب ﷺ نفسها على كل ذلك وتلقته بصدر رحب وبوجه منبسط، وشاطرت أخاها الإمام الحسين ﷺ في البقاء على الإسلام وطهارته ونزاهته، وأبلغت صوته ﷺ الى مسامع التاريخ وفي أذان الأجيال .

حجاجية الصور الفنية في الخطاب التربوي وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام مثالاً

السيد حسين فاضل الحلو

الإمام الكاظم عليه السلام هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ولد عام (١٢٨ هـ) ولقد كانت مدّة إمامته خمسةً وثلاثين عاماً وقد اضطلع بها منذ أن كان عمره الشريف عشرين ربيعاً عام (١٤٨ هـ) إلى أن استشهد عام (١٨٣ هـ) وعمره خمسة وخمسون عاماً [١] .

كان الإمام الكاظم عليه السلام دائرة معارف متكاملة فقد أجمع الرواة على أنه يمتلك طاقات هائلة في العلم ومخزونًا فكريًّا غنيًا جدًا بمختلف المعارف[٢]، ولكن للظروف التي أحاطت به ولاسيما السجن، أدى ذلك إلى قلة النصوص التي وصلت إلينا عنه –سلام الله عليه– و" صحيح أن ما كتبه الإمام، لا يؤلف مجموعة كتبية تغص بها رفوف المكتبات، ولكن الفكر فيها يدل على غزارة عنده، تصلح لأن تكون موسوعاتٍ علمية وفلسفية واجتماعية تمتلئ بها كتب الباحثين"[٣].

وقد كان لنصوص الإمام الكاظم عليه السلام مع الوظائف المعرفية وظيفة (فوق_ الوظيفة)[٤]، " فإنه يحقق الإبداع بوساطة كسر أفق التوقع لدى المتلصقي في موارد عديدة بما يميز خطابه من علو الشأن كمًا وكيفًا ونصًّا وروحًا

(١) ينظر: حياة الإمام الكاظم: ٣٧_ ٥٣.

(٢) ينظر : حياة الإمام الكاظم : ٨. والإمام الكاظم ، مسيرة علوية مستمرة : ١٥ .

(٣) الامام الكاظم عليه السلام ضوء مقهور الشعاع : ١٦٥ _ ١٦٦ .

(٤) (فوق الوظيفة): هي سمة تربط بقدرة الخطاب على الانفتاح الدائم على التطور والتحول وهو أمر يجعل الخطاب ملائما لتقدم الإنسانية ، يُنظر: سلطة النص : ٨ .

، فضلًا عن الحمولة المعرفية ذات الأبعاد الدلالية المتشعبة، وهذا يرجع إلى مناط المهام للإمام بوصفه حاملًا للرسالة"[١] .

ومثال ذلك رسالة الإمام الكاظم _عليه السلام_ في العقل لهشام بن الحكم[٢]؛ إذ تُعدُّ هذه الوصية من أهم الثروات الفكرية التي أُثرت عن الإمام ﷺ[٣]، وقد شرحها ملا صدر الدين المعروف بصدر المتألهين شرحًا فلسفيًّا، وقال في وصفها:" هذا الحديث مشتمل على بيان حقيقة العقل... ومحتو على معظم صفاته وخواصه ومدائحه، ومتضمن لمعارف جليلة قرآنيّة، ومقاصد شريفة إلهيّة لم يوجد نظيرها في كثير من مجلدات العرفاء ولم يعهد شبيهها في نتائج أنظار العلماء النظار ذوي دقائق الأفكار"[٤] ، والرسالة تشتمل أيضا على : " خطابات ذُكر في كلٍّ منها بابا عظيما من العلم بعضها من العلوم الإلهيّة وبعضها من علم السّماء والعالم، وبعضها في الفلكيات وبعضها في علم الأكوان والمواليد وبعضها في كائنات الجو وبعضها في علم النفس وبعضها في تهذيب الاخلاق وتطهير النفوس..."[٥] .

وهذه الوصية الذهبية قد حوت "جميع أصول الفضائل والآداب والأخلاق وقواعد السلوك والمناهج العامة لما يصلح للحياة الفردية والاجتماعية السليمة من كل غرض أو هوى"[٦]. وهي موشحة بأدوات التعبير الفني من قيم صورية وإيقاعية ونحوهما.

ولا غَرْوَ أن ترد هكذا رسالة عن الإمام الكاظم فهو ﷺ منظومة معرفيّة متكاملة و"تراثه الفكري الذي زوّد به أصحابه وطلاب مدرسته فهو من أروع ما خلفه أئمة المسلمين من الثروات الفكرية ومن أنفس ما أبقاه علماء المسلمين من التراث العلمي... ويضاف إليها حكمه وآراؤه القيّمة... وهي حافلة بأروع صور الفصاحة والبلاغة البالغتين حد الإعجاز"[٧] .

ونجد الصّور الجماليّة ذات الأبعاد الحجاجية عند الامام الكاظم ﷺ؛ إذ تلاحقت العناصر التصويرية في وصيته لهشام بن الحكم، إذ احتشدت التشبيهات بشكل ملحوظ في هذه الوصية، حتى يمكن القول إنّه كان نصّ

---

(١) الاشكال البديعية في خطاب الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ في كتاب «الأصول من الكافي» للكليني (أطروحة دكتوراه): ٤٠.

(٢) هشام بن الحكم: أبو محمد مولى كندة، أصله كوفي ومولده ومنشؤه بواسط وتجارته ببغداد في الكرخ وداره عند قصر وضّاح، وروى هشام عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام، وكان ثقة في الروايات، حسن التّحقيق بهذا الأمر. ينظر: رجال النجاشي: ٢/ ٥٢٦.

(٣) ينظر : حياة الإمام الكاظم ﷺ: ١ / ١٨١ و الإمام الكاظم ، مسيرة علوية مستمرة: ١٠٥ .

(٤) شرح أصول الكافي : الملا صدرا : ١ / ٢٥٢ .

(٥) م ن : ١ / ٢٥٢ .

(٦) الإمام الكاظم ، مسيرة علوية مستمرة : ١٣٥

(٧) حياة الإمام الكاظم ﷺ : ١ / ١٨١ .

صورة _أو في أغلبه على أقل تقدير_ ولعل مقصده عليه السلام من ذلك إقامة الحجة على متلقي الخطاب _هشام أو من جمهور المؤمنين_ عبر تقريب المعاني وتجسيمها لإدراك أبعاد الصورة الحجاجية.

ومن أبرز تلك العناصر التشبيه، نذكر منها:" يا هِشامُ؛ إنَّ مَثَلَ الدُّنيا مَثَلُ الحَيَّةِ، مَسُّها لَيِّنٌ وَفي جَوفِها السُّمُّ القاتِلُ يَحذَرُها الرِّجالُ ذَوو العُقولِ، وَيَهوي إلَيها الصِّبيانُ بِأَيديهِم"(١) .

إن ما ذهب إليه الإمام ﷺ من استعمال ألفاظ متداولة لتأدية معان نفسيّة دليل على قدرة عالِم بدلالات الألفاظ وجزئياتها؛ إذ قام بنقل الدنيا من عالمها المعنوي الذي وجدت فيه إلى عالم المحسوسات لإثارة الخوف والرعب عن طريق التحذير من هذه الدنيا الفانية، فذكر أنها: (حيّة) في جوفها السم القاتل على الرغم ممّا تبدو عليه من وداعة بسبب مظهرها اللين، وهذا من شأنه أن يثير الرهبة في نفس المتلقي. فإذا كانت الدنيا جميلة بنظر بعضهم فهي عند الإمام قبيحة جدا، فوصفها الإمام ﷺ وصفًا مخيفًا، إذ إنّ النّصوص الأدبيّة مُصممة لكي تُثير فينا القلق قبل كلّ شيء(٢)، فالصّورة وسيلة حيوية ومهمة في صياغة رؤيتنا للعالم.

وتتضح دقة اختيار الإمام ﷺ للفظ (الحَيَّة) لما تحمله من دلالة المكر والخبث، فالعدو _داخلي وخارجي_ ممكن أن يزحف في دهاء وسكون حتى يصل لغايته. والإمام ﷺ استثمر حاسة اللمس في تشكيل تصويره التشبيهي هذا. وتظهر جمالية الصورة وحجاجيتها بقدرتها على "دفع المتلقي إلى إعادة التأمل في واقعه من خلال رؤية شعرية لا تستمد قيمتها من مجرد الجدة أو الطرافة، وإنما من قدرتها على إثراء الحساسية وتعميق الوعي"(٣).

ويُكثّف الإمام ﷺ العناية بالجانب النفسيّ عن طريق تشبيه الدنيا تشبيها آخر، وهذا التكثيف يتناسب مع المقام الذي جاءت فيه التشبيهات الذي هو الوعظ والارشاد، ومن ذلك قوله:"مَثَلُ الدُّنيا مَثَلُ ماءِ البَحرِ كُلَّما شَرِبَ مِنهُ العَطشانُ ازدادَ عَطَشاً حَتّى يَقتُلَه"(٤) .

فضلا عن حسن التصوير وقيمته الجمالية نلحظ القيمة الحجاجية والاقناعية لهذا التشبيه، فهو لم يكن زينة وزخرفًا، بل جاء ليزيد المعنى وضوحًا ويُقيم الحُجّة على المتلقي.

وتأتي أهمية هذه الصّور من أنها قد صيغت في سياق الحديث عن (العقل) وتوظيفه (عباديًّا)، وحينئذ فإنَّ فاعليةَ الادراك، أو العقل من حيث شموله وعمقه وامتداداته التي يطالب النص بالتغلغل فيها وارتياد آفاقه

(١) مكاتيب الأئمة: ٤/ ٤٩٥.
(٢) ينظر: السيمياء والتأويل: ٣٨.
(٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ١٨.
(٤) مكاتيب الأئمة:٤/ ٤٩٥.

المختلفة، تتطلب عنصرًا صوريًّا يتناسب مع سعة العقل وعمقه وامتداده ، فحينما يشبه مثلاً: متاع الحياة الدنيا بأنه مثل ماء البحر وهو مالح، انما يتغلغل الى باطن الحقائق التي تتطلب جهدًا عقلياً أو ذكاء يستطيع أن يمارس عمليات تجريد، واقتناص العلاقات بين الأشياء، حتى يدرك أن الدنيا لا تحقق اشباعًا مهما كان حجم الحاجة التي يستهدف اشباعها، ولذلك تطلب مثل هذا المفهوم، تشبيهًا دقيقًا هو تشبيه الحاجات الدنيوية بماء البحر المالح؛ إذ يزداد الانسان عطشًا كلما شرب منه، بصفة أن الماء المالح يتسبب في توليد العطش بدلاً من اطفائه(١).

وقد انمازت الصّور السّابقة بكونها "صورًا كُلّيّة تتركب من صور جزئية وليست صورًا جزئية، لأن الصور الجزئية كالتشبيه المفرد الذي يتألف من ظاهرتين، لا تحقق الهدف الفكري إلا جزئيًّا، بعكس الصور الكلية كالنموذج المتقدم عن «ماء البحر»"(٢).

ومن صور التشبيه الأخرى نقف عند قول الإمام الكاظم عليه السلام:

"إنَّ الزَّرعَ يَنبُتُ فِي السَّهلِ وَلا يَنبُتُ فِي الصَّفا، فَكَذلِكَ الحِكمَةُ تَعمُرُ في قَلبِ المُتَواضِعِ وَلا تَعمُرُ في قَلبِ المُتَكَبِّرِ الجَبّار"(٣).

يكشف التشبيه السابق طاقةً حجاجية تحمل المتلقي على التمعن فيها واستنتاج حقيقة ما يدعو إليه الإمام عليه السلام، فما ذكره الإمام حقيقة يذعن لها كل متلقٍ، وقد صاغها عليه السلام بطريقة فنية تعمّق من بلاغة الخطاب.

وقد استعمل الإمام عليه السلام أسلوباً آخر جمع بين الجمالية والوظيفة الحجاجية تمثل بالاستعارة؛ إذ الاستعارة أقوى من الحقيقة بإجماع البلاغيين، ومن ذلك قوله عليه السلام: "...إنَّ اللهَ يُحيي القُلوبَ المَيِّتَةَ بِنورِ الحِكمَةِ كَما يُحيي الأَرضَ المَيِّتَةَ بِوابِلِ المَطَر"(٤). فالإمام يستعير صفة الإحياء من الماء للنور، فجعل للنور _نور الحكمة_ خاصية الإحياء التي كانت سائدة للمطر في إحياء الأرض الميتة.

وللإمام الكاظم عليه السلام قوله: "يا هِشامُ؛ مَن سَلَّطَ ثَلاثاً على ثَلاثٍ فَكَأَنَّما أعانَ هَواهُ على هَدمِ عَقلِهِ: مَن أظلَمَ نورَ فِكرِهِ بِطولِ أمَلِهِ، وَمَحا طَرائِفَ حِكمَتِهِ بِفُضولِ كَلامِهِ، وَأَطفَأَ نورَ عِبرَتِهِ بِشَهواتِ نَفسِهِ، فَكَأَنَّما أعانَ هَواهُ عَلى هَدمِ عَقلِهِ، وَمَن هَدَمَ عَقلَهُ أفسَدَ عَلَيهِ دينَهُ وَدُنياه"(٥) .

(١) يُنظر: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٤٧٩.
(٢) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٤٧٩
(٣) مكاتيب الأئمة:٤/ ٤٩٦.
(٤) المصدر نفسه:٤/ ٤٩٣.
(٥) مكاتيب الأئمة:٤/ ٤٨٦.

فالإمام في هذا النّصّ يصوّر العقلَ بالبيت القوي الأساس، والهوى بالمِعْوَل الذي يَهدم هذا البناء والأساس، أي: في النّصِّ استعارة مكنية لتشبيه العقل بالبيت في أنّ صاحبَه يصونُه من المكاره، ويجعل الإمام ﷺ طولَ الأمل سببًا لإظلام نور الفكر وبذلك سيسقط في الظلمة، ويجعل فضول الكلام يعمل على محو الحكمة وإنضابها، فضلاً عن أن شهوات النفس تطفئ نور العِبرة.

فالنور هنا ليس نورًا اعتياديًّا، بل هو نور الحكمة والفكر، جاء النور ليعبر عن دلالات نفسية لما يشيعه استعمال نور من دلالات الهدوء والسلام، على العكس من الظلمة والإطفاء التي تدعو إلى القلق والحذر، فنور الحكمة سيبدد ظلام الشهوات وطول الأمل.

ومن الاستعارات الرائعة عند الإمام الكاظم ﷺ قوله: "يا هِشامُ؛ إيّاكَ وَالطَّمَعَ وَعَلَيكَ بِاليَأسِ مِمّا في أيدي النّاسِ، وَأمِتِ الطَّمَعَ مِنَ المَخلوقينَ، فَإِنَّ الطَّمَعَ مِفتاحُ لِلذُّلِّ"[١].

فالاستعارة في قوله (وَأمِتِ الطَّمَعَ) إذ جعل ﷺ الطمعَ إنسانًا يمكن أن يكتب له الحياة ويمكن إماتته، إذ يدعو الإمام ﷺ إلى إماتة الطمع من المخلوقين لما يسببه من ذل ومهانة. فالإمام ﷺ استعار بعض الأمور القدرية التي تحدث للإنسان في حياته من دون تدخله بل تخضع لمشيئة الله تعالى، فاستعار ﷺ الموت لصفة سلوكيّة مذمومة.

وتُلحظ الوظيفة الاجتماعية لهذه الاستعارة؛ إذ إنّ الإمام ﷺ في مكاتيبه كثيرا ما يؤكد على قيم اجتماعية معينة، ويحذّر من أخرى، ومن تلك القيم التي يحذّر منها قيمة الطمع، فالامام ﷺ استثمر ما توفره الاستعارة من دلالة ليرسّخ المعنى في ذهن المتلقي بطريقة حجاجية.

وقوله ﷺ: "لا تَمنَحوا الجُهّالَ الحِكمَةَ فَتَظلِموها، وَلا تَمنَعوها أهلَها فَتَظلِموهُم"[٢].

فقد جعل الإمام ﷺ الحكمة كائنا حيًّا يمكن أن يُظلم، إذا وُضع في غير موضعه، مثلما يُظلم من يحرم منها.

بيّنتْ الاستعارة رؤيةَ الإمامِ ﷺ للوسط الاجتماعيّ من حوله؛ فهناك من لا يستحق الحكمة وهناك من لا يستحق منعها، وقد عمد الإمام إلى توظيف أسلوب النهي ليقطع الطريق على المتلقي بأن يتهاون في ذلك. ونلحظ اللغة التي استعملها الإمام ﷺ لإيصال فكرته لغة رفيعة وواضحة للمتلقي فضلاً عن الإيجاز؛ إذ إن اللغة التي يستعملها المبدع في تصويره للواقع ليست مجرد شكل ظاهري للمحتوى الجماليّ، فعمل الأديب في مجال اللغة هو

(١) المصدر نفسه :٤/ ٤٩٨ .

(٢) المصدر نفسه: ٤/ ٤٨٨.

عمل في مجال الاتصال الاجتماعي، وهو عمل لصالح المجتمع [١].

وقد صاغ الإمام ﷺ عددًا من الصّور في قالب حجاجي جماليّ دلَّتْ على تمكّنه وبراعته ﷺ منها قوله: "اعرِفِ العَقلَ وَجُندَهُ، وَالجَهلَ وَجُندَهُ، تَكُن مِن المُهتَدينَ"[٢]، وقوله: "الخَيرُ وَهُوَ وَزيرُ العَقلِ، وَجَعَلَ ضِدَّهُ الشرَّ وَهُوَ وَزيرُ الجَهل"[٣].

يفتح الإمام ﷺ الباب للمتلقي للموازنة بين (العقل والجهل)، فلكلٍّ واحد منهما جنود يؤازرونه ويقفون معه، أي أن الإمام استعار (الجند) لكل من العقل والجهل، فجعل للعقل _هو ما يتضمن من السمات الإيجابية جنودًا، وجعل للجهل_ وهو ما يتضمن من السّمات السّلبيّة أو الشّاذّة جنوداً تقابل جنود العقل، وجعل أيضًا للعقل وزيرًا وللجهل وزيرًا أيضًا. فالخصال الإيجابية تعد وزيرًا للعقل مثلما الخصال السلبية وزيرا للجهل.

والاستعارة نفسها نجدها عنوانا عندما فصّل الإمام هذه الجنود: "جنود العقل والجهل:

الإِيمانُ، الكُفرُ. التَّصديقُ، التَّكذيبُ، الإِخلاصُ، النِّفاقُ، الرَّجاءُ، القُنوطُ، العَدلُ، الجَورُ الرِّضا، السُّخط، الشُّكرُ، الكُفران"[٤] .

يكشف النّصّ عن عناية الإمام ﷺ بالجانب الفنيّ التصويري؛ إذ جعل الإمام ﷺ العنوان استعارة فنيّة، وتُلحظ العلاقة الوثيقة بين النّصّ وعنوانه لما ينطوي عليه النّصّ من إيحاءات كبيرة تستقطب فضول القارئ من أجل فهم النّصّ وتأويله.

ويمكن القول إنّ السِّرَّ في صياغة مثل هذه العنوانات العلميّة بلغة فنيّة؛ لأنّ (هذه (السمات) ذات علاقة بطبيعة فاعلية (العقل) التي قلنا بأنها تتطلب التغلغل إلى باطن الحقائق، وهو أمر يستتبع صياغة صورية من تشبيه، أو استعارة ونحوهما لتوضيح الحقائق المشار إليها... فلمّا كان (العقل) – الذي هو ممارسة السلوك الذكي الذي يفضي الى تحقيق توازن الانسان واشباع حاجاته المختلفة – يفتقر الى مفردات عم لية من السلوك، حينئذ فان استعارة (الجنود) تظل مناسبة لهذه المفردات؛ لأن (الجنود) يستعان بهم لتحقيق النصر... وهكذا عندما يستعين الانسان بجنود خيرة، حينئذ يحقق حاجاته بالنحو المطلوب... والعكس هو الصحيح ايضاً، حيث إن استعانة

(١) ينظر: الاسلوبية والاسلوب: ١١٧.
(٢) مكاتيب الأئمة: ٤/ ٤٩٩.
(٣) المصدر نفسه: ٤/ ٥٠٠.
(٤) المصدر نفسه: ٤/ ٥٠٠.

الشخصية بجنود من (الشر) لابد ان تفضي به الى الهزيمة[١].

من الملحوظ على اختيارات الإمام في الاستعارات السابقة هو اختيار الكلمات الأقوى تأثيرًا والمناسبة لمقصده وموضوع النص بوصف تلك الاستعارات انزياحات لغوية تزيد من ثراء النّصِّ دلاليًّا وجماليًّا من حيثُ العمليات الاستبدالية التي تقوم بها؛ إذ إنها أكثر تأثيرا في النفس وأجمل تصويرًا فضلا عما تملكه من طاقات حجاجية[٢].

نلحظ مما تقدم استعمال الإمام الكاظم عليه السلام التشبيه والاستعارة واتخاذهما وسيلة للإيضاح والبيان وإقامة الحجة في خطابه التربوي الارشادي، وكانت الصور الحجاجية والفنية في الوصية تقوم على الوضوح وقرب المأخذ مع الدقة والعمق.

(١) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٤٨٠

(٢) ينظر: جَمَالِيَّةُ المُفْرَدةِ والتَّرْكِيبِ فِي مَكَاتِيبِ الإمَامَيْنْ جَعْفَر الصَّادِق ومُوسَى الكَاظِم (عَلَيْهِما السَّلاَمُ) رسالة ماجستير: حسين فاضل عيسى الحلو.

بسم الله الرحمن الرحيم
إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا

البعثة المباركة

حيدر فائق

مِن أكبر نعم الله -تعالى- علينا بل على البشرية جمعاء، أن بعث الله فينا رسوله محمد بن عبد الله ﷺ، ولولا هذه البعثة المباركة، لما بقي من الإنسانية شيء، ولا بقي من القيم والآداب والمُثُل شيء، وقد جاءت البعثة الشَّريفة في الوقت المناسب والمكان المناسب والشَّخص المناسب. إذ بعث الله -عزّوجلّ- أفضل خلقه محمداً ﷺ رحمةً للناس أجمعين، وذلك في ليلة ٢٧ من شهر رجب في مكّة المكرّمة بغار حراء.

قال عزوجل: (لَقَدْ مَنّ اللهُ عَلَى المُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مّبِينٍ) [١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ بعض قريش قالوا لرسول الله ﷺ: بأيّ شيء سبقت الأنبياء وفُضّلت عليهم وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟

قال: إنِّي كنت أوّل من أقرَّ بربي جلّ جلاله، وأوّل من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النَّبيين وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربِّكم قالوا بلى، فكنتُ أوَّل نبي قال بلى، فسبقتهم إلى الإقرار بالله عزوجل»[٢].

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٢) بحار الأنوار: ج١٦/ ص٣٥٣.

المبعث الشريف

بُعث رسول الله ﷺ بالنّبوة في السّابع والعشرين من شهر رجب، وكان عمره الشَّريف أربعين سنة. حيث نزل عليه جبرائيل عليه السلام وهو في غار حراء، فقال لـه: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)**[1].

قال الإمام العسكري عليه السلام: «إنَّ رسول الله ﷺ لما ترك التجارة إلى الشَّام وتصدَّق بكلّ ما رزقه الله تعالى من تلك التّجارات، كان يغدو كل يومٍ إلى حراء يصعده وينظر من قلّله إلى آثار رحمة الله، وإلى أنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته، وينظر إلى أكناف السَّماء وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار ويتذكّر بتلك الآيات ويعبد الله حقَّ عبادته، فلمَّا استكمل أربعين سنة ونظر الله عزوجل إلى قلبه فوجده أفضل القلوب، وأجلّها وأطوعها، وأخشعها وأخضعها، أذن لأبواب السَّماء ففتحت ومحمد ﷺ ينظر إليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد ﷺ ينظر إليهم، وأمر بالرَّحمة فأنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد ﷺ وغمرته، ونظر إلى جبرئيل الرّوح الأمين المطوّق بالنّور طاووس الملائكة هبط إليه وأخذ بضبعه وهزه، وقال: يا محمد اقرأ.

قال: وما أقرأ؟.

قال: يا محمد (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)**[2]، ثم أوحى إليه ما أوحى إليه ربّه -عزّوجل-، ..

يقول: وقد اشتد عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره، ونسبتهم إياه إلى الجنون، وأنَّه يعتريه شياطين، وكان من أوّل أمره أعقل خليقة الله وأكرم برایاه، وأبغض الأشياء إليه الشّيطان، وأفعال المجانين وأقوالهم، فأراد الله عزوجل أن يشرح صدره ويشجع قلبه، فأنطق الجبال والصّخور والمدر، وكلَّما وصل إلى شيء منها ناداه:

السَّلام عليك يا محمد، السَّلام عليك يا ولي الله، السَّلام عليك يا رسول الله، السَّلام عليك يا حبيب الله، أبشر فإنَّ الله عزوجل قد فضّلك وجمّلك وزيّنك وأكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأوّلين والآخرين، لا يحزنك قول قريش: إنَّك مجنون وعن الدِّين مفتون، فإنَّ الفاضل من فضّله رب العالمين، والكريم من كرّمه خالق الخلق أجمعين، فلا يضيقنّ صدرك من تكذيب قريش وعتاة العرب لك، فسوف يبلغك ربّك أقصى منتهى الكرامات، ويرفعك إلى أرفع الدَّرجات، وسوف ينعم ويفرح أولياءك بوصيّك علي بن أبي طالب عليه السلام وسوف يبثّ علومك في

(١) سورة العلق: ١-٥.

(٢) سورة العلق: ١-٥.

العباد والبلاد بمفتاحك وباب مدينة حكمتك علي بن أبي طالب عليه السلام، وسوف يقر عينك ببنتك فاطمة عليها السلام، وسوف يخرج منها ومن علي: الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة، وسوف ينشر في البلاد دينك، وسوف يعظم أجور المحبِّين لك ولأخيك، وسوف يضع في يدك لواء الحمد فتضعه في يد أخيك علي عليه السلام فيكون تحته كلّ نبي وصديق وشهيد، يكون قائدهم أجمعين إلى جنَّات النَّعيم»[١].

كانت بعثة النبي صلى الله عليه وآله بعد فترة من الرّسل، وبعدما أشرف الناس على الهلاك لكثرة الخرافات وشدَّة الجاهلية، فقام النبي صلى الله عليه وآله برسالته ودعا العالم بأجمعه إلى التَّوحيد والإيمان بالله عزوجل، وترك عبادة الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ودعا إلى الفضائل ومكارم الأخلاق، ونهى عن الرَّذائل وقباح الصِّفات، ودعا إلى السلم ونبذ العنف، ودعا إلى حبّ الآخرين وقضاء حوائجهم، ودعا إلى الكرامة والأخلاق بعدما فشي فيهم القتل والسَّرقة والزِّنا وارتكاب الفواحش، وبعدما كانوا يأخذون الرِّبا ويشربون الخمر، ويطوفون بالبيت عراة رجالاً ونساءً.

قالت الصّدّيقة فاطمة عليها السلام في خطبتها: «وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشَّارب، ونهزة الطَّامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القدّ، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله»[٢].

وقالت عليها السلام: «فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظُلَمها، وكشف عن القلوب بُهَمها، وجلى عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدِّين القويم، ودعاهم إلى الطَّريق المستقيم»[٣].

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله

لقد جاءت روايات عديدة تصف أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلوبه في التَّعامل مع الناس، منها: ما ورد عن ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن فتح عينيه عند الولادة في وجهه صلى الله عليه وآله ولم يفتحها في وجه أحد قبله، وهو الذي غمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه في آخر لحظات حياته الكريمة في حجره، ولم يغمضها في حجر أحد غيره، ألا وهو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فهو الأعرف برسول الله صلى الله عليه وآله وهو أخوه وربيبه ووصيّه، فقد روي عنه عليه السلام أنَّه قال: «ما صافح رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً قط فنزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده. وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث فانصرف حتى يكون الرّجل هو الذي ينصرف. وما نازعه الحديث فيسكت حتى يكون هو الذي يسكت،

(١) تفسير الإمام العسكري - عليه السلام-: ص١٥٦-١٥٨.
(٢) الاحتجاج: ج١/ ص١٠٠.
(٣) المصدر نفسه: ج١/ ص٩٩.

وما رُئي مقدّماً رجله بين يدي جليس له قط»[١].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه كان إذا وصف رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «كان أجود الناس كفّاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمّة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، ومن رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبَّه، لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله »[٢].

وكان صلى الله عليه وآله يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين. فعن أبي عبد الله الصَّادق عليه السلام قال: «سمعت أبي يحدّث عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمس لا أدعهنَّ حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلب العنز بيدي، ولبس الصّوف، والتَّسليم على الصّبيان؛ لتكون سنَّة من بعدي»[٣].

فمن الضَّروري لأيِّ داعية ومبلّغ إلى الإسلام أن يتحلَّى بأقصى ما يمكن من مكارم الأخلاق، وسعة الصَّدر، والمعاملة العطوفة مع الناس، لكي يجلبهم إلى الإسلام، ويثبتهم على الإسلام راسخي القدم والعقيدة.

قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد، ربُّك يقرئك السَّلام، ويقول لك دار خلقي»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: «أمرني ربّي بمداراة الناس، كما أمرني بأداء الفرائض »[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: «ألا أخبركم بأشبهكم بي؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «أحسنكم خلقاً، وألينكم كنفاً، وأبرّكم بقرابته، وأشدّكم حبّاً لإخوانه في دينه، وأصبركم على الحق، وأكظمكم للغيظ، وأحسنكم عفواً، وأشدّكم من نفسه إنصافاً في الرّضا والغضب»[٦].

اللهم إنَّا نسألك المزيد من صلواتك وسلامك على مصدر الفضائل وينبوع الأخلاق، الذي ظل ماضياً على إنفاذ أمرك حتى أضاء الطَّريق للعالمين وهدى الله به القلوب، محمد وآله الطَّاهرين. اللهم اجعلنا ممّن يتخلق بأخلاقه في الدّنيا، واجعله اللهم شفيع ذنوبنا في الآخرة.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٨/ ص٤٣٨.
(٢) مكارم الأخلاق: ص١٨
(٣) الخصال: ج١/ ص٢٧١.
(٤) الكافي: ج٢/ ص١١٦.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٢/ ص٢٠٠.
(٦) الكافي: ج٢/ ص٢٤٠.

قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

شهـر شعبان المعظم

- الوليد الحبيب
- العناصر النفسية لشخصية أبي الفضل عليه السلام
- في رحاب الصحيفة السجادية
- صفات الشخصية التي قمعت الانتفاضة الشعبانية
- منهاج الرحمة
- مفاتيح شخصية علي بن الحسين الأكبر عليه السلام

الوليد الحبيب

الشَّيخ فراس الكدساوي

كان ذلك الفجر أبهى فجر، من السنة الثالثة للهجرة، حيث استقبل بأصابع من نور، وليداً ما أسعده، وما أعظمه.

في الثالث من شعبان المعظم غمر بيت الرسالة نور، سنيٌّ متألِّقٌ، إذ جاء ذلك الوليد المبارك واصطفاه الله ليكون امتداداً للرسالة، وقدوة للأمة، ومنقذاً للإنسان من أغلال الجهل والعبودية.

ولا ريب أنَّنا سوف ننبهر إذا لاحظنا بيت الرّسالة وهو يستقبل الوليد الجديد، فإذا به ﷺ يغمره مزيج من السّرور والحزن، ويطلب الوليد بكلّ رغبة ولهفة!.

بأبي أنت وأمّي، هل تخشى على الوليد نقصاً أو عيباً؟!

كلَّا.. إنَّ تفكير صاحب الرسالة يبلغ به مسافات أوسع وأبعد مما يفكّر فيه أي رجل آخر، ومسؤوليته أعظم من مسؤولية أب أو واجبات جد، أو وظائف قائد.. إنَّه مكوِّن أمة، وصانع تاريخ، ونذير الخالق -تعالى- إلى العالمين.

إنَّه يذهب بعيداً في تفكيره المعصوم فيقول: لابُدّ للمنية أن توافيه في يومٍ من الأيَّام، ولابُدَّ لجهوده أن تفسح أمامها مجالات أوسع مما بلغتها اليوم، فسوف تكون هناك أمَّة تدعى (بالأمة الإسلامية) تتخذ من شخص الرَّسول أسوة وقدوة صالحتين.

ولابُدَّ لهذه الأمَّة من هداة طاهرين، وقادة معصومين يهدون الأمَّة إلى الصراط المستقيم.. إلى الله العزيز الحكيم..

وسوف لا يكونون - كما أخبرته الرسالة مراراً - إلَّا ذريته الطيبة.

ولكن هل تجري الأُمور كما يريدها الرَّسول في المستقبل؟.

إنَّ وجود العناصر المنحرفة بين المسلمين نذيرٌ لا يرتاح له الرسول ﷺ على مستقبل الأمَّة.

وإنَّ الوحي قد نزل عليه غير مرّة يخبره بأنَّ المصير الذي رآه الحق المتمثّل في شخص الرسول ﷺ هو نفس المصير الذي يترقَّبه الحق المتمثِّل في آله عليهم السلام، وأنَّ العناصر التي قاومت الرّسالة في عهده سوف تكون العناصر نفسها التي تُقاوم-بنفس العنف والإصرار- امتداد الرِّسالة في عهد أبنائه الطَّيبين -صلوات الله عليه وعليهم-.

فقد علم أنَّه سوف تبلغ الموجة مركزها الجائش، وسوف يقف أنصار الحقّ والباطل موقفهم الفاصل في عهد الإمام الحسين عليه السلام، هذا الوليد الرَّضيع الذي يُقلِّب وجهه فيظهر مستقبلُه على ملامح الرسول وهو يضطرب على ساعديه المباركتين.

والنبي ﷺ يلقي نظرةً على المستقبل البعيد، ويعرج فيه فيلقي نظرة أخرى على هذا الرضيع الميمون فيهزّه البُشر حيناً، ويهيج به الحزن أحياناً، ولا يزال كذلك حتى تنهمر من عينيه المباركتين دموع، ودموع...

يبكي رسول الله ﷺ.. وما أشجعه، وهو الذي يلوذ بعريشه أشجع قريش وأبسلها، علي بن أبي طالب عليهما السلام حينما يشتدّ به الرّوع، فيكون أقرب المحاربين إلى العدو، ثمّ لا يفل ذلك من عزمه ومضائه قدر أنملة، لكنّه الآن يبكي وحوله نسوة في حفلة ميلاد.. فما أعجبه من حادث !..

تقول أسماء فقلت: فداك أبي وأمّي ممَّ بكاؤك ؟! قال: على ابني هذا ؟

فقلت: إنَّه ولد الساعة يا رسول الله ؟!

فقال: " تقتله الأمَّة الباغية من بعدي. لا أنالهم الله شفاعتي ".

إنَّ القضيّة التي تختلج في صدر رسول الله ﷺ ليست عاطفة إنسانية أو شهوة بشرية حتى تغريه عاطفة إعلاء ذكره وبقاء أثره في آله عليهم السلام.

كلا.. بل هي قضيّة رسول. اصطفاه الله واختاره على علم منه، بعزمه ومضائه، وصدقه وإيمانه.

قضية مَن تَحمَّل مسؤولية أشفقت من حملها السّماوات والأرض والجبال الرَّواسي.. إنَّها مسؤولية الرّسالة العامة إلى العالمين جميعاً.

والحسين عليه السلام ليس ابنه فقط، بل هو قدوة وأسوة لمن ينذر من بعده، فنبأ مصرعه – هو بالذات – نبأ مصرع الحق بالباطل، والصّدق بالكذب، والعدالة بالظّلم... وهكذا.

فيبكي النبيُّ ﷺ لذلك، ويحق له البكاء..

إنَّها ظاهرة ميلادٍ غريبة نجدها السَّاعة في بيت الرّسالة تمتزج المسرّة بالدموع، والابتسامة بالكآبة.. فهي حفلة الصَّالحين تدوم في رحلة مستمرّة بين الخوف والرّجاء، والضَّحك والبكاء.

لنصغِ قليلاً لنسمع السَّماء هل تشارك المحتفلين في هذا البيت الهادئ البسيط.

نعم. نسمع حفيفاً يقترب، ونظنّه حفيف الملائك، فإذا بهم ملؤا رحاب البيت.

يتقدم جبرئيل عليه السلام فيقول:

" يا محمد! العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول: علي منك بمنزلة هارون من موسى، ولا نبي بعدك. سمِّ ابنك هذا باسم ابن هارون؟

فيقول النبي ﷺ: وما اسم ابن هارون؟

فيجيب: شُبَير.

فيقول النبي ﷺ: لساني عربي؟!

فيجيب جبرائيل: سَمِّه الحسين. فيسميه الحسين[١].

ويتقدّم فطرس.

ومن هو هذا الملك المهيضة جناحاه يحمله رفاقه؟.

إنَّه بعيد من باب الله..، حتى وأتته أفواج من الملائكة، فقال لهم: مالي أراكم تعرجون وتهبطون، أقامت السَّاعة؟. فقال جبرائيل: كلّا، وإنَّما ولد للنبي الخاتم وليد، فنحن ذاهبون إلى تهنئته الساعة. فقال: أفلا يمكن أن تحملوني إليه علَّه يشفع لي فيُشفّع؟.

فجاء به جبرائيل عليه السلام.

فها هو ذا يتقدّم إلى الرَّسول صلى الله عليه وآله يتوسل به إلى الله.. فأومأ صلى الله عليه وآله إلى مهد الحسين وهو يهتز في وداعة، فراح الملك يلمس جوانب المهد بجناحيه المكسورتين، فإذا هو وقد ردَّهما الله عليه إكراماً منه لوجه الإمام الحسين عليه السلام عنده.

وتنتهي الحفلة، ويأخذ النبي صلى الله عليه وآله الرَّضيع الميمون بيديه، ويحتضنه ويؤذن في إحدى أُذنَيه، ويُقيم في الأخرى. ثم يجعل لسانه في فم الوليد فيغذِّيه من رضابه الشَّريف ما شاء.

ثم يعقُّ عنه بعد أسبوع بكبشين أملحين، ويتصدَّق بزنة شعر رأسه بعد أن حلقه دراهم، ثم يعطِّره ويومئ إلى أسماء فيقول: " الدم من الجاهلية ".

وهكذا ينقلب الجد الحنون إلى أسوة حسنة للمسلمين، فلا يكتفي بإجراء الآداب الإسلامية، وهي في روعتها ونضارتها – عملاً – وإنَّما ينسخ بالقول أيضاً لعنة الجاهلية، حيث كانوا يضمخون رؤوس ولدانهم بالدم إعلاناً لتوحشهم، وإيذاناً لطلب ثاراتهم.

ولم يزل ذلك الوليد المبارك يترعرع في أحضان الرسالة، ويعتني به الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وربيبها أمير المؤمنين علي–صلوات الله عليه– حتى بلغ من العمر زهاء سنتين، ولكن لم يتفتح لسانه عن أداء الكلام أبداً.

عجبًا. إنَّ ملامح الوليد تدلُّ على ذكاء مفرط، ومضاء جديد، ومع ذلك فَلِم لم يتكلَّم بعد، أيمكن أن يكون ذلك

(١) انظر كتاب قاموس اللغة – في مادة شبر – وكتاب بحار الأنوار: ج ١٠٤/ ص ١١١.

لثقل في لسانه؟!

وذات يوم إذ اصطفّ المسلمون لإقامة صلاة الجماعة، يَؤمُّهم الرَّسول الأعظمﷺ، وإلى جانبه حفيده الحبيب الحسين عليه السلام ولمَّا تهيأ القوم للتحريم، كان الخشوع مستولياً على القلوب. والهدوء سائداً على الجو، والكل ينتظرون أن يُكَبِّر الرَّسول فَيُكَبِّروا معه، فإذا هم بصوته الخاشع الوديع يكسر سلطان السكوت ويقول: الله أكبر...

وإذا بصوت ناعم خافت يشبه تماماً صوت النَّبي ﷺ بكلّ نغماته ونبراته وما فيه من خشوع ووداعة يقول: الله أكبر...

إنَّه صوت الحسين عليه السلام.

فكرّر الرَّسول: الله أكبر... فأرجع الحسين الله أكبر، والمسلمون يستمعون ويكبِّرون، ويتعجبون !! فردّد الرسول ﷺ ذلك سبعاً، ورجَّعه الحسين عليه السلام سبعاً، ثم استمر النبي ﷺ في صلاته والحسين عليه السلام يسترجع منه.

فقد كانت أوّل كلمة لفظها فم الحسين عليه السلام كلمة التَّوحيد: الله أكبر.

وفيما نخطو مع التاريخ بعض الخطوات الفاصلة ننظر إلى هذا الوليد بالذات - ذلك الذي لم يفتح فمه إلاّ على كلمة الله أكبر - ننظر إليه بعد خمس وخمسين سنة وهو يمارس آخر خطوات الجهاد المقدَّس، ويعالج آخر لحظات الألم وقد طرح على الرّمضاء، تلفحه حرارة الشَّمس، ويمزق كبده الشَّريف حرّ العطش، ويلفه حر السّلاح المصلصل، فنستمع إليه وهو يحرّك شفَتَين طالما لمستهما شَفَتا رسول الله ﷺ يتضرّع إلى بارئه، يقول: " إلهي... رضاً برضاك، لا معبود سواك ". ولايزال يتمتّع حتى يُعرج بروحه الطَّاهرة المقدَّسة إلى السَّماء، عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

وإذا ثبت بالتجارب الحديثة أنَّ للوراثة آثارها البالغة، وأنَّ للتربية حظّها الكبير في إنماء خلق الطّفل وتكييف صفاته، فلا نشكّ في أنَّ أبوي الحسين -عليه وعليهما السلام- كانا من أرفع الآباء خُلقاً، وأكرمهم نسباً. وإنَّ تربيتهما كانت أحسن تربية وأشرفها وأقدرها على إنماء الأخلاق الفاضلة، والسَّجايا الحميدة في نفس الإنسان.

وهل نشكّ في ربيب الرّسول ذاته، وربيب مَن ربّاهما الرَّسول فاطمة وعلي عليهم جميعاً صلوات الله وتحيّاته؟. أفلا نرضى من الله العزيز كلمته العظيمة في القرآن الكريم حيث يقول:

(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)[١] . فالبحران هما بحر النّبوّة ومنبعه فاطمة عليها السلام عن الرّسول صلى الله عليه وآله، وبحر الوصاية من قِبَلِ الإمام عليٍّ عليه السلام. فلابُدَّ لهذين البحرين – إذا التقيا – أن يخرج منهما اللؤلؤ الحسن، والمرجان الحسين عليه السلام.

هذه هي الوراثة.. إنَّها أقدس وأرفع ممّا يُتصور.. ولا تسأل عن التَّربية، فلقد كانت أنصع وأروع من كلّ تربية، كان شخص الرّسول صلى الله عليه وآله يهتمّ بالحسين عليه السلام وتربيته بصورة مباشرة.

وبين يديك حديثان تعرف منهما مدى رعاية الرّسول صلى الله عليه وآله لشأن الحسين عليه السلام، ممّا يؤكِّد لك أنَّ الحسين لم يكن ربيب علي وفاطمة عليهما السلام فقط، بل تربَّى على يد جدِّه النبيِّ صلى الله عليه وآله ذاته.

عن يعلى العامري أنَّه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طعام دعي له. فإذا هو بالحسين عليه السلام يلعب مع الصبيان فاستقبل النبي صلى الله عليه وآله أمام القوم... ثم بسط يديه فطفر الصّبيُّ هاهنا مرّة وهاهنا مرّة، وجعل رسول الله يضاحكه حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفاه، ووضع فاه إلى فيه وقَبَّله[٢] .

واستسقى الحسن عليه السلام فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فجدع له في غمر كان لهم[٣] ثمَّ أتاه به.

فقام الحسين عليه السلام فقال: " اسقنيه يا أبه " فأعطاه الحسن ثم جرَّع للحسين عليه السلام فسقاه.

فقالت فاطمة عليها السلام: " كأنَّ الحسن أَحبَّهما إليك " ؟.

قال: " إنّه استسقى قبله، وإنِّي وإياك وهما وهذا الرّاقد – وأومأ إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام في مكان من الجنة"[٤].

وظلّ الوليد النَّبيه يشبّ في كنف الرسول، وظلَّ الوالدان الطّاهران، والرَّسول يوليه من العناية والرّعاية ما يبهر ألباب الصّحابة ويحيِّرهم. ولطالما بعث الرّسول بكلماته النَّيِّرة على سمع المئات المحتشدة من المسلمين يقول: " الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة ". و " الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا " ويقول: " حسين منِّي وأنا من حسين ".

ويرفعه بين الناس – وهم ينظرون – فينادي: " أيُّها الناس هذا الحسين بن علي فاعرفوه ".

---

(١) سورة الرحمن/ ١٩-٢٢.

(٢) مستدرك: ج ٢/ ص ٦٢٦.

(٣) أي غرف لهم من قدح ماء.

(٤) معالم الزلفى: ص ٢٥٩ .

ثم يردف قائلاً: " والذي نفسي بيده إنَّه في الجنة ومعه أحبَّاؤه ".

وقد يتبوّأ له مقعداً في حضنه المبارك ويشير إليه فيقول: " اللـهم إنِّي أُحبه فأَحبه ".

ولطالما يحمله هو وأخاه على كاهله الكريم وينقلهما من هنا إلى هناك، والملأ من المسلمين يشهـدون.

وهكذا ترعرع الوليد الحبيب في ظل الرسالة وفي كنف الرسول، وأخذ منهما حظّاً وافراً من المجد والسناء.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ

العناصر النفسية لشخصية أبي الفضل عليه السلام

السيد عصام الموسوي

كان سيّدنا العباس عليه السلام دنيا من الفضائل والمآثر، فما من صفة كريمة أو نزعة رفيعة إلاّ وهي من عناصره وذاتياته، وحسبه فخراً أنّه نجل الإمام أمير المؤمنين الذي حوى جميع فضائل الدُّنيا، وقد ورث أبو الفضل فضائل أبيه وخصائصه، حتى صار عند المسلمين رمزاً لكلّ فضيلة، وعنواناً لجميع القيم الرَّفيعة، ونلمح ـ بإيجاز ـ لبعض صفاته:

١ ـ الشَّجاعة:

أمّا الشَّجاعة فهي من أسمى صفات الرّجولة لأنَّها تنمّ عن قوّة الشَّخصيّة وصلابتها، وتماسكها أمام الأحداث، وقد ورث أبو الفضل هذه الصِّفة الكريمة من أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أشجع إنسان في دنيا الوجود، كما ورث هذه الصِّفة من أخواله الذين تميّزوا بهذه الظَّاهرة، وعرفوا بها من بين سائر الأحياء العربيّة .

لقد كان أبو الفضل عليه السلام دنيا في البطولات، فلم يخالج قلبه خوف ولا رعب في الحروب التي خاضها مع أبيه كما يقول بعض المؤرِّخين، وقد أبدى من الشَّجاعة يوم الطَّف ما صار مضرب المثل على امتداد التأريخ، فقد كان ذلك اليوم من أعظم الملاحم التي جرت في الإسلام، وقد برز فيه أبو الفضل أمام تلك القوى التي ملأت البيداء فجبَّنَ الشّجعان وأرعب قلوب عامَّة الجيش، فزلزلت الأرض تحت أقدامهم وخيّم عليهم الموت، وراحوا يمنّونه بإعطاء القيادة العامة إن تخلّى عن مساندة أخيه، فهزّأ منهم العبَّاس، وزاده ذلك تصلّباً في الدِّفاع عن عقيدته ومبادئه.

إنَّ شجاعة أبي الفضل عليه السلام، وما أبداه من البسالة يوم الطَّفّ لم تكن من أجل مغنم مادّي من هذه الحياة، وإنَّما كانت دفاعاً عن أقدس المبادئ الماثلة في نهضة أخيه سيِّد الشّهداء المدافع الأوَّل عن حقوق المظلومين والمضطهدين.

مع الشّعراء:

وقد بهر شعراء الإسلام بشجاعة أبي الفضل عليه السلام، وقوّة بأسه وما ألحقه بالجيش الأموي من الهزيمة السَّاحقة، ووصف الشَّاعر العلوي السّيّد جعفر الحلّي في رائعته ما مُني به الجيش الأموي من الرُّعب والفزع من أبي الفضل عليه السلام يقول:

عَبَسَت وُجوهُ القَومِ خَوفَ المَوتِ والـ ... عبّاسُ فيهم ضاحِكٌ مُتَبَسِّمُ
قَلَبَ اليَمينَ على الشِّمالِ وغاصَ في الـ ... اوساطِ يَحصُدُ للرؤوسِ ويَحطِمُ
بَطَلٌ تورَّثَ مِن أبيه شَجاعَةً ... فيها انُوفُ بني الظَّلالَةِ تُرغَمُ
عَرَفَ المواعظَ لا تُفيد بمَعشَرٍ ... صموا عَنِ النَّبأ العظيم كما عَموا
فانصاعَ يخطب بالجَماجم والكُلا ... فالسَّيفُ ينثرُ والمُثقَّفُ يَنظِمُ
لو سدّ ذِي القَرنينِ دونَ ورُوُدِهِ ... نسفتهُ هِمَّته بما هو أعظَمُ
لولا القَضا لَمحى الوجودَ بِسَيفِهِ ... أم أينَ مِن عَليا أبيه مُكدَّمُ
بَطَلٌ إذا رَكِبَ المُطَّهَمَ خِلتَهُ ... واللهُ يقضي ما يشاءُ ويَحكُمُ
قسماً بصارِمِهِ الصَّقيل وإنّني ... في غير صاعقةِ السَّما لا اقسِمُ
حامي الضَّعينةِ أينَ مِنهُ رَبيعةٌ ... جَبَلاً أشَمَّ يَخِفُّ فيه مُطهَّمُ

أرأيتم هذا الوصف الرائع لبسالة أبي الفضل وقوّة بأسه وشجاعته النَّادرة.

أرأيتم كيف وصف الحلّي ما حلّ بالجيش الأموي من الجبن الشّامل، والهزيمة السَّاحقة حينما برز إليهم قمر بني هاشم وبطل الإسلام فأنزل بهم العذاب الأليم، وترك صفوفهم تموج من الخوف والرّعب، وكان العباس متبسّماً مثلوج الفؤاد مما ينزل بهم من الخسائر الفادحة، فقد ملأ ساحات المعركة بجثث قتلاهم، وصبغ خيولهم بدمائهم، وفيما أحسب أنّه لم توصف البسالة والشَّجاعة بمثل هذا الوصف الرَّائع الدَّقيق، والذي لا مبالغة فيه

حسبما تحدّث الرّواة عمّا أنزله العباس ﷺ بأهل الكوفة من الخسائر الجسيمة .

لقد كان سيف أبي الفضل صاعقة مدمّرة قد حلّت بأهل الكوفة، ولولا قضاء الله لأتى العبّاس على الجيش، ومحاهم من ساحة الوجود .

إنَّ شجاعة أبي الفضل قد أدهشت أفذاذ الشّعراء، وصارت مضرب المثل على امتداد التأريخ، ومما زاد في أهمّيّتها أنَّها كانت لنصرة الحقّ والذَّبّ عن المثل والمبادئ التي جاء بها الإسلام، وأنَّها لم تكن بأيّ حالٍ من أجل مغنم مادّي من مغانم هذه الحياة .

٢ ـ الإيمان بالله -تعالى-:

أمّا قوّة الإيمان بالله -تعالى-، وصلابته فإنَّها من أبرز العناصر في شخصيّة أبي الفضل ﷺ، ومن أوليات صفاته، فقد تربّى في حجور الإيمان ومراكز التّقوى، ومعاهد الطَّاعة والعبادة لله -تعالى-، فقد غذّاه أبوه زعيم الموحّدين، وسيِّد المتَّقين بجوهر الإيمان، وواقع التَّوحيد، لقد غذَّاه بالإيمان النَّاشئ عن الوعي، والتَّدبّر في حقائق الكون، وأسرار الطَّبيعة، وقد تفاعل هذا الإيمان العميق في أعماق قلب أبي الفضل وفي دخائل ذاته حتى صار من عمالقة المتَّقين والموحّدين، وكان من عظيم إيمانه الذي لا يحد أنَّه قدّم نفسه وإخوته وبعض أبنائه قرابين خالصة لوجه الله -تعالى- .

لقد جاهد العبَّاس ﷺ ببسالة دفاعاً عن دين الله، وحماية لمبادئ الإسلام التي تعرَّضت للخطر الماحق أيّام الحكم الأموي، ولم يبغِ بذلك إلاّ وجه الله والدَّار الآخرة .

٣ ـ الإباء:

وصفة أخرى من أسمى صفات أبي الفضل ﷺ، وهي الإباء وعزّة النَّفس فقد أبى أن يعيش ذليلاً في ظلّ الحكم الأموي الذي اتخذ مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، فاندفع إلى ساحات الجهاد كما اندفع أخوه أبو الأحرار الذي رفع شعار العزّة والكرامة، وأعلن أنَّ الموت تحت ظلال الأسنَّة سعادة، والحياة مع الظَّالمين برماً، لقد مثّل أبو الفضل ﷺ يوم الطَّفِّ الإباء بجميع رحابه ومفاهيمه فقد منّاه الأمويون بإمارة الجيش، وإسناد القيادة العامَّة له أن تخلّى عن أخيه سيِّد شباب أهل الجنّة، فهزأ منهم وجعل إمارة جيشهم تحت حذائه، واندفع بشوق وإخلاص إلى ميادين الحرب يجندل الأبطال ويحصد الرّؤوس دفاعاً عن حرّيّته ودينه وكرامته .

٤ ـ الصَّبر:

ومن خصائص أبي الفضل عليه السلام ومميِّزاته الصَّبر على محن الزَّمان، ونوائب الدَّهر، فقد ألَّمت به يوم الطَّفّ من المصائب والمحن التي تذوب من هولها الجبال، فلم يجزع، ولم يفه بأيّ كلمة تدلّ على سخطه، وعدم رضاه بما جرى عليه وعلى أهل بيته، وإنَّما سلَّم أمره إلى الخالق العظيم، مقتدياً بأخيه سيِّد الشّهداء عليه السلام الذي لو وزن صبره بالجبال الرَّواسي لرجح عليها، لقد رأى أبو الفضل عليه السلام الكواكب المشرقة، والممجدين الأوفياء من أصحابه وهم مجزّرون كالأضاحي في رمضاء كربلاء تصهرهم الشَّمس، وسمع عويل الأطفال، وهم ينادون العطش العطش، وسمع صراخ عقائل الوحي، وهنّ يندبن قتلاهنّ، ورأى وحدة أخيه سيّد الشهداء، وقد أحاط به آنذال أهل الكوفة يبغون قتله تقرّباً لسيّدهم ابن مرجانة، رأى أبو الفضل عليه السلام كل هذه الشَّدائد الجسام فلم يجزع وسلّم أمره إلى الله -تعالى-، مبتغياً الأجر من عنده .

٥ ـ الوفاء:

ومن خصائص أبي الفضل عليه السلام الوفاء الذي هو من أنبل الصِّفات وأميزها، فقد ضرب الرَّقم القياسي في هذه الصِّفة الكريمة وبلغ أسمى حدٍّ لها، فقد كان وفيّاً لدينه، ولأمّته، ولوطنه، ولأخيه .

لقد وفى أبو الفضل ما عاهد الله عليه من البيعة لأخيه ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمدافع الأوّل عن حقوق المظلومين والمضطهدين، ولم يرَ النَّاس على امتداد التاريخ وفاءً مثل وفاء أبي الفضل لأخيه الإمام الحسين عليه السلام، ومن المقطوع به أنَّه ليس في سجلّ الوفاء الإنساني أجمل ولا أنظر من ذلك الوفاء الذي أصبح قطباً جاذباً لكلّ إنسان حرّ شريف .

٦ ـ قوّة الإرادة:

أمّا قوّة الإرادة فإنَّها من أميز صفات العظماء الخالدين الذين كُتب لهم النَّجاح في أعمالهم إذ يستحيل أن يحقّق من كان خائر الإرادة، وضعيف الهمَّة أي هدف اجتماعي، أو يقوم بأيّ عملٍ سياسي .

لقد كان أبو الفضل عليه السلام من الطّراز الأوَّل في قوَّة بأسه، وصلابة إرادته، فانظمّ إلى معسكر الحق، ولم يهن، ولم ينكل، وبرز على مسرح التأريخ كأعظم قائد فذّ، ولو لم يتّصف بهذه الظّاهرة لما كتب له الفخر والخلود على امتداد الأيَّام .

٧ ـ الرَّأفة والرَّحمة:

وأترعت نفس أبي الفضل بالرَّأفة والرَّحمة على المحرومين، والمضطهدين وقد تجلَّت هذه الظَّاهرة بأروع صورها في كربلاء حينما احتلّت جيوش الأمويين حوض الفرات لحرمان أهل البيت عليهم السلام من الماء حتى يموتوا أو يستسلموا لهم، ولما رأى العباس عليه السلام أطفال أخيه، وسائر الصِّبية من أبناء أخوته، وقد ذبلت شفاههم، وتغيّرت ألوانهم من شدّة الظمأ ذاب قلبه حناناً وعطفاً عليهم، فاقتحم الفرات، وحمل الماء إليهم، وسقاهم، وفي اليوم العاشر من المحرّم، سمع الأطفال ينادون العطش العطش، فتفتت كبده رحمة ورأفة عليهم، فأخذ القربة، والتحم مع أعداء الله حتى كشفهم عن نهر الفرات، فغرف منه غرفة ليروي ظمأه فأبت رحمته أن يشرب قبل أخيه وأطفاله، فرمى الماء من يده، فتّشوا في تاريخ الأمم والشّعوب فهل تجدون مثل هذه الرّأفة والرَّحمة، التي تحلَّى بها قمر بني هاشم وفخر عدنان، هذه بعض عناصر أبي الفضل وصفاته، وقد ارتقى بها إلى قمّة المجد التي ارتقى إليها أبوه .

في رحاب الصحيفة السجادية

الشيخ حيدر حسن

لقد خطَّط القرآن الكريم لثورة ثقافية عظيمة، وكانت آياته الأولى تبشِّر بحركة كبرى في عالم العلم والمعرفة، حيث ابتدأ الوحي الرّبّاني بالأمر بالقراءة أمراً مؤكّداً والإشارة بنعمة التعليم الإلهي والاهتمام بظاهرتي القلم والكتابة في التّعليم، وتدوين المعرفة ونقلها وتطويرها، وتطوير الإنسان من خلال تكامل المعرفة وتطوّر العلوم.

كما حثَّ الرَّسول الأمين صلى الله عليه وآله على طلب العلم، ونشره، وتدوينه، وبالرغم من أنّ الجهاز الحاكم الذي خلف الرَّسول صلى الله عليه وآله أصدر قراراً بمنع تدوين حديث الرسول صلى الله عليه وآله وبذلك وجّه ضَربةً كبيرةً للثقافة الإسلامية المتمثّلة في أحاديث الرَّسول الأعظم، لكنَّها قد تداركها أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد أن خلّفت مضاعفات كبيرةً لا يزال العالم الإسلامي والإنساني يدفع ضريبتها حتَّى يومنا هذا.

فالأئمّة الأطهار عليهم السلام هم مصابيح الهدى، وسفن النَّجاة الذين خطّطوا لمسيرة الأُمّة الثّقافية، وفجّروا لها ينابيع العلم والحكمة على هدي الكتاب الحكيم وتعاليم الرَّسول العظيم، ولم يقتصر النَّشاط الثَّقافي للأئمّة عليهم السلام على جانب خاص، وإنّما تناول أنواع العلوم وشتّى مجالات المعرفة .

وتعد الصّحيفة السّجّادية للإمام علي بن الحسين عليهما السلام من ذخائر التراث الإسلامي ومن مناجم كتب البلاغة والتربية والأخلاق والأدب في الإسلام، ومن هنا سُمِّيت بـ «إنجيل أهل البيت» و «زبور آل محمد».

مميزات الصَّحيفة السَّجّاديّة:

١ ـ إنَّها تُمثِّل التَّجرّد التَّام من عالم المادّة، والانقطاع الكامل إلى الله –تعالى– والاعتصام به، والذي هو أثمن ما في الحياة.

٢ ـ إنَّها تكشف عن كمال معرفة الإمام عليه السلام بالله –تعالى– وعميق إيمانه به.

٣ ـ امتازت الصَّحيفة السّجّادية على سائر أدعية المعصومين عليهم السلام بتكرار الصَّلاة على محمّد وآل محمد لأنَّه من الأرجح أنَّ هذه الأدعية أُنشئت في أعقاب واقعة كربلاء التي كان منشؤها يزيد الذي كان هو وأبوه وجدّه ومن ورائهم بنو أميّة يسعون في إطفاء النُّور المحمّدي صلى الله عليه وآله.

والأرجح أنَّ الإمام كان يريد من خلال هذه الأدعية تكريس مبادئ الإسلام، وترسيخها في النّفوس في مواجهة المساعي الأُموية الهدّامة.

٤ ـ فتحت الصَّحيفة للإنسان المسلم أبواب الأمل والرَّجاء برحمة الله–تعالى– الواسعة.

٥ ـ كما فتحت باباً مهمّاً مع الله –تعالى– يتضمّن أنواع الحجج البالغة لاستجلاب عفو الله وغفرانه، مثل قوله عليه السلام: « إلهي إن كنتَ لا تغفر إلاّ لأوليائك وأهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون؟ ! وإن كنتَ لا تُكرِم إلاّ أهل الوفاء لك فبمن يستغيث المُسيئون؟!».

وهكذا قوله: « إلهي إنّي امرؤ حقير وخطري يسير وليس عذابي ممَّا يزيد في ملكك مثقال ذرَّة ... ».

٦ ـ تضمَّنت الصَّحيفة برامج أخلاقيّة روحيّة وسلوكيَّة مهمَّة لتربية الإنسان، ورسمت له أُصول الفضائل النَّفسيّة والكمالات المعنويّة.

٧ ـ احتوت على حقائق علميّة لم تكن معروفةً في عصره.

٨ ـ كما تصدّت الصَّحيفة لمواجهة الفساد الفردي والاجتماعي والسّياسي في عصرٍ أشاعت فيه السِّياسة الأموية الفساد الأخلاقي والخلاعة والمجون بين المسلمين، فكانت الصَّحيفة خير وسيلة للإصلاح في أحلك الظّروف التي اتّبع فيها الأُمويون سياسة القمع والإرهاب.

٩ ـ والصَّحيفة بعد هذا هي منجم من مناجم البلاغة والفصاحة وينبوع ثرّ للأدب الإسلامي الهادف، فهي لا

تفترق عن «نهج البلاغة» في هذا المضمار.

١٠ ـ ضمّن الإمام زين العابدين عليه السلام أدعيته ـ التي تمثّلت في الصَّحيفة الكاملة وسائر الأدعية التي وصلت عنه وجُمعت مؤخّراً في ما سمِّي بـ (الصَّحيفة الجامعة) ـ منهاجاً كاملاً للحياة الإنسانية الفريدة، ولم يترك الإمام جانباً ممَّا تحتاجه الأُمَّة الإسلامية إلاّ وتعرّض له وعالجه بأسلوبه الفذّ وبلاغته البديعة.

الدَّور التّأريخي للصحيفة السَّجّاديّة:

إنَّ المسلمين في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام واجهوا «خطرين كبيرين خارج النِّطاق السِّياسي والعسكري، وكان لا بُدَّ من البدء بعملٍ حاسم للوقوف في وجههما:

أحدهما: الخطر الذي نجم عن انفتاح المسلمين على ثقافاتٍ متنوِّعة، وأعراف تشريعيَّة وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشّعوب التي دخلت في دين الله أفواجاً، وكان لا بُدَّ من عمل على الصَّعيد العلمي يؤكِّد في المسلمين أصالتهم الفكريَّة وشخصيتهم التَّشريعيَّة المتميِّزة المستمدَّة من الكتاب والسّنَّة، وكان لا بُدّ من حركة فكرية اجتهادية تفتح آفاقهم الذِّهنيّة ضمن ذلك الإطار لكي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسّنّة بروح المجتهد البصير والممارس الذَّكيّ الذي يستطيع أن يستنبط منها ما يفيده في كلِّ ما يستجدّ له من حالات.

كان لا بد إذن من تأصيلٍ للشخصية الإسلامية ومن زرع بذور الاجتهاد، وهذا ما قام به الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام فقد بدأ حلقة من البحث والدَّرس في مسجد الرَّسول صلى الله عليه وآله...

وأمّا الخطر الآخر: فقد نجم عن موجة الرَّخاء التي سادت المجتمع الإسلامي في أعقاب ذلك الامتداد الهائل؛ لأنَّ موجات الرَّخاء تُعرّض أيّ مجتمع إلى خطر الانسياق مع ملذّات الدّنيا والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة وانطفاء الشّعور الملتهب بالقيم الخلقية والصّلة الرّوحية بالله واليوم الآخر.

وقد عرف الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام بهذا الخطر، وبدأ بعلاجه، واتّخذ من الدّعاء أساساً لهذا العلاج.

لقد استطاع الإمام عليّ بن الحسين بما أُوتي من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدّعاء جوّاً روحيّاً في المجتمع الإسلامي يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات، وشدّه إلى ربِّه حينما تجرّه الأرض إليها وتأكيد ما نشأ عليه من قيم روحيَّة، لكي يظلّ أميناً عليها في عصر الغنى والثَّروة.

وهكذا نعرف أنَّ الصَّحيفة السَّجّادية تعبّر عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام، إضافةً إلى كونها تراثاً ربَّانيّاً فريداً يظلّ على مرّ الدّهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب وتظلّ الإنسانيّة بحاجة إلى هذا التّراث المحمّدي العلوي، وتزداد حاجةً كلَّما ازداد الشيطان إغراءً والدنيا فتنة .

فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك

صفات الشَّخصية التي قمعت الانتفاضة الشَّعبانية

سليم عادل الحسناوي

من المحتم أنَّ نظاماً أقام كيانه على القهر والظّلم والتنكر للمُثل والقيم الإنسانية هو نظام زائل لا محالة.

ولا فرق بين أن يزول بقوّة خارجية أو بقوّة من الدَّاخل؛ لأنَّه إذا لم يحن أوان زواله فلا تستطيع أيَّة قوّة خارجية من إزالته حتى لو تكالبت عليه جميع دول العالم.

فالنّظام الصَّالح لا يمكن إزالته بقوَّة قهرية وحتى لو تمَّت إزالته فسيبقى أمثولة للأنظمة الرَّشيدة التي سرعان ما تعود بعد وقتٍ قصير. ونظام البعث المقبور الذي تجبَّر وطغى، وجعل أهل العراق شيعاً وأحزاباً لم يدّخر لنفسه أيّ عنصر من عناصر البقاء، فحتّى الذين جاؤوا به إلى الحكم وقدَّموا له أسخى المساعدات وآزروه في المواقف العصيبة التي مرّ بها كانوا هم أوّل من تمنّى زواله وتحيّنوا الفرص للتخلّص منه.

ولنا شاهدٌ على ذلك في علاقته مع دول الخليج التي وفّت له في حربه مع إيران، وقدَّمت له حتى استقلالها وأمنها خدمة له ولحربه، لكن ماذا كان موقف النِّظام منها سوى الغدر والخيانة بحقّ الذين أحسنوا إليه وهذا أمرٌ طبيعي فالأنظمة الاستبدادية المتجبّرة تنظر إلى غيرها على أنَّهم عبيد وخدم فلا صديق لها لأنَّه ليس لها عهدٌ ولا ذمَّة، وهذا هو مقتل هذه الأنظمة؛ لأنَّ زوالها يصبح من الأمور المستحيلة إلَّا إذا تمَّت على أيدي الذين ساندوها وآزروها

ووقفوا إلى جانبها.

ونظام البعث المقبور أنموذج صارخ، فقد عجزت كلّ الوسائل والسُّبل لإزاحته، فمئات الانقلابات العسكرية التي كانت الواحدة منها كافية لأن تطيح أعتى الحكومات التي مرّت على العراق لم تستطع من إزالته، بل حتى الانتفاضة العارمة التي اشترك فيها جلُّ الشَّعب العراقي والتي لو كانت قد حدثت في مكان آخر لقلعت من الوجود أعتى قوّة، هذه الانتفاضة لم تستطع هي أيضاً من إزاحة الطاغية بالرغم من سيطرتها على أكثر المحافظات العراقية.

فلم تبقَ إلا الضَّربة القاضية القادمة عبر الحدود ولتحيل اللانظام إلى ذرّات من الرَّمل.

وليس بدعة أنَّ أمريكا التي آزرت صدّاماً وأمدَّته بكلِّ وسائل البقاء أن تعمل على إزاحته؛ لأنَّه لا بُدّ لكل طاغية من نهاية، فإذا لم تكُن نهايته بالوسائل الطبيعية فستتم بالوسائل غير الطَّبيعية.

ولكن السّؤال المهم كيف استقوى هذا النظام واستطاع أن يحكم العراق بالحديد والنار، حتى لا تتكرّر التجربة من جديد؟

عناصر وأساليب الاستقواء

تفرّد النظام بعقلية خاصة هي منشأ استقوائه على الشَّعب الأعزل، وربما كانت هذه العقلية هي طبيعة سيكلوجية جُبل عليها النِّظام .

مكونات هذه العقلية:

١: الفوقية. ٢: الدَّموية. ٣: الفئوية. ٤: التَّذبذب. ٥: الصّنميّة. ٦: المصلحية. ٧: التّآمر.

وإليك شرحاً موجزاً لمكوِّنات هذه العقلية:

أوَّلًا: العقلية الفوقية

باختصار مُفيد يرى المقبور نفسه فوق الجميع، وهو الطَّالب الفاشل في كلّيّة الحقوق، فقد مارس السلطة زهاء ثلاثة عقود وهو يرى نفسه أعلى من الجميع، أعلى في العلم والخبرة والتَّجربة حتى أنَّه كان يرى نفسه أعلى من

رؤساء الدّول العربية.

والذي يمتلك هذا الشُّعور لا يكتفي بسيل المديح الذي يسمعه من الآخرين، ولا تتقاطر صوره على الجدران وعلى صفحات الجرائد والمجلّات بل لا يشبع نهمهُ إلا أن يأتي على ذكر اسمه بنفسه فلا نجد خطاباً للطاغية صدام حسين دون ذكر اسمه وهو يتحدَّث عن فضائله ومحاسنه وهذه الخصلة منبثقة من تلك الرّوح الفوقية التي جُبل عليها الطاغية الذي أخذ يحكم البلاد بألقاب لا يستحقّها من فريق أول ومهيب ركن وغيرها من الألقاب التي أطلقها على نفسه والتي أصبحت أطروحات دكتوراه هي وأفكاره التي تقدّم بها المتزلفون والطّبّالون والزّمّارون.

ثانياً: العقلية الدَّمويّة

الدم المساند الأول لذلك الشخص المريض الذي جاء من قرية العوجة حافي القدمين وجعل منه رئيسًا لأعرق بلد في التاريخ والحضارة.

الدَّم هو الذي أوصله إلى قيادة الحزب الكافر ومنه إلى قيادة الدَّولة، فكان الحل الجاهز لأيَّة مشكلة تواجهه سواء على الصَّعيد الفردي أو الحزبي أو على صعيد الدَّولة أو على صعيد العلاقات الدّولية.

ولعل أفضل لقطة له اعتاد التلفزيون العراقي على عرضها بين لحظة وأخرى هي اللقطة التي يأخذ فيها الرّشاش بيده، والعلة أنها لقطة تستهويه الذي أصبح لا يشبع جوعه إلا منظر الدم والقتل ولا يحق أن يرى معاونيه ووزرائه إلا بملابس القتلة.

والحديث عن مسلسل القتل الدموي الذي مارسه الطاغية حديث طويل كتبت فيها المجلدات وأفردت فيه الدِّراسات.

ثالثاً: العقلية الفئوية

من يتمعن في سجلّ الطاغية يكتشف بسهولة أنَّه لا يحبُّ سوى نفسه ومن يخدمه ويصفّق له ويحني رأسه ويسجد تحت أقدامه، فلو كان يحب العراق لجَنَّبه هذا الدَّمار والخراب الذي لحق به، ولو أنَّه يحب أهل العراق لجنَّبهم هذا الموت الذي يلاحقهم كلّ عشر سنين.

في مطلع الثّمانينات شنَّ الحرب ضد إيران التي قضت على أكثر من مليون عراقي بين قتيل ومفقود.

وفي مطلع التّسعينات غزا الكويت مسبّباً في حرب الخليج الثّانية التي جاءت على ما تبقّى من العراقيين.

ومن بعد ذلك قمع الانتفاضة الشعبانية المباركة. ومن بعد ذلك أدخل العراق في حرب مع أقوى الدول في العالم ليدمّر العراق وجيشه.

لقد أغمض الطاغية عينه عن كلِّ المقاسات والقيم ووضع مقاساً واحداً لتقويم الأفراد هو مقدار ولائهم بشخصه، وحتى الحزب لم يعد إلّا وسيلة لتكريس فرديته وسلطاته.

رابعاً: العقلية المتذبذبة

ولما كان الحاكم المستبد هو شخص ضعيف يتظاهر بالقوّة، لذا وجدناه لا يقرُّ بحقيقة ضعفه ولا يعترف بالهزائم، بل يحاول أن يظهر مواقفه وكأنّها نابعة من قوّة حقيقية. ويكفي أن نضع كلمات الطّاغية التي قالها في فترات مختلفة لتكتشف ضعفه من خلال مواقفه المتذبذبة وكلماته المتناقضة التي يصوغها لمصلحته المؤقتة.

ويا ليت المستبدون يفكّرون لحظة واحدة قبل إطلاق تصريح أو قول لأنّهم بعد فترة وجيزة سينطقون بما يخالفه ويعاكسه، المشكلة أنَّ ذاكرة الدّكتاتور ضعيفة جداً فهو ينسى مواقفه وينسى ما أطلقه لسانه.

خامساً: العقلية الصَّنمية

فمن لا واقع له يبحث عن الأوهام لعلَّه يجد ما يُشبع غليله، فهذا الطَّالب الجامعي الفاشل في كلّيّة الحقوق يتشبث بكل حشيشة، من أجل الوصول إلى مبتغاه وهو أن يكون رمزاً، أجل «الرمزية» الظاهرة التي ابتلي بها العراق؛ لأنّها تزييف للواقع وتحايل على الواقع، الرَّمزية تعني الصَّنمية، الرَّمزية معناها أن تُضفي على شخص نكرة سمات لا وجود لها فيه، وأن تدفع بأجواق الطَّبّالين والزَّمّارين والشُّعراء والأدباء ليتفننوا في العزف على اسم القائد الرَّمز، وليرسموا له الصّور والرّسوم، ولينظموا في حقّه القصائد ويكتبوا فيه الرّوايات والقصص والملاحم. وهذا بالضبط ما فعلوا بالطاغية فقد جمع في ألبومه من الأغاني والصور والقصائد ما لم يمتلكه ملوك الفُرس والرّوم.

سادساً: العقلية المصلحية

الرَّاصد لسيرة الطاغية يجد أنَّه لم يلتزم بمبدأ قط طيلة حياته.

فالمبادئ ومصطلحات العروبة والاشتراكية والحرّيّة والتّحرير وفلسطين ومئات المصطلحات الأخرى لا نجدها إلَّا في قاموسه الإعلامي أمَّا حقيقته فليست سوى الشَّخصية الانتهازية الوصولية التي كان هدفها الأوَّل في عقد السّبعينات هو الوصول إلى كرسي السّلطة، وفي العقود المتأخّرة هو الحفاظ على كرسي الحكم بأي ثمن كان حتى لو كان الانبطاح أمام أمريكا وإسرائيل، لكن لم يعد حتى الانبطاح يُجديه نفعاً بعد أن فقد جميع مبررات وجوده وأصبح عاراً على كلّ قارعة، يخشى مسّه القريب والبعيد.

سابعاً: العقلية التّآمرية

الطاغية أنموذج صارخ للعقلية التّآمرية التي اختزنت جميع تجارب الأحزاب الظَّالمة، فقد استطاع وهو العضو البسيط في حزب البعث الكافر أن يدفع بنفسه إلى فوق بسرعة بأقل من عشر سنين ليصبح مسؤولاً للعلاقات الخاصَّة في القصر الجمهوري الذي كان يضطلع بمهمَّة إعطاء إجازات حمل السِّلاح للرفاق ثم يصبح الرَّجل الأوَّل في الدَّولة وقبلها كان الرَّجل الثَّاني ثمّ الثَّالث، فمع صعود كل سُلَّم هناك خُطة تآمرية استطاع من خلالها أن يُعبِّد الطَّريق أمامه للوصول إلى قمَّة السُلطة.

فبدأ بسلسلة اغتيالات من مؤسّس الحزب في العراق ثم نزل درجة فدرجة.

فكلَّما صعد درجة في السّلّم أنزل حلقة من حلقات القيادات العسكرية والحزبيّة إلى القبر، فتلاحقت حلقات النّزول مع سلالم الصّعود حتى وصل الدَّور إلى الحلقة التي كانت حوله، إلى رفاقه الذين كانوا معه في المؤامرات والدَّسائس.

شكلت تلك العقلية التي تحدَّثنا عنها أرضية للاستقواء، وقد ساعدتها على التَّنفيذ مجموعة أساليب مارسها اللانظام بصورة متعسّفة حتى ظهر بمظهر القوي المسيطر على مقاليد الأمور.

لقد تكشف الوجه الطّائفي للطاغية في شكلٍ صارخ خلال الانتفاضة، حين رفعت قوّات اللانظام شعار: (لا

شيعة بعد اليوم)، والذي يعني عزمهم على استئصال الشيعة، وتغيير التَّركيبة السّكانية للعراق.

على الرغم من طول الفترة الزَّمنية التي اعتمدت فيها سياسة التَّمييز الطَّائفي، إلا أنَّ العراق لم يشهد حالة الاضطهاد الطَّائفي الاجتماعي، بمعنى أنَّ الشِّيعة لم يتعرّضوا لاضطهاد اجتماعي من قبل الطّائفة السّنيّة، إنَّما وقع الاضطهاد عليهم من قبل نظام الحكم الطّائفي، وهذه مسألة يجب التّوقّف عندها وتأمّلها بشكل دقيق، لأنَّ ما وصل إليه العراق من أزمات كان نتيجة سياسة التَّمييز الطائفي للأنظمة الحاكمة. ولا بد من إعطاء هذه المسألة الأولوية في كل مشروع يهدف إلى تخطيط مستقبل العراق السياسي، فهي الضَّمان لعدم تكرار مأساة الأمس في عراق الغد.

فمن الضَّروري جدّاً التَّمييز بين الحالة المذهبيّة كمظهرٍ فكريٍّ واجتماعيّ في الواقع العراقي، وبين سياسة التَّفرقة الطَّائفية، إذ أنَّ العراق يعاني من مشكلة النِّظام الطَّائفي وليس من الحالة الطَّائفية، فليست هناك مشكلة اجتماعية بين السّنّة والشّيعة، والعراق هو أنموذج متقدّم للانسجام الوطني بين فئاته وقوميّاته وطوائفه، وعاش السّنة والشّيعة، في انسجام وتوافق يندر أن نجد لـه أنموذجاً في البلدان الأخرى. ولقد كان النِّضال الوطني من أجل الاستقلال مشتركاً بين السنة والشيعة، بدءاً من علماء الدِّين من الفريقين، وانتهاءً بالقواعد الشَّعبيّة. وكانت الأحزاب السياسية الوطنية تضم السنة والشيعة، ولم يكن هناك أيّ حسٍّ طائفيّ في قضايا العراق المصيرية، وقد واجهت سلطات الاحتلال مشكلة الوحدة الوطنية والتَّلاحم الاجتماعي الكبير الذي ساد السَّاحة العراقية قبل تشكيل الحكم العراقي الحديث.

وكان هدف الشِّيعة تحقيق الاستقلال العراقي وبناء الدّولة الجديدة على أسسٍ وطنيةٍ ترفض كل مظهر يخل بالاستقلال ويتجاوز إرادة الشَّعب.

إنَّ أزمة العراق السّياسية لم تنجم عن طائفية اجتماعية، ولا من عقدة شيعيّة تجاه السّنة، ولا العكس، إنَّما نشأت من النِّظام السِّياسي الحاكم الذي اعتمد النَّهج الطَّائفي كأساسٍ لإدارة السّلطة، وصار اضطهاد السّلطة للشيعة ممارسة سائدة في الحياة السِّياسية العراقية، أفرزت الكثير من الأزمات والتَّعقيدات التي أوقعت العراق في الدكتاتورية وغيّبت عنه كل مظاهر الديمقراطية والحرّيّة.

وعلى هذا فإنَّ الخروج بالعراق من أزماته السِّياسية، ورسم معالم مستقبله السّياسي لا يتم إلا بإبعاد المشكلة الطائفية من نظام الحكم، والتَّعامل على أساس وطني كامل في تصميم السّلطة، بعيداً عن التَّقسيمات والنّسب الطَّائفية.

منهاج الرحمة

السيد صباح الموسوي

من الواجبات الملقاة على عاتق جميع المسلمين، معرفة إمام زمانهم ثمّ طاعته، وأهمّ ما يُستدلّ به في هذا المجال من الأدلّة النّقلية الحديث المتواتر: «من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية»[١].

فمن يرحل عن هذه الدنيا ـ طبقاً لهذا الحديث ـ دون معرفة إمام زمانه فإنَّ ميتته تكون كميتة من قضى على عهد الجاهلية، كأن لم يربطه بالإسلام أيّ رابط.

وهذا الحديث من الأحاديث المعتبرة جدّاً ويرى تواتره كل الفرق الإسلامية[٢].

وقد ورد هذا الحديث في مصادر السّنّة بألفاظ مختلفة[٣].

والسَّبب في وضع الرَّسول الكريم ﷺ مسألة جهل المرء بإمام زمانه في مرتبة الشِّرك والإلحاد ـ حيث يموت على الجاهلية ـ يرجع إلى أنَّ الجهل بمعرفة الإمام عليه السلام يؤدّي بصاحبه إلى الضَّلال والابتعاد عن الصِّراط المستقيم، وبالتالي كلّما توغّل المرء في جهله بإمام زمانه، ابتعد عن الهدف أكثر، إلى أن ينتهي إلى نحو ما كان عليه أهل الجاهلية من الشِّرك والضّلالة.

ومن هذا المنطلق يتوجّب علينا الجدّ في السَّعي لمعرفة إمام زماننا، لنقي أنفسنا خطر الوقوع في المزالق

(١) بحار الأنوار / ج٣٢ / ص٣٢١.
(٢) الإفصاح، للشيخ المفيد: ص٢٨.
(٣) راجع: المعجم الكبير للطبراني: ج١٩/ ص٣٨٨.

والمتاهات، وممَّا لاريب فيه أنَّ إمام زماننا هو الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف الذي شُحنت بذكره كتب المسلمين على الإطلاق من خلال الأحاديث والرّوايات والآثار التي بيّنت سمته وصفته، وأنَّه من ولد عليّ وفاطمة سلام الله عليهما..

وبيّنت حسبه ونسبه، وأنَّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، لا أحد غيره.

وهو الوحيد الذي تنطبق عليه مواصفات الإمام المفترض الطَّاعة، وهو حيّ يُرزق غُيِّب بأمر الله ومشيئته، وهو شاهد على أعمال البشر وسلوكهم، وبالخصوص منهم الشّيعة.

وممّا يؤسَف له أنَّ تغييب المعرفة الصَّحيحة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، والجهل أو الخلط في تحليل الأحاديث والرّوايات والآثار التي تنبئ ما ستكون عليه سيرته الذّاتية، فضلاً عن المكذوب أو المدسوس والرّوايات المزعومة، حدت بالبعض إلى تصوّر الأوهام وكيل التّهم إليه عجل الله فرجه الشريف، والتي لا تصحّ نسبتها حتى إلى الفرد العادي!

وخاصَّة فيما يتعلّق بنهج الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في تشكيل الحكومة.

دأب بعض النَّاس مع الأسف على رسم صورة عنيفة وفظّة عن الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف في عصر ظهوره، معتقدين أنّه سيؤسّس دولته وينشر سلطانه بإعمال السيف في الناس وإهراق دمائهم، مستندين في ذلك إلى ما تضمّنته بعض الرّوايات المزعومة ذات الصّلة.

على سبيل المثال، أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف عند ظهوره سيأخذ الناس بالشّدّة والعنف لدرجة أنّهم يتمنّون لو كان بينهم وبينه أمد بعيد حتّى لا يتسلّط عليهم!! بينما البعض الآخر منها تذكر أنّه سيشكّك كثير منهم في انتسابه إلى الدّوحة المحمّديّة بسبب سيرته العنيفة في الحكم!.

الأحاديث الموضوعة

كثيرة هي الأحاديث الموضوعة عن أسلوب الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في إقامة دولته، ناهز عددها الخمسين حديثاً، نُسب سند أكثر من ثلاثين منها إلى شخص يدعى محمد بن علي الكوفي، وهو وضّاع سيّئ الصّيت اشتهر بعدم الثِّقة لدى العلماء، وكان معاصراً للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

ويستدلّ على عدم وثاقة محمد بن علي الكوفي هذا من قول الفضل بن شاذان [1] فيه: بأنّه «رجل كذّاب»[2].

---

(١) وهو من أعاظم الرواة والشخصيات الشيعية والذي لا تشوب عظمة منزلته وجلال قدره أيّة شائبة، حتّى روي عن الإمام الحسن العسكري -سلام الله عليه- فيه: «أغبط أهل خراسان لمكان الفضل وكونه بين أظهرهم» (اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي للشيخ الطوسي: ص٥٤٢، وراجع ترجمته في رجال ابن داود:١٥١ رقم ١٢٠٠/ ص٩٠.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ج٢/ ص٨٢٣.

وقال فيه في مناسبة أخرى: «كدت أن أقنت عليه»[١] أي أوشكت أن أدعو عليه في قنوتي.

وفيما يلي نستعرض أنموذجين من هذه الرّوايات الموضوعة:

الرّواية الأولى:

* عن كتاب الغيبة للنعماني وطبقاً للأسانيد التّالية: «عن علي بن الحسين[٢] عن محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن الحسن الرازي (غير معروف) عن محمد بن علي الكوفي، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن عبد الله بن بكير، عن أبيه، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أيسير (الحجّة) بسيرة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال:

هيهات هيهات يا زرارة ما يسير بسيرته!

قلت: جُعلت فداك لِمَ؟ قال:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سار في أمّته باللين كان يتألّف الناس، والقائم يسير بالقتل»[٣].

المناقشة:

علاوة على ضعف سند هذه الرّواية، فإنّها تناقض الرّوايات الصّحيحة التي تتحدّث عن محاكاة سيرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لسيرة جدّه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

*** الرّواية الثّانية:**

وهي عن محمد بن علي الكوفي، عن البزنطي، عن العلاء، عن محمد؛ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«لو يعلم الناس ما يصنع القائم عليه السلام إذا خرج، لأحبّ أكثرهم أن لا يروه؛ ممّا يقتل من الناس»[٤].

المناقشة:

هذا الكلام المنسوب إلى الإمام المعصوم من قِبل أحد الوضّاعين مرفوض جملة وتفصيلاً، لأنّنا لو فرضنا أنّ وضّاعاً افترى على مؤمن بشرب الخمر، فإنّ هذا الافتراء لن يقع موقع القبول في نفس العاقل، ولا يسمح بنقله، فما بالك إن كان الافتراء بتهمة إعمال القتل الفظيع على الإمام المعصوم عليه السلام ؟!

---

(١) خلاصة الأقوال للعلامة الحلي: ٣٩٩ـ٣٩٨.

(٢) والد الشيخ الصدوق.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٢/ ص٣٥٣، عن الغيبة للنعماني: ص١٥٣.

(٤) المصدر نفسه: ج٥٢/ ص٣٥٤، عن الغيبة للنعماني: ص٢٣١.

نتابع سرد بقيّة الرّواية أعلاه، فقد جاء فيها:

«حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد ﷺ. لو كان من آل محمّد ﷺ لرحم»؛ وذلك بسبب إسرافه في القتل!

فيا ترى عمّن تتحدّث الرّواية؟ هل تتحدّث عن الحجاج بن يوسف الثقفي؟!.

الرّوايات الصّحيحة

ثمّة أدلة تدحض هذه الأقاويل، وهي الأحاديث الصّحيحة والمعتبرة الواردة في هذا الشّأن، والتي تنقل صورة مغايرة تماماً لما أوردته الرّوايات المزعومة السّابقة، إذ تُؤكِّد بما لا يقبل اللبس والغموض على مطابقة نهج الإمام المهدي عجل الله فرجه في الحكم لنهج جدّيه النبي المصطفى ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ونستعرض هاهنا بعضاً من هذه الرّوايات:

*** الرّواية الأولى:**

وهي رواية موثّقة وحسنة عن كتاب الغيبة للنعماني، وهذا نصّها: «عن ابن عقدة، عن علي بن الحسن (ابن فضّال) عن أبيه، عن رفاعة عن عبد الله بن عطاء قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام فقلت: إذا قام القائم عجل الله فرجه بأيّ سيرة يسير في الناس؟ فقال عليه السلام:

«يهدم ما قبله كما صنع رسول الله ﷺ ويستأنف الإسلام جديداً»[1].

أي كما أنّ رسول الله ﷺ هدم أركان الشِّرك واليهودية والنَّصرانية والمجوسية من قبل، فإنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه كذلك سيزيل عن الدنيا كلَّ ما ينطق ظاهره باسم الإسلام ويستبطن خلافه، ليؤسّس بعد ذلك للإسلام الحقيقي الأصيل دولته الحقّة.

ومن المعروف أنّ الرسول الكريم ﷺ وتنفيذاً لأوامر القرآن الكريم، في قوله تعالى: (فَبِما رَحْمَة مِنَ الله لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لانْفَضّوا منْ حَوْلكَ)[2] هدّم ما قبله بالحسنى واللين، مستخدماً هذا النَّهج مع جميع الناس، حتى المشركين، وليس مع المسلمين وحدهم، وكذلك الأمر بالنسبة للإمام المهدي عجل الله فرجه الذي سيطبّق النَّهج ذاته مع المشركين، فكيف بالمسلمين؟!

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ص٢٣٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

* **الرّواية الثّانية**: رواها بأسانيد عديدة جمهرة من المتقدِّمين والمتأخّرين أمثال الصّدوق والخزاز القمّي والطّبرسي والاربلي وآخرين قدّست أسرارهم: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «التاسع منهم ـ من أولاد الإمام الحسين سلام الله عليه ـ من أهل بيتي ومهديّ أمّتي، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله»[١].

يظهر من كلمة (أفعاله) أنَّه علاوة على شبه الإمام المهدي عجل الله فرجه بالنبي ﷺ في شمائله وأقواله فإنَّه شبيهه بالأفعال أيضاً.

* **الرُّواية الثَّالثة:**

عن (بحار الأنوار) نقلاً عن كتاب الكافي: «عن البرقي عن أبيه عن محمد بن يحيى الخزاز عن حماد بن عثمان عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ قائمنا أهل البيت إذا قام لبس ثياب أمير المؤمنين عليه السلام وسار بسيرة علي عليه السلام»[٢].

سند هذه الرّواية صحيح لا تعتريه شبهة؛ وذلك لكون جميع رواتها من الثّقات، كما أنَّ مضمونها مطابق لسيرة المعصومين -سلام الله عليهم-، وهذا المضمون يشير إلى أنَّ لظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه في قلوب الناس عامّهم وخاصّهم، صغيرهم وكبيرهم محبةً وشوقاً كبيرين.

فعن رسول الله ﷺ في الحديث الشَّريف المتّفق على روايته بين الخاصّة والعامّة أنَّه ﷺ قال:

«نبشّركم بالمهدي، رجل من قريش يسعد بخلافته سكّان السَّماوات والأرض». [٣]

وعنه ﷺ أيضاً: «أبشّركم بالمهدي الذي يرسل إلى النّاس... فيسعد به سكّان السَّماوات والأرض» [٤].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشّركم بالمهدي يُبعث في أمّتي على اختلاف من الناس وزلازل، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السّماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً».

فقال رجل: ما صحاحاً؟

قال ﷺ: «بالسوية بين الناس، ويملأ الله قلوب أمّة محمد غنىً، ويسعهم عدله، حتى يأمر منادياً ينادي؛

---

(١) الشيخ الصدوق قدس سره في (كمال الدين وتمام النعمة): ص٢٥٧؛ والشيخ الخزاز في (كفاية الأثر): ص١١؛ والطبرسي في (إعلام الورى بأعلام الهدى): ج٢/ ص١٨٣؛ والشيخ ابن أبي الفتح الأربلي في (كشف الغمة): ج٣ ص٣١٥، وعنهم نقل العلامة المجلسي قدس سره في بحار الأنوار: ج٥٢/ ص٣٧٩ .

(٢) الكافي للكليني: ج١/ ص٤١١، وعنه الوسائل: ج٣/ ص٣٤٨، وبحار الأنوار: ج٤٠/ ص٣٣٦.

(٣) ينابيع المودة للقندوزي: ج٣/ ص٣٤٤، مسند أحمد: ج٢/ ص٣٧.

(٤) جامع أحاديث الشيعة للبروجردي: ج١/ ص٣٤.

يقول: من له في المال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول: أنا. فيقول: ائت السادن يعني الخازن فقل له: إنَّ المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احثُ، حتى إذا جعله في حجره وأبرزه، ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد نفساً؛ أعجز عمّا وسعهم. فيردّه ولا يقبل منه. فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه»[١].

وفي حديث آخر: «يرضى عنه ساكن السَّماء وساكن الأرض»[٢].

ومعلومٌ أنَّ حبّ أهل الأرض إنَّما يجتمع مع الرِّفق وما أشبه.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام يصف سيرة ولده الحجّة الموعود عليه السلام بعد ظهوره:

«.. وتُخرج الأرض أفاليذ[٣] كبدها، وتلقي إليه سلمًا مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسّنّة»[٤].

التَّعارض بين الرّوايات

في حال وقوع التَّعارض بين الرّوايات يمكن الاهتداء ببعض الوصايا للأئمة المعصومين -سلام الله عليهم- في هذا المجال.

فلو فرضنا أنَّ هناك روايتين تعارضتا مع توفّر شروط التَّعارض والتي من أهمّها وثاقة سنديهما، لا أن يكون في سند أحدهما مثل محمد بن علي الكوفي الوضّاع، وفي الآخر علي بن إبراهيم ومحمد بن مسلم اللذان هما من الثّقات المعتمدين عند الأئمة عليهم السلام. فالمقارنة بين هذين السندين غير صحيحة عقلاً وشرعاً.

وعليه؛ فإنَّنا نواجه ومنذ الخطوة الأولى معضلة السَّند؛ وذلك لأنَّ محمد بن علي الكوفي يرسم في رواياته عن الإمام المهدي عجل الله فرجه صورة السَّفّاح الذي يسرف في القتل ويعمّ الهرج والمرج في زمانه، بينما يقول الفقهاء إنَّ الأحكام الشَّرعية تسقط عن الوجوب في حال تسبّبها في إحداث الفوضى، فكيف للإمام المهدي عجل الله فرجه وهو المحيط بجميع جوانب الدِّين وأحكامه أن يتسبّب في الهرج والمرج؟

إذن؛ فقد انتفت منذ البداية مسألة التَّعارض وبطلت، وأنَّى لشخصٍ كذّابٍ أن يعارض فطاحل علم الحديث وثقاته؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٥١/ ص٩٢.

(٢) انظر المصادر التالية: شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج٣/ ص٣٦٢؛ كتاب الغيبة للطوسي: ص١٧٨؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٣/ ص٣٧؛ بيان الشافعي: ص٥٠٥. فرائد السمطين: ج٢/ ص٣١٠ وغيرها.

(٣) أفاليذ وأفلاذ: جمع فلذة، وهي القطعة من الذهب والفضّة وما عزّ.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٨.

وعلى فرض صحَّة سند كلا الحديثين، فإنَّ إعمال التَّرجيح بينهما هو الذي سيكون حاكماً، حيث يتمّ عرضهما على الكتاب الكريم ومقارنتهما به، فيؤخذ بما يتطابق معه. وفي المقام، يكون الرّجحان ـ دون شكّ ـ لتلك التي تصرِّح بتشابه سيرة الإمام المهدي عجل الله فرجه مع سيرة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، لأنَّها تتماشى مع ما أمر به الرّحمن في كتابه الكريم بقوله تعالى لنبيّه الأعظم صلى الله عليه وآله: (فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لانْفَضّوا مِنْ حَوْلِكَ).

بعد أن ننتهي من هذه المرحلة ويتبيّن لنا ـ على سبيل الفرض ـ أنّ كِلتا الروايتين مطابقتان للكتاب، يأتي دور مطابقة الرّواية محطّ البحث مع ما ورد من السنّة القطعية.

ثم يأتي دور عنصري الدَّلالة والظّهور، فنختار الرّواية الأصرح، وإذا كانتا متساويتين في هذين الجانبين أيضاً، نصل إلى مرحلة التَّساقط، بناءً على قاعدة «إذا تعارضا تساقطا»، فتكون الرّوايتان كأن لم تكونا من الأساس في هذا الشَّأن. وهذه قاعدة أُصوليّة فقهيّة معمول بها في باب تعارض الرّوايات عند الفقهاء.

اتضح ممَّا تقدَّم أنَّ سيرة الإمام المهدي عجل الله فرجه تُطابق سيرة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله ، حتّى شمائله، فهي تشبه تماماً في نورانيّتها شمائل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، طبقاً لما روي في كثير من أحاديث الفريقين، علاوة على أنَّ المؤرّخين المسلمين وغيرهم ذكروا بأنَّه حتى أشد أعداء النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان ينبهر لرؤيا شخص الرسول صلى الله عليه وآله بمجرّد أن يقع نظره على طلعته البهيّة، فكانت كثيراً ما تنسيه عداءه له، فكذلك هو الحال بالنسبة لشمائل الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

مفاتيح شخصية علي بن الحسين الأكبر عليه السلام

الأستاذ سيف الباوي

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ثلاث من كنَّ فيه ذاق طعم الإيمان: من كان لا شيء أحب إليه من الله ورسوله، ومن كان لأن يحرق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه، ومن كان يحب لله ويبغض لله)(١).

المفتاح الأوَّل: إيمانه المطلق بالله-تعالى-، فعلي الأكبر بَلغ من الإيمان مرحلة اليقين وهو سرّ من أسرار القوَّة في هذه الشَّخصية، كيف لا وقد حظي بشبه رسول الله صلى الله عليه وآله خَلقًا وخُلقًا ومنطقًا. إنَّ شخصيَّة علي الأكبر شخصية فذَّة كيف لا وقد انحدر عليه السلام من الشَّجرة الطّيّبة من فوق شموخها الأشم، كواحدٍ ممّن خضع للترشيح الإلهي، والانتخابات وفق إرادة ليس لها معارض، لقد جاء إلينا نزيهاً عاملاً ضمن مجموعة حزب الله النّجباء، من خلال مروره (بالاصطفاء) حسبما يصطلح القرآن الكريم قال -تعالى-: (**إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)(٢) ولا مراء فيما تلعبه الوراثة من دورٍ فعَّال في تكوين الشَّخصيّة، فضلاً عمّا يلعبه البيت بتربيته السَّليمة السَّامية من أدوار في البناء الشَّخصي حتى ليتجلى كل من معالم الوراثة ومعالم التَّربية على شخصيته في سيرته من خلال نشاطاته وفعالياته الرِّسالية، ومن شأن الوليد الذي يفتح عينه في أجواء الصَّفاء لبيت الصَّفوة وأوساط الشَّرف والسّؤدد، وبيئة الخير والصَّلاح والهدى من شأنه أن ينشأ على إفاضات ذلك البيت النَّبيل وقبسات أهل ذلك البيت من الرجال الذين أنيطت بهم حراسة القضيّة الإسلاميّة وصيانة الشَّرع الشَّريف، وحفظ الدِّين المحمّديّ الحنيف.

(١) ميزان الحكمة الريشهري: ج٩/ ص٥

(٢) سورة ال عمران/ الآية ٣٢، ٣٣.

نشأ على أسمى معاني المؤمنين الأتقياء فمادته ومعنوياته من فيض حوضٍ طاهرٍ نقيّ، فإنَّ جسده وروحه تنزّها عن الشَّوائب المكدّرة والأدران المقيتة، ترعرع علي الأكبر في تلك الأوساط النَّظيفة إذ قضى سنيّ حياة صباه يدرج بين صفوة الرّجال وصفوة النّساء وخيرة الفتيان والصّبيان بين شخصيّات جليلة القدر وشباب يسمون نحو الكمال والعز والإباء، نشأ وترعرع فتخطّى الزَّمن، وتجاوز الأيَّام، مضى يقضي أيَّاماً زاهرة وليالي مباركة وأشهراً وسنيناً خالدات، متسلِّقاً الدَّهر، يعلو فوق هامة التاريخ شخصاً فريداً في مجمل خصوصيّاته، وشابّاً خلاّقاً في ربيع حياته، فرجلاً بطلاً ينفرد بمميزات جمّة وجليلة سامية، يقول العلماء ليس هناك شخص من أهل البيت عليهم السلام حتى فاطمة الزَّهراء عليها السلام شابه رسول الله خَلقاً وخُلقًا ومنطقًا كعلي الأكبر فقد قيل إنَّ فاطمة عليها السلام شابهته صلى الله عليه وآله في بعض صفاته لم ينصّ المؤرِّخون على مشابهة آل النبي صلى الله عليه وآله له في جميع الصِّفات إلا في ولده علي الأكبر فعن جابر الأنصاري أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام تشبه أباها في المشية ورواية الصدوق تشهد بأنَّ الحسن شابه جدّه في الهيبة والسُّؤدد والحسين في الجود والشَّجاعة [1]

وكان الحسين عليه السلام شبيه جده صلى الله عليه وآله في جوده وشجاعته، ويروى أنّه في مرّة من الأيام دخل رجل نصراني مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له الناس أنت رجل نصراني اخرج من المسجد فقال لهم: إنِّي رأيت البارحة في منامي رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه عيسى بن مريم عليه السلام فقال عيسى أسلم على يدي خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله فإنَّه نبيّ هذه الأمة حقّاً وأنا أسلمت على يده وأتيت الآن لأجدِّد إسلامي على يد رجل من أهل بيته فجاءوا به الى الحسين عليه السلام فوقع على قدميه يُقبّلهما فلمَّا استقرّ به المجلس قصّ له الرّؤيا التي رآها في المنام، فقال له الحسين عليه السلام أتحب أن آتيك بشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال: بلى سيدي فدعا الحسين عليه السلام بولده علي الأكبر وكان آنذاك صغيراً قد وضع على وجهه برقع فجيء به الى أبيه، فرفع الحسين البرقع عن وجهه ورآه ذلك الرجل وقع مغمى عليه فقال الحسين عليه السلام صُبو الماء على وجهه ففعلوا فلمَّا أفاق التفت إليه الحسين عليه السلام وقال يا هذا: إنَّ ولدي هذا شبيه بجدّي رسول الله ؟ فقال الرجل: أي والله فقال له الحسين: يا هذا إذا كان عندك ولد مثل هذا وتصيبه شوكة ماكنت تصنع قال سيدي أموت، فقال الحسين عليه السلام: أخبرك أنّي أرى ولدي هذا مقطّعاً بالسيوف إرباً إربا.

وقد كان علي الأكبر الرَّيحانة التي كان مسلمو المدينة يشمّونها، وأهل البيت عليهم السلام كلَّما اشتاقوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله .

(١) الخصال: ج ١/ ص ٣٩.

إنَّ من مكارم الأخلاق أن يتحلَّى المرء بالصِّفات الحميدة، ويتخلَّى من العادات الذَّميمة وهذه الأخلاق سواء أكانت حميدة أم ذميمة يكتسبها المرء وراثيًا، وبيتياً، ومجتمعياً وشرائع السَّماء التي بعثها الله -سبحانه وتعالى- لخلقه عن طريق رسله وأنبيائه كلّها تدعو إلى مكارم الأخلاق ولاسيّما رسالة سيِّد الأنبياء محمدﷺ حيث قال: (إنَّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)[١] فهو يريد أن يجعل حياة البشرية كلّها حياة هانئة رغيدة خالدة لاتبيدها الحقب والأعوام؛ لأنَّ رسالته خاتمة الرّسالات، وعلي الأكبر ﷺ هو ربيب ذلك البيت الطَّاهر الذي هو خلاصة الوجود من طيب الأرومة ومكارم الأخلاق، من حلم، وعلم، وشجاعة، وكرم، وتواضع، وبلاغة. وما إلى ذلك من المكارم التي ليس من العجيب أن يرثها عن آبائه، ومن أخلاقه ﷺ كان كآبائه الطَّاهرين معروفاً بالزّهد والعبادة وقري الضيف وإطعام المساكين، وإكرام الوافدين، وقد بلغ مبلغاً عظيماً في الأخلاق والإكرام حتى مدحوه وقالوا فيه:

لم تره عين نظرت مثله من محتف يمشي ولا ناعل

المفتاح الثَّاني: إيمانه المطلق بالحسين ﷺ في حديث لعقبة بن سمعان قال: (لمّا كان السحر من الليلة التي بات الحسين ﷺ فيها بقصر بني مقاتل أمرنا بالاستسقاء ثم ارتحلنا، فبينا هو يسير إذ خفق الإمام الحسين ﷺ برأسه خفقة وانتبه وهو يسترجع ويقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، كرَّر ذلك ثلاثًا فأقبل إليه ابنه علي الأكبر وكان على فرس له، وقال له جعلت فداك ممّا استرجعت وحمدت الله؟ فقال الحسين ﷺ خفقت برأسي خفقة فعرض لي فارس يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنَّها أنفسنا نُعيت إلينا قال علي الأكبر ﷺ يا أبت ألسنا على الحق؟ فقال الحسين ﷺ: بلى والذي إليه مرجع العباد. فقال علي الأكبر ﷺ: إذاً لا نُبالي أن نموت محقِّين فقال الحسين ﷺ: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده)[٢].

آمن بحق أبيه الحسين ﷺ ولم يكن يشكّ بأحقّيّته ولو بنسبة واحد من مليار ولذلك كان أوَّل شهيد من شهداء أهل البيت عليهم السلام وهذا معناه الحديث المتقدِّم من كان لا شيء أحب إليه من الله ورسوله.....) ورسول الله كان يتجسّد في الحسين في عاشوراء، وكما قالﷺ(حسين منّي وانا من حسين)[٣] وقد حاولوا فصله عن أبيه عندما قيل له: يا علي إنَّ بينك وبين أمير المؤمنين قرابة ولك الأمان فاترك القتال فقال: لقرابة رسول الله أحقّ أن ترعى، نلاحظ وعي ذلك الفتى المجاهد قرابة رسول الله لأحق أن تُرعى لأنَّها قرابة الإسلام والقرآن وليس العصبية

(١) بحار الأنوار ج٦٨/ ص٣٨٢.

(٢) لواعج الاشجان للسيد محسن الأمين/ ص٩٨.

(٣) مستدرك سفينة البحار / ص١.

والجاهلية.

المفتاح الثَّالث: لقد تاجر مع الله-تعالى- ليس من أجل المصلحة فهو عندما عرف الحق أخذ يدافع عنه، فرؤيته كانت واضحة، وبصيرته ثاقبة، وكان على بيِّنة من أمره، ولم يكن مع الإمام الحسين عليه السلام بدافع الحق ولذا قال: أولسنا على الحقّ؟ وهكذا ينبغي أن نتعلم من علي الأكبر عليه السلام.

المفتاح الرَّابع: لم يُقدِّم دنياه على آخرته، ولم تكن الدُّنيا هدفه، ولم يجمع بين طريق الله وطريق الشيطان، وإنَّ كثيراً من الناس يحاولون أن يوفّقوا بين الدّنيا والآخرة في حالة الصِّراع ولكن التَّوفيق في حالة الفتنة غير ممكن ولهذا فإنَّ عبيد الله الجعفي عندما عرض عليه الإمام الحسين عليه السلام النّصرة وكان في قصر بني مقاتل ماذا قال للحسين؟ إنَّ فرسي بألف ورمحي بألف وسيفي بألف خُذ هذه الأشياء وانتصر بها يا أبا عبدالله على أعدائك، أمَّا نفسي لا تطاوعني على الموت، فقال له الحسين عليه السلام: إذا بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا بسيفك ورمحك وفرسك وصدق الله عز وجل: (أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا)[١].

المفتاح الخامس: حبّه عليه السلام للجهاد، وكيف إذا كان الجهاد مع الإمام الحسين عليه السلام؟ لاشكَّ أنَّ أعظم المجاهدين أجراً هم أصحاب الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنَّ المسألة كما قال سيّد الشهداء عليه السلام (من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام)[٢]

فالإمام الحسين عليه السلام على الرغم من قلَّة ناصريه قهر عدوّه وقتل يزيد شرَّ قتلة من خلال صموده في كربلاء من خلال تحدّيه، ولهذا فعلي الأكبر تلك الشَّخصيّة الشَّبابيّة هي بحق قدوة ومثل أعلى للشباب المسلم، وكان لحبِّه للجهاد أوّل شهيد بين يدي الحسين عليه السلام فعندما صرع أصحابه الواحد بعد الآخر ولم يبقَ إلّا أهل بيته أخذ ينادي: هل من ناصرٍ ينصرنا ؟ فجاء علي الأكبر إليه وهو يطلب البراز ولم يمانع أبوه ولم يقل له ولدي تأخّر بعكس ما كان يصنعه مع إخوته وأبناء عمومته وكلمة الحسين الذّهبية في حقِّ ولده علي الأكبر عندما خرج للمبارزة قال: «اللهم اشهد أنَّه برز إليهم أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقًا برسولك وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إليه»[٣].

(١) سورة التوبة/ الآية: ٤٨.

(٢) بحار الانوار/ ج٤٥/ ص٨٧.

(٣) اللهوف للسيد ابن طاووس/ ص ٦٣.

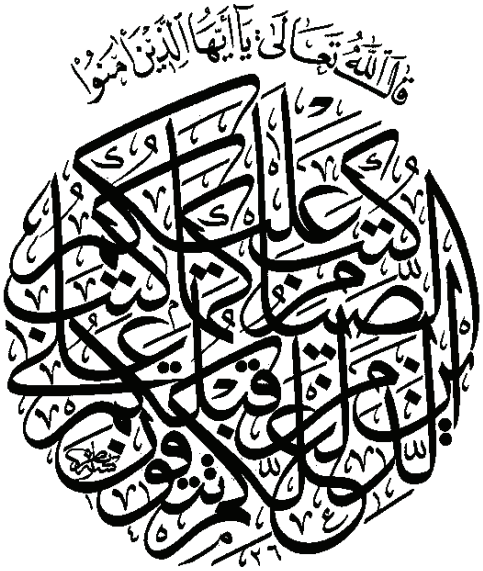
قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا

شهـر رمضان المبارك

- شهر رمضان والتعاليم الاجتماعية.
- معركة بدر ومبرراتها على ضوء القرآن الكريم.
- السيدة خديجة بنت خويلد صبر عظيم وعطاء كريم.
- حب الحسن عليه السلام.
- نحن والإمام علي عليه السلام.
- ليلة القدر والاستكثار والمسيرة التكاملية.

شهر رمضان والتَّعاليم الاجتماعية

الشيخ حيدر المؤيد

بحث في دعاء اليوم الثَّامن من شهر رمضان: « **اللهم ارزقني فيه رحمة الأيتام، وإطعام الطَّعام، وإفشاء السَّلام، وصحبة الكرام، بطولك يا ملجأ الآملين**».

عن النبي ﷺ : **(من دعا به رفع عمله بعمل ألف صدّيق)**[1].

إنَّ أعمال شهر رمضان وآدابه تؤكِّد على تجريد الإنسان وتخليصه من الشَّواغل المادّيّة، وتهيئ له الفرص الكبرى ليتفرّغ لنفسه وضميره ومراجعة سلوكه وعمله.

والصَّوم من أهمّ هذه الأعمال التي تُهذِّب الإنسان وتطهّره من الشَّوائب، وذلك باعتبار أنَّ للصائم أحكاماً لا يستطيع مخالفتها، وهي تقع في طريق تجريد نفسه وتخليصها من الأدران، وبالتالي فإنَّ الصِّيام إذا تمَّت شرائطه وأجزاؤه فإنَّه يخلق من الشَّخص إنساناً متكاملاً، وذلك لأنَّ الصَّائم إذا أحسَّ بالجوع عرف كيف يتعامل مع الجائع، وإذا صبر على الجوع والعطش عرف كيف يصبر في الميادين الأخرى.. وهكذا.

---

(١) البلد الأمين: ص٢٢٠.

إنَّ شهر رمضان شهر المحاسبة والحصانة، شهر التَّربية وترويض النَّفس، شهر معالجة الغرائز التي تتحكّم بالنَّفس البشريّة.. إنَّه شهر تهذيب النَّفس، كما ورد في الآية الشَّريفة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(١).

حيث أشارت هذه الآية المباركة الى فلسفة هذه العبادة التَّربوية في عبارة قليلة الألفاظ عميقة المحتوى: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) فالصَّوم عامل فعَّال لتربية روح التَّقوى في جميع المجالات والأبعاد(٢).

وعن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال: (وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصَّلوات والزّكوات ومجاهدة الصِّيام في الأيّام المفروضات تسكيناً لأطرافهم وتخشيعاً لأبصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً لقلوبهم)(٣).

الصَّوم وتقوية الإرادة

عندما شرَّع الله -سبحانه- الصِّيام جعل معها ضوابط ملزمة، فمن خرج عن هذه الضَّوابط عُدَّ عاصياً، وكان صومه باطلاً، وهذه تُسمى بالمفطرات وقد ذكرها تفصيلاً الفقهاء المراجع -حفظهم الله- في رسائلهم العملية، ولكن هناك ضوابط أخرى تجعله أكثر تهذيباً وسموّاً، ومن تلك الضَّوابط التي جاءت في الصَّوم ما روي عن الإمام علي عليه السلام أنَّه قال: «صوم القلب خير من صيام اللسان، وصيام اللسان خير من صيام البطن» (٤). وعن مولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنَّها قالت: (ما يصنع الصَّائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه) (٥).

مشاعر المؤمن تجاه الآخرين

إنَّ من أروع ما يتحلَّى به الإنسان المسلم، ومن أهم المظاهر التَّربوية تحسّسه بآلام الآخرين ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم، وقد يعبّر عنه بالمواساة كما ذكره علماء الأخلاق، فالمجتمع الإنساني الذي يتبادل الأحاسيس والمشاعر الطّيّبة هو بحق مجتمع فاضل سعيد تغمره المحبَّة والألفة.

ومن الطَّبيعي إذا كان العكس من ذلك وكان أفراد المجتمع يبغض بعضهم البعض الآخر، ولا يحس بعضهم بالبعض الآخر، ولا يحترم بعضهم البعض الآخر، فسوف يترك هذا الشَّيء نتائج سيّئة وخيمة لا يحمد عقباها.

إنَّ حفظ كرامة المجتمع يكون في تبادل المنفعة بالطّرق الصَّحيحة، أمَّا إذا لم يكن ذلك فسوف تنتشر فيه

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٨٣.
(٢) تفسير الأمثل: ج١/ ص٤٥٣.
(٣) نهج البلاغة/ الخطبة ١٩٢.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٧٦.
(٥) بحار الأنوار: ج٩٣/ ص٢٩٤.

التَّعاسة ويتفاقم العداء، لأنَّ الصِّفات السّلبية سريعة الانتشار بين بعض الناس، ورذائل الأخلاق إذا انتشرت تحول بعض أبناء المجتمع الى أفراد أنانيين لا تهمّهم سوى حاجاتهم ورغباتهم... ولا يفكّرون في شيء سوى تلبية هذه الحاجات من أي طريق كان ولو بالسَّرقة أو الاعتداء، وخاصّة إذا هجر كبار المجتمع وساسته الأخلاق والآداب وتعاملوا بطريقة سلبيّة، لأنَّ أساليبهم سوف تصبح ثقافة عند الآخرين، وفي المأثور: (الناس على دين ملوكها)[١].

وتلافياً لأمثال هذه النَّتائج شدَّد القرآن الكريم قائلاً: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)[٢].أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالغصب والظّلم والوجوه التي لا تحل[٣]. وذلك لكي يعيش أفراد المجتمع عيشة راضية يسودها التَّآلف والمحبَّة والأخوّة.

الكرامة أوّلاً

أوَّل ما يسأله الإنسان في هذا الدّعاء الوارد عن رسول الله ﷺ في اليوم الثَّامن من شهر رمضان هو: (اللهم ارزقني فيه رحمة الأيتام) فإنَّه منذ أن خلق الله -سبحانه وتعالى- الإنسان خلقه على أحسن هيئة وكرّمه على باقي مخلوقاته، بل أخضع جميع ما في هذا الكون للإنسان، يقول تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ)[٤].

وقال -سبحانه-: (خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)[٥].

إذن ليس من المعقول في أيّ حالٍ من الأحوال أن نأتي ونذل الذي كرّمه الله -تعالى-، فعندما أثبت القرآن الكريم التّكريم الإلهي لنوع الإنسان من دون فرق وذلك لأنَّهم أولاد أبٍ واحدٍ، وهو آدم عليه السلام وأمّ واحدة وهي حواء عليها السلام، فعلينا أن نمتنع من الوقوع في النِّزاع والخصام؛ وذلك لكي تعمّ المحبّة والألفة بين أفراد المجتمع.

إضافة الى أنَّ الإسلام هو دين المحبَّة والألفة، والذي لا يقبل في أي حال من الأحوال الخصام والنزاع في الباطل، لذلك شرع لنا كافة نظم العلاقات الصّحيحة المبنية على التَّفاهم والمحبة.. وشرع لنا السّياسة التي تحدد صلات بعضنا بالبعض الآخر، والأخلاق التي ترفع الإنسان الى أسمى غاية من مراحل الكمال، فالدّين الإسلامي هو شريعة لكل البشر ولكل الشّعوب التي تريد التّقدّم نحو الأمام، وهو علم وعمل وسعادة، فالدّين لا يعترف

(١) راجع كشف الغمة: ج٢/ ص٢١.
(٢) سورة البقرة/ الآية: ١٨٨.
(٣) مجمع البيان: ج٢/ ص٢٨٢.
(٤) سورة الإسراء/ الآية: ٧٠.
(٥) سورة البقرة/ الآية: ٢٩.

أبداً بجعل الفوارق الباطلة بين الناس وبجعل الطبقية التي بها يفسد المجتمع، بل دائماً يوصي آناء الليل وأطراف النهار بإزالة كل الفوارق التي توضع من قبل الذين يتمددون ويتنعمون على حساب الضعفاء من بني جنسهم، قال -تعالى-: (والى عاد أخاهم هوداً)[١] .

نلاحظ في هذه الآية المباركة أنَّها وصفت هوداً عليه السلام بكونه (أخاهم)، وهذا التَّعبير جار في لغة العرب، لأنَّهم يطلقون كلمة (الأخ) على جميع أفراد القبيلة؛ لأنَّهم ينتسبون الى أصل واحد، فمثلاً يقولون في الأسدي: (أخو أسد) وفي الرجل من قبيلة مذحج: (أخو مذحج).

وقد يكون هذا التَّعبير يشير الى أنَّ معاملة هود عليه السلام لهم كانت أخوية بالرغم من كونه نبيًّا مبعوثاً من قبل الله، وهذه الحالة هي صفة الأنبياء عليهم السلام جميعاً، فهم لا يعاملون الناس من منطلق أنَّهم زعماء أو أمراء أو قادة بل من منطلق أنَّهم أخوة لهم، فكانت معاملتهم معاملة من دون أي امتياز وطلب للاستعلاء[٢].

نعم هناك ضوابط أمر الله -تعالى- بها وفرضها على البشر وذلك لكي يلتزموا بها باعتبار أنَّها موصلة الى سعادة الإنسان، فأخوة هود عليه السلام لعاد لم تكن أخوة عقائدية باعتبار أنَّ هودًا عليه السلام كان نبيّاً من أنبياء الله، وعادًا كانوا قوماً مشركين، ولكن الظَّاهر أنَّ الله -تعالى- أراد أن يقول بأنَّكم جميعاً أخوة بالمنشأ والخلقة، ولا ميزة لأحد على أحد إلا بالتَّقوى التي هي أساس السَّعادة.

التَّودّد إلى النَّاس

جاء عن إمام الموحِّدين علي بن أبي طالب عليه السلام أنَّه قال: « لا تتمّ مروة الرجل حتى يتفقّه في دينه، ويقتصد في معيشته، ويصبر على النَّائبة إذا نزلت به، ويستعذب مرارة اخوانه" [٣].

إنَّ التَّودد الى النَّاس يتمّ عبر أمور:

منها: زرع المحبَّة والرَّحمة بينهم، ولعلَّ من أهمِّ أسباب هداية الناس الى الإسلام كانت سياسة العطف والرَّحمة التي كان يوليها رسول الله صلى الله عليه وآله الى الناس، حتَّى قال صلى الله عليه وآله: (إنَّما أنا رحمة مهداة) [٤].

ولكي يزيد القرآن في ارتباط الناس بالإسلام ويشدّهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله أمر رسوله العظيم بقوله: (وَاخْفِضْ

(١) سورة هود/ الآية: ٥٠.
(٢) راجع تفسير الأمثل: ج٦/ ص٥٢١.
(٣) تحف العقول: ص٢٢٣.
(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١/ ص٧.

جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[١].

وذلك لما للمحبَّة والتَّواضع من أثرٍ كبيرٍ في زرع الثّقة والإيمان والمودّة، ثمّ القوّة والتَّماسك بين الناس.

ومنها: الصَّبر والتَّحمّل على ما يلاقيه الإنسان من الإخوان، ومعلوم أنَّ الصَّبر يتحقّق في تحمّل الإنسان لأذى الآخرين، إلّا أنَّ هناك مرتبة أرقى في الصَّبر وهي أن يستعذب مرارة إخوانه، وذلك لأنَّ تحمّل الإخوان يجذب محبّتهم ويزيد في مكانته في الدنيا، وأمّا في الآخرة فيعطيه الأجر الكبير.. ومن هنا عبَّرت الرّواية: (ويستعذب مرارة إخوانه) وهذا ما يُسمَّى في علم الأخلاق بمرحلة الرِّضا.

ومنها: الإحسان الى الآخرين، سواء بالتَّعاطف معهم او تقديم الخدمات إليهم، أو كفالة أيتامهم ونحو ذلك، لما للإحسان من دورٍ كبيرٍ في إشباع العواطف وتربية النّفوس لتصبح قويّة نافعة في المجتمع.

الى غير ذلك ممّا يوجب التَّودّد والمحبّة بين الناس.

المحبَّة لليتيم

وهكذا أوصت الآيات الكريمة والرُّوايات الشَّريفة لتكرّس حالة المؤاخاة والمحبَّة في نفوس أفراد المجتمع، وقد أكَّد الإسلام على ذلك بأساليب وطرق عديدة، وبيّن مصاديق مختلفة لها، منها الرَّحمة للأيتام معنوياً ومادياً، فقد جاءت آيات وروايات عديدة تؤكّد على هذا المعنى كقوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الله وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ)[٢].

وهناك روايات أيضاً جاءت لتضمن حقوق اليتيم وتوصي به خيراً، ففي وصايا أمير المؤمنين عليه السلام قبل شهادته: « الله الله في الأيتام فلا تغبّوا[٣] أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من عال يتيمًا حتى يستغني أوجب الله عزوجل له بذلك الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار» [٤].

وهذا الدعاء يعلمنا أن نرحم الأيتام حيث يقول: (أللَّهم ارزقني فيه رحمة الأيتام).

---

(١) سورة الشعراء/ الآية: ٢١٥.

(٢)سورة البقرة/ الآية: ٨٣.

(٣) أغب القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً، أي لا تجيعوهم بأن تطعموهم غباً.

(٤) فروع الكافي: ج٧/ ص٥١ .

المحبة في الإسلام

كرَّس الإسلام حالة التَّكافل الاجتماعي لكي يخلق للإنسان جوّاً ملؤه الحب والرَّحمة والإخاء بين بني نوعه، وجاءت الرّوايات تُشجّع وتعد بالثّواب العظيم على ذلك، فنرى بعض الأحاديث ترتب الأثر حتى على من وضع يده على رأس اليتيم تحنّناً ورحمة منه عليه، فوصل الحد الى أن يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: " ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحّماً له إلا كتب الله له بكلّ شعرة مرّت يده عليها حسنة)[١].

ولعلَّ من هنا ورد ذكر الرَّحمة بالأيتام مقرونة في شهر رمضان لأنَّ الصَّوم يرفق مشاعر الإنسان ويلطف روحه ويجعل حواسه مرهفة.

إذ أنَّ الإنسان الذي يذق ألم الجوع والعطش وخاصَّة في صيام الصَّيف ترقّ مشاعره وتسمو روحه ويأخذ يحس بمشاعر الآخرين وآلامهم أكثر فأكثر.. وبهذا تكون الأرضيّة مهيَّأة لإدراك معاناة الأيتام الذين لا كافل لهم، ويعانون عادة من ألم الجوع، لذا فيطلب المؤمن من الله تعالى أن يرزقه الرَّحمة بالأيتام.. إذ يقول: (وارزقني فيه رحمة الأيتام).

إطعام الطَّعام

من أهمِّ ما يوجب المحبَّة والصّفاء بين المجتمع: إطعام الطَّعام والضِّيافات وما أشبه، وشهر رمضان المبارك يكون وقتاً مناسباً لذلك، فترى المؤمنين يهتمّون بتقديم الإفطار للأحبَّة وذوي رحمهم ولسائر المؤمنين، وخصوصاً للفقراء منهم، وقد وردت روايات كثيرة في فضل إطعام الطّعام بشكلٍ عام، وفي فضل إفطار المؤمنين في شهر رمضان خاصّة، نشير الى بعضها:

قال الإمام الصادق ﷺ: « المنجيات ثلاث: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»[٢].

وقال تعالى في مدح أهل البيت عليهم السلام: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)[٣].

كما ورد عن الإمام الباقر ﷺ أنَّه قال: (خطب رسول الله ﷺ الناس في آخر جمعة من شهر شعبان، وقال: (أيّها

(١) بحار الأنوار: ج٧٢/ ص٤.
(٢) مكارم الأخلاق: ص١٣٤.
(٣) سورة الإنسان/ الآية: ٨.

الناس قد أظلكم شهر فيه ليلة القدر.. وهو شهر رمضان.. من أفطر فيه مؤمناً صائماً كان له بذلك عند الله عز وجل عتق رقبة ومغفرة الذّنوب فيما مضى، فقيل: يا رسول الله، ليس كلنا نقدر على أن نفطر صائماً، فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى كريم، يعطي هذا الثَّواب منكم من لم يقدر إلا على مذقة من لبن ففطر بها صائماً أو شربة ماء عذب أو تميرات لا يقدر على أكثر من ذلك)[١].

وهنا نقطة لابُدَّ من الإشارة إليها وهي أنَّه لم يقيد إطعام الطعام في هذا الدُّعاء بالفقراء فقط، وذلك لأنَّ أصل الطَّعام حتى للأغنياء مطلوب وإن كان إطعام الفقراء يشتمل على جهة أخرى وثواب آخر، ومن هنا نقرأ ونردّد هذه الكلمات: (اللهم ارزقني... إطعام الطَّعام وإفشاء السَّلام).

إفشاء السَّلام

لكل قومٍ تحيَّة خاصَّة، وتحيَّة المسلمين (السَّلام) فما أجمل هذه التّحيّة، إنَّها دعاء للمؤمن بالأمن والسَّلامة والخير والبركة، وقد أمرنا الإسلام بالسَّلام قبل الكلام حيث قال ﷺ: (السَّلام قبل الكلام) [٢].

كما أمر بإفشائه حيث قال ﷺ: (أفش السّلام يكثر خير بيتك) [٣].

ثم إنَّ إفشاء السَّلام من أهم ما يوجب المحبّة والمودّة بين المؤمنين كما هو واضح.

هذا ويحتمل أن يراد بكلمة (السَّلام) وإفشائها المعنى الأعم من التّحيّة الخاصّة، فيشمل كل سلام في المجتمع ويرفض العنف وما يؤدّي إليه، بمختلف أسبابه، لأنَّ الإسلام لا يرضى بالعنف ويؤكِّد على لزوم اتباع السَّلم والسَّلام، قال -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً)[٤].

صحبة الكرام

يسأل العبد ربه في هذا الدعاء المروي عن رسول الله ﷺ أن يرزقه صحبة الكرام، حيث يقول: (اللهم ارزقني .. صحبة الكرام)، فمن هم الكرام؟

يقول تعالى: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)[٥] وهذه الصِّفة تُعطي عدّة معان سامية: فقد ورد في تفسير هذه

(١) روضة الواعظين: ص٣٣٨.
(٢) جامع الأخبار: ص٨٩ .
(٣) الخصال: ص١٨٠ .
(٤) سورة البقرة/ الآية: ٢٠٨.
(٥) سورة الفرقان/ الآية: ٧٢.

الآية أنَّها من الصِّفات الرَّفيعة للمؤمنين، والكرام في الآية الشَّريفة هم الذين (لا يحضرون مجالس الباطل ولا يتلوثون باللغو والبطلان)[١].

و(اذا اعترضهم هذا النوع من الأعمال في مسير حياتهم مروا بمحاذاتها مرور اللامبالي، ولا مبالاتهم نفسها دليل على عدم رضاهم الدَّاخلي عن هذه الأعمال، فهم عظماء بحيث لا تؤثر عليهم الأجواء الفاسدة ولا تغيرهم)[٢].

ونقول: (تكرم فلان عمّا يشينه: إذا تنزّه وأكرم نفسه منه)[٣].

فيكون مرور الكرام بأصحاب المجالس الباطلة أنَّهم يمرّون (معرضين عنهم منزهين أنفسهم عن الدخول فيهم والاختلاط بهم ومجالستهم)[٤].

لذا ينبغي للمؤمن أن يسأل الله -تعالى- أن يوفقه لأن يكون من الكرام ومن أصحاب ذوي الكرم والنفوس الكبيرة العظيمة، لينال بهم عزّة في هذه الحياة الدنيا ونعيم في الآخرة.

ثم إنَّ أعلى مصداق للكرام هم أهل البيت عليهم السلام ثم من يلوذ بهم ويمشي في خطاهم من العلماء والمؤمنين فيكون هذا الدّعاء إشارة الى أهمّيّة مصاحبتهم وتبعيتهم.

من هو الملجأ

وفي آخر هذا الدّعاء نقرأ: (بطولك يا ملجأ الآملين) والطَّول في اللغة بمعنى: (الفضل، العطاء، القدرة، الغنى)[٥].

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن ندعو بهذه الكلمات حتى نعرف بأنَّ الله-تعالى- هو الملجأ للآملين، فينبغي أن لا يلجأ الإنسان إلّا الى الله، فإنَّه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) راجع تفسير الأمثل: ج١١/ ص٢٨٢.
(٢) تفسير الأمثل: ج١١/ ص٢٨٢.
(٣) تفسير الميزان: ج١٥/ ص٢٤٤.
(٤) تفسير الميزان: ج١٩/ ص٢٤٤.
(٥) المنجد الطلاب: ص٤٧٦ مادة (طال).

معركة بدر ومبرّراتها في ضوء القرآن الكريم

الشَّيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي

تعدُّ واقعة بدر من أهم الخطوات التي حدَّدت مصير الرّسالة التي حملها رسول الله ﷺ إلى الأمة، وأفرغ جهده، وبذل وسعه في سبيل نشرها، وقارع ألوان المحن والعذاب والألم من المشركين في مكة طيلة ثلاثة عشر عاماً، من أجل تجسيد معالمها في حياة الإنسانية.

وواقعة بدر قفزة تأريخية ضربت حدّاً بين العفو والغلظة، وبين الصَّبر على الأذى والرد على الإيذاء الذي نال المسلمين من إرهاب وتعسّف قريش.

ولعل السّر أو الدَّاعي لهذا الانتقال من الأمر بالعفو والصَّفح إلى الأمر بالقتال واستعمال القوّة في القرآن الكريم يعود إلى الأمور التّالية:

الأمر الأوَّل:

إنّ لكلّ ظرف موقفاً خاصاً به، ولكلّ حالة علاجاً يناسبها في القرآن الكريم، ففي دور كان الإسلام في مهد نشوئه يقوم ويكبو تحت هجمات الجاهلين، الذين كانوا يتحرّكون بملء إرادتهم في طريق المواجهة، بالتشويه وإثارة التّهم ضدّه، ووصفه بالتَّعسف، والتّفريق والتّقتيل، حسداً من عند أنفسهم، كان هذا الدّور يتطلّب العفو والصّبر حتى يأتي الله بأمره.

يقول تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[١].

أما في الدَّور الذي حكمت فيه إرادة الإسلام فوق كلّ إرادة وقويت شوكة المسلمين في أعين أعدائهم، كان منطق التَّحدّي الصَّارم من متطلّبات موقف الإسلام، ضدّ كلّ متمرّد على إرادة الأمّة.

يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[٢].

الأمر الثاني:

لما كان المسلمون ضعفاء تنتابهم المحن والمُلمّات، فهم أحوج ما يكونون إلى الإعداد والتَّربية على تحمّل الصّعاب والألم من أجل الرسالة التي اضطلعوا بحملها وبدراسة فكرتها، والانسجام مع تعاليمها الجديدة، فجاء القرآن الكريم يأمرهم بالعفو والصَّفح والصَّبر والإعراض عن الجاهلين لسببين:

بصفته خلقًا أصيلاً من أخلاقهم تجاه الطَّبقة المتواضعة من النَّاس، واستخفافاً منهم بمن لا يملكون تقييماً لما كان يحمل لهم الرسولﷺ والمسلمون من مُثل عليا ومفاهيم سامية.

ومن ناحية أخرى، فإنّ العقيدة الإسلامية الجديدة، مثلها مثل الوليد الجديد الذي كلَّما لاقت الأم في طريق تربيته تعباً وعناءً وسهراً، كلما اشتدت وتوطدت علاقتها به وحبها له.

فكان المسلمون بحاجة ماسة إلى تربية اعتزازهم بالفكرة والرسالة الجديدة، والانسجام معها في وعورة الطّريق، وصعوبة السّير.

فكان الصّفح والعفو والصّبر استعداداً لمجابهة أكبر للمحن المصاعب كالتي تلاقيهم في دور الدِّفاع والذّود المستميت، من أجل إرساء قواعد الرسالة العلمية، فلو أمر القرآن الكريم المسلمين آنذاك بالغلظة والشّدّة مع شعورهم بالضّعف أمام قسوة الجاهلية.

فإمّا أن تتدخل السّماء بالإعجاز لإنقاذ الموقف لصالح المسلمين بالقوة، فيتعودون على التدخّل الغيبي المعجز.

وإما أن يتركهم الله وطبيعتهم، فيخسرون الموقف وتنعدم الثمرة من وجودهم كحملة رسالة على المدى البعيد.

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٠٩.

(٢) سورة التوبة/ الآية: ٧٢.

فيبقى إذن أن يأمرهم بالصبر على الأذى ويأمرهم بالعفو والصفح والتحمل لتتعزز فيهم الجدارة والهمة والاندفاع حتى تجسيد المرحلة الفاعلة للإسلام في حياة البشرية.

الأمر الثَّالث:

بهذا الانتقال من الأمر بالعفو والصَّبر إلى الأمر بالقتال والغلظة، تأكيد على أنَّ مبدأ العفو والصَّفح ومبدأ القتال والغلظة مبدآن إيجابيان نابعان من صميم مسؤولية الرسالة.

ومن هنا مثلت واقعة بدر الكبرى تجسيداً حيّاً لهذا المبدأ – مبدأ القتال والغلظة – كمطلب من متطلّبات ومقتضيات الظّرف، لإبراز الإسلام في موقع القوّة والسّيطرة على وهم الجاهلية الرّعناء.

ولذلك جاء القرار السّماوي بتحريض المؤمنين على القتال بغضّ النّظر عن تكافؤ أو عدم تكافؤ القوّتين في العدد والعدّة.

قال تعالى: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)[1].

الأمر الرَّابع:

شاء الله عزّ وجل أن تكون واقعة بدر نقطة تحوّل تأريخية في حياة الإسلام والمسلمين، فجاءت قرارات السماء في شأن هذه المعركة الخالدة، وهي تحمّل مبرّراتها من صميم الرّسالة الإسلامية ومبادئها العادلة، وهي ذات المبررات التي دعت إلى تشريع مبدأ القتال، وبناء الكيان العسكري للأمة، وإعداد القوّة لأعداء الله والإسلام، وأهم هذه المبررات هي:

أ: إنّ تشريع مبدأ القتال بحدّ ذاته مهمّة اجتماعية، وضرورة عامة تتوقّف عليها الكثير من الحلول لعدّة من القضايا والمشاكل الاجتماعية والسياسية التي تستعصي على الحلول السَّليمة.

والقرآن الكريم منذ قرون يسجّل هذا الأمر على ضوء النَّتائج الخيّرة والإيجابية للصراع بقوله –تعالى–:

(وَلَوْلَا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ الله ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)[2].

---

(١) سورة الأنفال/ الآية : ٦٥ .

(٢) سورة البقرة/ الآية:٢١٥.

فقد خلق الله -تعالى- في الإنسانية مواهب وغرائز تدعو إلى بلوغ متطلّباتها وغاياتها في الحياة، وبهذا التَّصارع والتَّدافع تتم الغلبة لبعض القوى على بعضها لأجل استمرار واستقامة الحياة، والإسلام يتفرّد بموقف خاصّ من هذا الصّراع والتَّدافع.

وهذا الموقف الإسلامي يتجسّد على أساس نظرته ومقاييسه عن العدالة والمصالح العامة، فلا يحرص الإسلام على فئة خاصَّة دون أخرى حتى يكون ظالماً في موقفه، وإنَّما بحكم جدارته وقدرته على إدارة الحياة وكفاءته على مسك كلّ فراغاتها كان اللازم على الإنسانية الانقياد والانضواء تحت ظله يوم لا ظل إلا ظلّه، لأنَّه الكفيل بدعم القيم والمواهب الخيرة.

فكان من حقّه حينئذ أن يُقاتل ويُصارع من أجل هذه القيم، ومن أجل سيادة هذه المواهب على السَّاحة الإنسانية، ومن حقّه أن يشهر السيف بوجه كلّ من ناصبه وجانبه وأعرض عن عدله.

ب: إنّ واقعة بدر جاءت وفاءً لحقّ فطري واجتماعي عام، وذلك؛ لأنّ الفطرة الإنسانية السليمة تقضي بأشياء متجذّرة في صميمها لابُدّ وأن يستجيب لها الإسلام، ومن جملتها: هو حقّ التَّطلّع إلى المكانة الاجتماعية، والسَّعي وراء الكمال الإنساني بكل ما للكمال من معنى.

ولا شكَّ أنَّ هذا الحقّ، قد سلب من الإنسانية تحت اضطهاد الوثنيّة وفتنة الشِّرك والاستبداد الباطل، وقد اعتنق الناس الإسلام على يد الرَّسول الكريم محمدﷺ وبقيت لهم تبعات وحقوق في أعناق المشركين.

فجاءت واقعة بدر الكبرى إجراءً عمليّاً لأخذ الحق، ودليلاً على قوّة الإسلام، وموقفًا حاسماً لغلق باب الفتنة والهوس الوثني الكافر والهادف إلى زعزعة إيمان المؤمنين برسالتهم.

قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[1].

والهدف هو: ترسيخ مكانة المؤمنين وزرع هيبتهم في نفوس أعدائهم الخارجين عن حدود الله ونواميس الشَّريعة، والسّاعين بالفتنة والإخلال في صفوف الإنسانية.

ولذلك فإنَّ دفاع المسلمين عن دينهم وتوحيد ربهم وعن العدل الذي أراده القرآن الكريم فيهم وهو دفاع عن حقّ فطري مشروع يجب أن يستوفى من غاصبيه (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ

(١) سورة الأنفال/ الآية: ٣٩ - ٤٠.

عَلِيمٌ)[١].

وللتدليل على قوّة الخير مقابل الشّر، وانتصار الدّم والقيم والعدل على الظّلم والتّسلّط المقيت.

(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ....)[٢].

ج : إنَّ واقعة بدر كغيرها من الأحداث والمناسبات التي تؤكِّد رابطة الأمة بقائدها الذي لا يتعدّى بقراراته مصلحة الأمّة والرّسالة، ولا يتجاوز صلاحياته كزعيم ورائد وهبته السَّماء لها.

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)[٣].

وكلمة (بإذنه) إشارة إلى الأساس الرَّبَّاني، الذي يستمد منه الرسولﷺ زعامته وصلاحياته ومواقفه، ويؤكِّد ارتباطه في مهمَّته الرّساليّة وواجباته التّوجيهية والتَّبليغية بالله تعالى.

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)[٤].

كما أنَّ المواقف الصَّعبة والحرجة هي العامل في تأكيد رابطة الأمَّة بقائدها وهي المحك الذي يكشف عن مستوى ثقة الأمة بقائدها ووعيها بكيفيّة صلة القائد بالمشرّع الحكيم سبحانه وتعالى لذلك انطلاقاً من أمر السماء.

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)[٥].

الأمر الخامس:

القتال في الإسلام وسيلة لا غاية بدليل قوله -تعالى-: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)[٦]، واعتبره القرآن الكريم في بعض آياته فرضاً من الفروض والواجبات الهامَّة.

قال -تعالى-: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا

(١) سورة الأنفال/ الآية : ٤٣ .
(٢)سورة الحج/ الآية : ٤٠
(٣)سورة الأحزاب/ الآيتان ٤٥ : - ٤٦ .
(٤) سورة النجم/ الآيات : ٣ - ٤ - ٥ .
(٥) سورةالأنفال/ الآيتان : ٦٤ - ٦٥ .
(٦) سورةالحج/ الآية : ٣٩.

وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)[١].

وقال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[٢]، وفي بعضها جاء بلفظ الإذن كما في الآية المتقدمة.

وقد أثار هذا الأمر دعاة الإنسانية، ومدّعوا الحرص على حقوقها في الحياة من صليبيين وملحدين، وراحوا يكيلون التهم والطعون إلى صميم الإسلام ونبي الإسلام سيّدنا محمدﷺ وهم يؤكّدون على دعوى أنَّ الإسلام جاء بمبدأ الحرب، وقام بقوّة السّلاح، وأكره الناس على الإيمان به.

وهذه التهم وأمثالها، وإن كانت من أناس لم يفهموا الإسلام على حقيقته، إلا أنَّهم دعاة فكرة طرحوها ويطرحونها بديلاً عن الإسلام. ولكن بإسلوب غير إسلوب الحجّة والدّليل الموضوعي.

والذي يدحض هذه التّهم، ويفنّد هذه الدَّعوى، هو واقع الإسلام، ومنهج رسالته وفكرته ابتداءً من فجر الدَّعوة التي تبنّاها رسول اللهﷺ، وانتهاءً بدولته التي أرسى دعائمها على أرض المدينة (يثرب) فلابُدَّ من عدّة ملاحظات:

أوَّلاً: لو كان رسول اللهﷺ يريد السّيطرة والزّعامة السّياسية، لتوفَّر له ذلك بأدنى تنازل يقدِّمه لزعماء مكّة، الذين أبدوا استعدادهم أمام عمّه أبي طالبؑ أن يملوا له من الأموال والقصور والنّساء ما يشاء، وكان بإمكانه أن يحوّل مكّة الى امبراطورية تحت سيطرته وزعامته.

لكنَّه رفض ذلك بكلّ إصرار وتفانٍ قائلاً: (يا عم لو وضعت الشَّمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه)[٣]، وهو يعلم بأنَّه ليس وراء الإصرار على هذا الأمر إلا الأذى والاضطهاد والألم.

ثانياً: لم يعهد من رسول اللهﷺ أن استعمل اسلوب القسوة والشّدّة في وجه الذين عارضوه وجابهوا كلمته بالرّفض والازدراء بل كان ليّناً معهم في أحرج الحالات وأقساها في حقّه، فيتّكئ على مسند وقد ألمّ به التَّعب والعناء وهو يقول: (أللّهم اغفر لقومي انَّهم لا يعلمون)[٤].

بل حتى في لحظات النَّصر والظَّفر، التي يطأطئ العدوّ هامه ذليلاً منكسراً، كان رسول اللهﷺ يفيض ليناً ورحمة، في الوقت الذي كان بإمكانه أن يستعبد أعداءه كما حدث في فتح مكة، إذ كان رسول اللهﷺ يخاطب أولئك

(١) سورة البقرة/ الآية: ٢١٦

(٢) سورةالبقرة/ الآية: ١٩٠

(٣) بحار الأنوار -للعلامة المجلسي- : ٩ / ١٤٣

(٤) المصدر نفسه: ٩٥ / ١٦٧.

قائلاً: (يا معشر قريش إنَّ الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، الناس من آدم وآدم من طين ألا أن خير عباد الله عبد اتقاه)[١].

ثم قال: (يا معشر قريش ما ترون أنّي فاعل بكم ؟) قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخٍ كريم، قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[٢].

ثالثاً: إنَّ هناك من المستشرقين أنفسهم من درسوا التأريخ الإسلامي بعمقٍ وسعة أفق، فأجبرهم الواقع الإسلامي والمنطق الإنساني على الإدلاء بشهادتهم في حقِّ الإسلام بعكس هذه الحملات والطّعون.

ومن هؤلاء (أرنولد) في بعض مقالاته عن تأريخ الإسلام: (ينبغي أن يعلم القارئ أنَّنا لم نضع هذا الكتاب لدراسة تأريخ الاضطهادات الإسلامية، تأمل قليلاً وتفكّر بعيداً ليتّضح لك ما لهذا القول من معانٍ كثيرة، وكأن الإسلام في تأريخه الطَّويل مليء بموجات الاضطهاد.

ولكنَّنا إذا درسنا هذا التأريخ بنزاهة حقيقيّة، وعقل متبصر متّزن، نجد أنَّه فارغ من كلّ ما قيل ويقال، وأنَّه انتشر بالتَّغير الفكري والرّوحي، وتحول جمهرة الناس من حالة الجاهلية الرّعناء، إلى حياة إسلاميّة صافية، يرفرف عليها الهناء والرّاحة والوحدة (إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[٣].

ويضاف إلى ذلك آراء بعض الشَّخصيات الغربية التي اعتنقت الإسلام بعد البحث والتَّتبّع العميق لروح الإسلام وفكره ومنهجه، ومنهم (اللورد هيدلي) رئيس الجمعية الإسلامية البريطانية، حيث قال: (ينظر الاوربيون دائماً الى الإسلام، كأنَّه وحش وهمجية، فلو علموا كل ما فعله محمدﷺ لإزالة التَّوحّش والهمجية التي لقيها داخل بلاد العرب لغيّروا تلك الأفكار.

ويقول الدكتور (جرموناس) إنَّ محمداًﷺ رسول الله الأعظم مصلح ثوري عرفه التاريخ، مؤيد بوحي من عند الله، ونحن مأمورون أن نفهم تعاليمه ونطبّقها على شؤون حياتنا الدّنيوية، مع الإيمان بأنَّ ما أوحي به إليه إنَّما هو أساس لا يهتز، ولا يتعثّر لكونه إلهيّاً.

رابعاً: حتى الحروب والفتوح التي وسعت من رقعة الدّولة الإسلامية، لم تكن هي المبدأ والقاعدة الثابتة،

(١) بحار الأنوار : ٢٧ / ١٣٧.
(٢) المصدر نفسه : ٤٤ / ٥ ، وسيرة بن هشام : ٢ / ٤١٢.
(٣) سورة الرعد/ الآية : ١١.

وإنَّما هي استثناء – لا كأي استثناء– بل استثناء يحمل معه عناصر التَّهذيب والنَّزاهة من واقع الرّسالة الإسلامية، بعيداً عن التّوحش والهمجية والاعتداء.

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[١]، وإلى هذه قال رسول الله ﷺ في تأكيد نظرية الحق الإنساني: (لزوال الدنيا جميعا أهون على الله من دم يسفك بغير حق)[٢]، والذي يؤكِّد على القاعدة الأساسية لبناء الإسلام، وهي: خط احترام الدّم، والحق الإنساني في العيش بحرية وكرامة، وعدم الإكراه على اختيار العقيدة، (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)[٣].

ويأتي احترام الدم في حدود الأمن من خطره وظلمه على الإسلام والمسلمين، حتى ولو كان دم المشرك (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ)[٤].

خامسًا: من خلال هذه النَّظرية التي تبنّاها الإسلام، بنيت الحروب والفتوح الإسلامية على أساس قيم ومبادئ عملية كان يتحلّى بها القائد الإسلامي قبل الحرب وفي أثنائها، نستطيع أن نسمّيها بآداب وأخلاق الحرب في الإسلام، وتتلخّص هذه المبادئ والأخلاق في الأمور التَّالية:

أ- أنَّ أي حرب أو فتح إسلامي لا يتم إلا بعد أن يشكّل الطَّرف الآخر خطراً حقيقياً على الإسلام والمسلمين، ويتحوّل إلى غدّة تفرز الأذى وتتربّص الفرص للوقيعة بالدّين والمجتمع (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)[٥].

ب – إنَّه لا يتم اتخاذ أيّ إجراء عسكري إلَّا بعد الإنذار والدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وانتظار ردّة فعل الذين سمعوا كلام الله، إن كانت إيجابية أو سلبية: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ)[٦].

وفي نوادر الرَّاوندي، عن الإمام علي عليه السلام قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال لي: ياعلي لا تقاتل أحدًا حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشّمس ولك ولاؤه)[٧].

(١) سورةالبقرة/ الآية : ١٩٠.
(٢) ميزان الحكمة : ٨ / ١٦٣.
(٣) سورالبقرة/ الآية : ٢٥٦.
(٤) سورة التوبة/ الآية : ٦.
(٥) سورة التوبة/ الآية : ١٢.
(٦) النحل : ١٢٥-١٢٦.
(٧) مستدرك سفينة البحار : ١ / ١٠.

وقد حدث لرسول الله ﷺ مع رعية السحيبي الذي كان متمردًا على الإسلام، وقد دعاه رسول الله ﷺ في كتابٍ كتبه له على قطعة أو أديم قائلاً: (أسلم تسلم) فأخذ رعية الكتاب ورقع به دلوه مخالفاً حتى لأدب الإنسانية.

وكانت ابنته قد أسلمت وتزوّجت في بني هلال... فلمّا رأت ذلك قالت لأبيها:- أهكذا تفعل بكتاب رسول الله ﷺ؟ والله ما أراك إلّا أن يصيبك الله بقارعة من عنده.

ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ أرسل له سريّة من جيشه، فدخلت القرية وأخذت أمواله واحتجزت عائلته، وعندها جاء رعية إلى المدينة مرتدياً سملة كان إذا سحبها على رأسه بدت سوأته وبالعكس، فدخل المدينة ليلاً، وسأل عن النبي ﷺ فقيل له: يأتي صباحاً.

فلمّا أصبح الصباح جاء رسول الله ﷺ فتقدم إليه رعية ليقبل يده فسحبها رسول الله ﷺ وقال: من أنت؟ قال: رعية السحيبي، قال ﷺ: أنت الذي رقعت دلوك بالكتاب؟، قال: نعم، قال: ما عندك؟ قال: أريد أموالي وولدي، قال ﷺ: أمَّا أموالك فقسمت، ولو أدركتها قبل التَّقسيم لرجعت إليك، وأمّا ولدك وأهلك فإنَّهم لك، ثم أشار إلى بلال ليأخذه إلى ولده وأهله، فأخذه وسلمهم له.

ج- وضع الإسلام في منهجه العسكري مسلّمات أخلاقية ثابتة، تدعو إلى قصر الحرب على ساحة المعركة وعدم التَّعدّي إلى غيرها من المساحات، لأنَّ الهدف ليس هو الاحتلال واقتطاع الأراضي من مالكيها وضمِّها إلى دار الإسلام، وإنَّما الغاية هي هداية الناس إلى التي هي أقوم وإدخالهم في ظل الإسلام.

ولو كان المسلمون يطمعون في جمع المال وامتلاك الأراضي لما تركوا الأراضي المفتوحة بيد أصحابها يستثمرونها ويستفيدون منها، فلماذا لم يحوّل المسلمون هذه الأرض ملكاً لهم، ومن عليها عبيداً؟، بينما أقرّ الإسلام ملكيتهم وأقرّ حريتهم باختيار دينهم وممارسة عبادتهم.

ومن ناحية أخرى: دعا الإسلام إلى قصر الحرب على المقاتلين فقط، دون التَّعدّي إلى غيرهم من الناس، وإليك ما جاء في تحديد تلك المسلمات الأخلاقية:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ النبي ﷺ كان إذا بعث أميرًا على سرية، أمره بتقوى الله عزّ وجل في خاصة نفسه ثم في أصحابه عامة، ثم يقول له:

(اغزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النّخل ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعًا لأنَّكم لا تدرون

لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم ممّا يؤكل لحمه إلا ما لا بُد لكم من أكله.

وإذا لقيتم عدوًّا للمسلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث: فإن هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم وكفّوا عنهم: أدعوهم إلى الإسلام فإن دخلوا فيه فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وادعوهم إلى الهجرة.

فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وإن أبوا أن يهاجروا واختاروا ديارهم وأبوا أن يدخلوا في دار الهجرة كانوا بمنزلة أعراب المؤمنين، يجري عليهم ما يجري على أعراب المؤمنين، ولا يجري لهم في الفيء ولا في القسمة شيء إلا أن يهاجروا في سبيل الله.

فإن أبوا عن هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فإن أعطوا الجزية فاقبل منهم وكف عنهم، وإن أبوا فاستعن بالله عزوجل عليهم وجاهدهم في الله حق جهاده.

وإن حاصرت أهل الحصن فأرادوك على أن ينزلوا على حكم الله عزّ وجل فلا تنزل بهم، ولكن أنزلهم على حكمهم ثم اقض فيهم بعد ما شئتم، فإنّكم إن أنزلتموهم على حكم الله لم تدروا تصيبوا حكم الله فيهم أولا.

وإذا حاصرتم أهل حصن، فإن آذنوك على أن تنزلهم على ذمّة الله وذمّة رسوله فلا تنزلهم، ولكن أنزلهم على ذممكم وذمم آبائكم وإخوانكم، كان أيسر عليكم يوم القيامة من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله)[1].

وتلوح من خلال هذه المقالة لرسول الله ﷺ، طبيعة التَّعامل الذي رسمه الإسلام مع العدو وفق المبادئ الأخلاقية التي من أهمّها:

١- ما ذكرناه من قصر المعركة على ساحة الحرب وعلى المقاتلين من أهل الحصون فقط، دون غيرهم من الناس.

٢- دعوتهم إلى الإسلام قبل كل شيء، ثم دعوتهم إلى الهجرة عن دار الكفر إن أسلموا.

٣- إذا أبوا أن يسلموا ورفضوا الهجرة عن دار الكفر، أقروا على دينهم مقابل الجزية عن يد وهم صاغرون.

٤- فإن حوصروا في حصونهم وأرادوا النّزول عند حكم الله -عزّ وجل-، فلا ينزل بهم إلاّ عند حكمهم خوفاً من أن لا يصاب فيهم حكم الله -تعالى-، وما أروعه من ضابط يريد أن يترفع بالحكم عن الهوى والانحراف.

٥- فإن حوصروا وطلبوا النّزول على ذمّة الله وذمّة رسوله، فلا ينزل بهم إلَّا على ذمم المقاتلين وآبائهم وإخوانهم، احتراماً لذمَّة الله وذمّة رسوله من أن تنقض وتخرق.

---

(١) الوسائل: ١٥ / ٥٩- ٦٠.

هذا هو مبدأ الحرب وأخلاقيتها في الإسلام، لا كما نلاحظ في عصرنا الحاضر، حتى دعاة الإنسانية، ودعاة حقوق الإنسان لم يعد عندهم قتل الإنسان المسلم أمراً مستنكراً، ولدينا دليل عملي وتطبيق يومي ثابت يؤشر إلى هذه النّزعة الحاقدة ضدّ المسلمين.

سادسًا: وضع الإسلام في منهجه العسكري قبل كلّ شيء غاية مهمّة، فركزها في فكر الإنسان المسلم، وجعلها هي التي تحرّكه، وتحدِّد مساره في القتال، وتُعطي للحرب مشروعيتها، وتلك الغاية هي (سبيل الله) كما حدَّدها القرآن الكريم بقوله -تعالى-: (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[١].

ويشمل سبيل الله عدة قيم مقدَّسة، هي ذات حرمة من خلال المنظور الإسلامي، يعني الإنسان المسلم بالدِّفاع عنها، وهذه القيم هي:

١ - الدِّين: وهو قمَّة الحرمات، لأنَّه مصدر القوة والقداسة لكلِّ المبادئ والقيم، وهو الذي يخلق الدَّوافع، ويؤجج الشّعور في الإنسان من أجل صيانة الحرمات والدِّفاع عنها.

ولذا فإنَّ الاستعمار يركّز حربه على الدِّين، لأنَّه ملتقى كلّ القيم، التي هي (سبيل الله) فإذا ما تعرّض الدِّين إلى خطر جدّي من أعدائه، كان لزاماً على كلِّ مسلم الدِّفاع عنه (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاّ عَلَى الظَّالِمِينَ)[٢].

٢ - العقل: وهو ثمرة وجود الإنسان، وعنصر سعادته وأصالته، ويمتثّل الدِّفاع عنه، إمّا بتربيته وإعداده على أساس العلوم والمعارف النَّافعة، وإمّا بالحرب على من يتعدّى على حرمته، ويسرق حقّه من العلوم والمعارف، إذ يعتبر العدوّ في هذه الحالة، في حالة حرب على المسلمين.

ولكنها حرب فكرية، كما هو هدف الاستعمار اليوم، والذي من جملة أساليبه لقتل المسلمين هو قتلهم من داخل ذاتهم، بالضرب على أيديهم وقتل حرّيّاتهم في الإبداع والصنع والاختراع، وتمرير سمومه وأفكاره الإلحادية عليهم، ومحاولة تجريدهم حتى عن عقيدتهم وإيمانهم بالله عزوجل، وعن حبِّهم لوطنهم وأرضهم.

٣- العِرض: وهو شرف المجتمع والأمة، وسلامة المجتمع إنَّما تتحقّق بسلامة عنصر النَّزاهة والطّهر

---

(١) سورةالنساء/ الآية: ٧٤.

(٢)سورالبقرة/ الآية: ١٩٣.

فيه، ونشر طابع العفَّة لأبنائه، أمّا بمنع مادّة الفساد والحد من التّعديات على الأعراض، بما قرّره القرآن الكريم من عقوبة صارمة.

قال -تعالى- : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)(١).

وأما بمنع حديث الفاحشة، والحدّ من نسبتها إلى أعراض المجتمع المسلم، ممّا يؤدّي إلى قتل عنصر النزاهة فيه.

قال -تعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)(٢).

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(٣).

ومن أهداف أعداء الإسلام هو الإساءة إلى الإسلام والمجتمع المسلم بترويج مادَّة الفساد والتَّعدّي على أعراض المسلمين، وإسقاط عنصر العفّة وإشاعة حديث الفاحشة لإسقاط نزاهة وهيبة المسلمين.

٤- المال: وهو ذو حرمة في الإسلام، إذا ما كان خاضعاً لحدود وضوابط الشَّريعة، وهو يشكّل العنصر الحيوي لإقامة أود الفرد والمجتمع، فإذا ما تعرض لخطر النّهب والسّرقة أو أي اعتداء آخر كان من حقِّ الإنسان الدّفاع عنه؛ لأنَّه في جانب من جوانبه يُشكِّل عنصر القوّة للحياة على الأرض، وإنَّ أيّة أمَّة من الأمم إنَّما تبني وجودها، وتشد كيانها وقوّتها في كافّة الميادين العسكريّة والثّقافية والسّياسية عن طريق بناء اقتصادها أوّلاً.

ولذلك يحاول الاستعمار وأعداء المسلمين تجريد المجتمعات الإسلامية عن إمكاناتها الاقتصادية، والسيطرة على ثرواتها ومصادر البناء والتّنمية فيها، واتباع سياسة التَّجويع من أجل السَّيطرة.

٥- النَّفس: وهي ذات حرمة مقدَّسة، ومن حق الإنسان إذا تعرَّض لخطر عدوه أن يدافع عن نفسه، وتعتبر النَّفس الإنسانية اللبنة الأولى لبناء المجتمع المسلم، ويعتبر الدّم الذي يسري في عروقها هو دم الأمة، كما أنَّ دمها يسري في جسم الأمة.

---

(١) سورةالنور/ الآية : ٢.

(٢) سورالنور/ الآية : ١٩.

(٣) سورةالنور : ٤ - ٥.

لذا قال -تعالى-: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)[1].

وما يقوم به أعداء الإسلام والمستعمرون من قتل وإبادة، يهدف إلى حرمان المسلمين من عناصر قوّتهم، وناهيك عمّا يرتكب يومياً من المجازر، سواءً في إشعال الحروب بين المسلمين أنفسهم، أوفي إبادتهم وقتل أطفالهم وشبابهم على أرضهم؛ لأنَّ النَّفس المسلمة التي تحمل مشعل الإيمان بالله -تعالى-، تشكّل خطراً حقيقيّاً على نزعة التَّوسع والتَّسلط في الكيان الصّهيوني وأذنابه وعملائه.

فبيّن الفارق الرَّئيس بين الغاية التي ينشدها أعداء الإسلام من وراء حروبهم ومعاركهم ضدّ المسلمين، وبين ما ينشده المسلمون في معارك الجهاد، وملاحم الدِّفاع في سبيل الله عزّ وجل.

(١) سورة المائدة : ٣٢.

الله نور السموات والأرض
مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح
في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من
شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره
من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم

السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام صبر عظيم وعطاء كريم

محمد يوسف

إنَّ الحديث عن السّيّدة الطَّاهرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام زوجة الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأمّ الزَّهراء البتول عليها السلام حديث عن شخصيّة عظيمة لها فضل المؤازرة للإسلام حال نزوله على النبي محمد صلى الله عليه وآله فصدَّقته حينما كذبه الناس، وساندته حينما خذلوه فقدّمت كل غالٍ ونفيس في سبيل الله -عز وجل- فعوّضها الله-تعالى- بأن حباها الكوثر فاطمة الزهراء عليها السلام.

أسماؤها وألقابها عليها السلام:

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، جدّها (خويلد) كان بطلاً مغواراً دافع عن حياض الكعبة المشرّفة في يوم لا ينسى.

والدتها (فاطمة) بنت زائدة بن أصمّ بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر[١]، كانت سيّدة جليلة مشهود لها بالفضل والبرّ[٢].

للسيّدة خديجة عليها السلام ألقاب كثيرة تعكس عظيم نبلها وشديد قدسها، من هذه الألقاب: الصّدّيقة، المباركة، أمّ المؤمنين، الطَّاهرة، الرَّاضية، المرضيّة ...

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/ ص ٨.
(٢) السيلاوي، الأنوار الساطعة/ ص ١٠.

كانت تعطف على الجميع، وتحنو عليهم كأمّ رؤوم بأولادها، فكانت (أمّاً لليتامى)، و(أمّاً للمؤمنين)، وهي كوثر الخلق، وسمّيت أيضاً (أمّ الزهراء) أو ينبوع الكوثر.

السيدة خديجة عليها السلام وعاء أنوار الإمامة

السيّدة خديجة عليها السلام هي الزَّوجة الوحيدة من بين أزواج النَّبي الكريم صلى الله عليه وآله التي استمرّ نسلها الطاهر حتى يومنا هذا، لقد ارتأت المشيئة الإلهية أن تكون السيّدة خديجة وعاءً لأنوار الإمامة وضيائها.

لم تكن السّيّدة خديجة عليها السلام عنصراً مغموراً في قريش بل كانت معروفة حسباً ونسباً وشرفاً وثراءً، وقد رغب فيها الرّجال وهي زاهدة فيهم وترفَّعت عمّا في أيديهم. فقد كانت راغبة في الصَّادق في الحديث والعظيم في أمانته والكريم في أخلاقه، ووجدت هذه الصِّفات مجتمعة كلّها في شخص محمّد صلى الله عليه وآله. ولم تنتظر مجيئه بل هي جاءت إليه باذلة له نفسها وما تملك، فعابوا عليها ما فعلت، وقد وتدت أمام أعاصير ألسنتهم قدميها وأعارت صاحب الأوصاف الملكوتية عقلها.

وبالرغم من ذلك لم تسلم من الألسن وحتى من الموقف حين قرّرت نساء قريش مقاطعتها وهجرانها حتى بالسّلام والكلمة، فقد سأل الفضل بن عمر الإمام الصادق عليه السلام عن كيفية ولادة السّيّدة الزَّهراء عليها السلام فأجابه: «إنَّ خديجة سلام الله عليها لما تزوّج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكّة فكُنَّ لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل إليها»[١]، ولقد طال هذا الهجران أيّاماً وشهوراً حتى أنَّها في اللحظة التي احتاجت فيها لهنَّ في وقت الولادة بعثت إليهنَّ ليجئن إليها وليلين منها ما يلي النساء من النساء فأرسلنَ إليها: عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوّجت محمّداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً.[٢]

أموال خديجة جزء من المعركة

لقد كان لأموال خديجة عليها السلام دور كبير وأثر عظيم في نشر الرّسالة المباركة، وقد بذله رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع الموارد التي تتطلّب مالاً، وكان يُشكّل رافداً اقتصادياً لتثبيت القلوب وكشف الهموم إلى كل من يحتاج إليه.

وقد برز عظيم الأثر لهذا المال خلال سنين الحصار في شعب أبي طالب إذ كان من العوامل الرّئيسة التي أدَّت إلى صمود المسلمين حينها حتى أنَّه قيل إنَّ خديجة وأبا طالب أنفقا جميع مالهما[٣]، وكفى فخراً للسيدة خديجة ولمالها

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ج١/ ص٢٠٣.
(٢) بحار الأنوار، ج١٦/ ص٨٠.
(٣) المصدر نفسه، ج١٦/ ص٥٥.

مدح الله ورسوله حيث قالﷺ: «ما نفعني مال قط كما نفعني مال خديجة» وأشار القرآن الكريم إليه بقوله: (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى)[١] أي بمال خديجة[٢].

ولسنوات طويلة كانت القوافل التّجاريّة للسيّدة خديجة عليها السلام من أكبر قوافل قريش، وقد ربحت من تجارتها ثروات طائلة، وضعتها جميعها تحت تصرّف الرَّسول الكريمﷺ، لينفقها فيما يراه مناسباً.

الولاء للإمام علي عليه السلام

كان الإمام علي عليه السلام منذ سنينه الست في بيت النَّبي وتحت ناظري السّيّدة خديجة عليها السلام ورعايتها، لذلك كان لها حقّ في رقبته هو حقّ الأمومة. وعندما شرح الرسول الكريمﷺ لزوجه مفهوم الولاية وموقعها السَّامي، وطلب إليها أن تؤمن بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، استجابت فوراً حيث قالت بصراحة ووضوح: آمنت بولاية علي وبايعته[٣]، وكانت السيدة خديجة عليها السلام تفيض بالحنان والعطف على الإمام علي عليه السلام، لدرجة أنّها قالت فيه: إنّه أخي، وأخو النبي، أعزّ الناس إليه، وقرّة عين خديجة الكبرى عليها السلام[٤].

سلام من الله إليها

إنَّ الله -سبحانه وتعالى- لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى. وقد أعطى خديجة ما تستحقّ من الثَّواب الجزيل والمنزلة الرّفيعة على جهادها وصبرها. وكفاها فخراً أن يُحمل إليها السلام من رب السلام فعن أبي جعفر قال: « أنَّ رسول الله قال: إنَّ جبرائيل قال لي ليلة أسري بي حين رجعت وقلت: يا جبرائيل هل لك منَّا حاجة؟ قال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومنّي السلام... فقال لها الذي قال جبرائيل فقالت: إنَّ الله هو السّلام ومنه السلام وإليه السلام وعلى جبرائيل السلام»[٥]. بل هي إحدى النِّساء اللواتي تبوَّأنَ مكاناً علياً بين النِّساء.

ويكفي أنَّ السّيّدة خديجة من الفضل والكرامة أنَّها كانت المستودع لسيّدة نساء العالمين وصاحبة الرّحم الطَّاهر والمطهر الذي أودع فيه خلاصة ثمار الجنة استعداداً لتكوين الصّورة الملكوتية لسيدتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام. وليس هناك حِجر في الكون أفضل من حِجرها إذ احتضن المولودة التي لا نظير لها من الأوَّلين والآخرين. وقد بارك الله المحتضنة والمحتَضَنة التي بثّ منها الأنوار السَّاطعة والشّموس الطَّالعة لأئمّتنا عليهم السلام. قد كانت السّيّدة

(١) سورة الضحى/ الآية:٨.

(٢)الخرائج، ج١/ ص٨٥.

(٣) قصة تلقين السيّدة فاطمة بنت أسد خير دليل على صدق هذه الحقيقة حيث كان الناس في عهد الرسالة يُسألون عن ولاية أمير المؤمنين.

(٤) إثبات الوصية/ المسعودي/ ص ١٤٤.

(٥)بحار الأنوار/ ج١٨/ ص٢٣٣.

خديجة عليها السلام أوّل سيّدة مسلمة تأكل من فاكهة الجنَّة حيث ناولها الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله بيده الشّريفة عنقوداً من عنب الجنّة[١].

لقد كانت السّيّدة خديجة عليها السلام طيلة ربع قرن نجماً ساطعاً يشعّ بنوره على بيت النّبوة والرّسالة، تجلي بنظراتها الحانية الهمّ والشَّجن عن نبي الرَّحمة صلى الله عليه وآله، حتى حان موعدها مع القدر في العاشر من رمضان في السّنة العاشرة من البعثة عندما أسلمت الرّوح لبارئها وألقت برحيلها المفجع ظلالاً من الكروب والأحزان على قلب النَّبي، وكان ذلك في السَّنة الثَّالثة قبل الهجرة، ودفنت في الحجون، حيث دخل النبي صلى الله عليه وآله قبرها ووضعها في لحدها بيديه الشَّريفتين، في ذلك الوقت لم تكن صلاة الميّت قد شرّعت بعد، وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أشهر، وقيل بأنَّ الفترة بين الوفاتين هي من ثلاثة أيَّام إلى ثلاثة أشهر، وعلى أيّ حال، كان وقع ذلك شديداً على النَّبي الكريم الذي فقد نصيرين له، وقد سُمِّي ذلك العام بعام الحزن، وأعلن الحداد فيه.

بعد وفاة السّيّدة خديجة عليها السلام، أصبح منزلها أحد الأماكن المقدَّسة التي يؤمّها آلاف الحجاج سنويّاً، يقول الرّحالة المسلم المشهور ابن بطوطة: من المشاهد المشرّفة التي تقع على مقربة من المسجد (قبة الوحي) وهو منزل أم المؤمنين خديجة.

النَّبي الكريم: غروب حزين ووحدة موحشة

لقد كانت السّيّدة خديجة عليها السلام طيلة ربع قرن نجماً ساطعاً يشعّ بنوره على بيت النّبوّة والرّسالة، تجلي بنظراتها الحانية الهمّ والشَّجن عن نبي الرَّحمة صلى الله عليه وآله، حتى حان موعدها مع القدر في العاشر من شهر رمضان في السنة العاشرة من البعثة عندما أسلمت الروح لبارئها وألقت برحيلها المفجع ظلالاً من الكروب والأحزان على قلب النبي، وكان ذلك في السنة الثَّالثة قبل الهجرة[٢]، ودفنت في الحجون، حيث دخل النبي صلى الله عليه وآله قبرها ووضعها في لحدها بيديه الشَّريفتين، في ذلك الوقت لم تكن صلاة الميّت قد شرّعت بعد، وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أشهر، وقيل بأنّ الفترة بين الوفاتين هي من ثلاثة أيّام إلى ثلاثة أشهر، وعلى أيّ حال، كان وقع ذلك شديداً على النبي الكريم[٣] الذي فقد نصيرين له، وقد سمّي ذلك العام بعام الحزن، وأعلن الحداد فيه[٤].

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩/ ص ٢٢٥.

(٢)الطبري، دلائل الإمامة/ ص ٨.

(٣) الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف/ ص ١٢٨.

(٤) الدخيل، أم البنين خديجة/ ص ١٢ – نيازي، مستدرك السفينة، ج ٣، ص ٣١.

ما فتئ الرسول الأكرمﷺ يقول: لم يسيطر عليّ الحزن والهمّ طيلة حياة أبي طالب وخديجة[١]. لقد ظلّت ذكرى خديجة والسّنوات المشتركة خالدة وماثلة في ذاكرة النّبي لم يمحها الزّمان. لم يكن يخرج من البيت إلا ويذكر خديجة بخير، فكان بذلك يثير عاصفة من الحسد والضّغينة في نفوس زوجاته الصّغيرات، وكنّ يعترضن عليه أحياناً لكنّه كان يدافع عن خديجة بحزم فيقول: نعم، كانت خديجة هكذا، وقد رزقني الله أولادها[٢]، وكلّما كان يذبح أضحية في بيته يبعث بجزء منها إلى صديقات خديجة[٣].

وصايا السّيّدة خديجة عليها السلام

لقد أوصت السيّدة خديجة عليها السلام النبي الكريم عدّة وصايا وهي على فراش الموت هي:

أن يدعو لها بالخير

أن يلحدها بيده

أن يدخل قبرها قبل دفنها

أن يضع مرطه الذي ادّثر به عند نزول الوحي، على كفنها[٤].

إنّ السيّدة خديجة عليها السلام التي وهبت كل ثروتها وأموالها إلى الحبيب المصطفى لم تطلب في مقابل ذلك سوى مرط، ومع ذلك فهي لم تطلبه منه مباشرة، بل بواسطة ابنتها الزهراء عليها السلام[٥]. حينذاك نزل الوحي من عند الله العلي القدير بكفن من الجنّة.

---

(١) الأربلي، كشف الغمة، ج ١، ص ١٦ – المحدث القمي، كحل البصر، ص ٥٥.

(٢)القاضي نعمان، شرح الأخبار، ج ٣/ ص ١٧.

(٣) صحيح البخاري، ج ٥/ ص ٣٩.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج ٤/ ص ٢٧٥.

(٥) السيلاوي، الأنوار الساطعة، ص ٣٧٥.

حب الحسن عليه السلام

السيد زهير الأعرجي

ماذا يُراد من كلمة الحب عندما تتواتر الروايات بحب النبي صلى الله عليه وآله للحسن عليه السلام ؟

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يشير إلى الحسن عليه السلام: (اللهم إنِّي أحبه وأحب من يحبه)[١]، (ومن أحبني فليحبه...)[٢]، (...فليبلغ الشاهد الغائب)[٣]، و(حسنٌ مني وأنا منه ، أحب الله من أحبه)[٤].

١ – فهل للمحبة دلالات دينية وعقائدية؟

٢ – وهل أنّ الحبَّ جسرٌ ذهني وشعوري بين المحِب والمحبوب؟ وهل هناك إلزام شرعي من المؤمن المحِبّ بحب الحسن عليه السلام؟

٣– وهل يتبدل تفكير الإنسان وشعوره عندما يشعر بأنَّه يعيش علاقة حبّ ذهنية مع شخصية عظيمة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وآله كشخصية الحسن عليه السلام

---

(١) ترجمة الامام الحسن عليه السلام – ابن عساكر ص ٣٨؛ رواه البخاري في صحيحه ج ٥/ ص ٣٣.

(٢)الصواعق المحرقة – ابن حجر ص ١٣٧، ١٣٨.

(٣)مسند أحمد بن حنبل ج ٥/ ص ٣٦٦.

(٤) العوالم (في أحوال الإمام الحسن عليه السلام) ص ٣٥.

نحاول الإجابة عن تلك الأسئلة المهمَّة في هذا البحث بإذنه تعالى كي تكون لنا مفتاحاً مناسباً لدراسة حياة الإمام عليه السلام، وشخصيته الفكرية والاجتماعية، ودوره في المجتمع الإسلامي في النّصف الأوَّل من القرن الأوَّل للهجرة النَّبوية الشَّريفة.

دور الحبّ في حياة الإنسان:

لاشكّ أنَّ الحب الحقيقي يقوم بدورٍ مهمٍّ في تشكيل ثقافتنا الدّينيّة والاجتماعية. ذلك أنَّ الحبّ القائم على الأخلاق الدِّينية يصحّح سلوك الأفراد ويجعلهم يلتزمون بأخلاقية المحبوب وسلوكه وقيمه المعنوية. فإذا كان المحبوب متكاملاً في شخصيته الذاتية والاجتماعية، حاول المحبّون أن يتسلقوا سلّم الكمال ليرتقوا بأنفسهم إلى مكان القرب منه.

وعلاقة الحب في الإسلام تبدأ بحبِّ الله -تعالى-، ثمّ حبّ النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، ثمّ حب أهل بيته الطَّاهرين عليهم السلام، ثمّ حبّ أهل الإيمان والتّقوى، وتنتهي بحبّ البشر لأنَّهم أخوان يشاركوننا في الإنسانية والعقل والشّعور.

١- حب الله -تعالى-: قال -تعالى-: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا للهِّ ...)[١].

٢- حب النبي صلى الله عليه وآله: قال -تعالى-: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُّ بِأَمْرِهِ وَاللهُّ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ...)[٢]. وفي الحديث الشَّريف: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين)[٣].

٣- حبّ أهل البيت عليهم السلام: قال -تعالى-: (...قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ شَكُورٌ)[٤].

٤- حبّ أهل الإيمان: (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٥].

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٦٥.

(٢)سورة التوبة/ الآية: ٢٤.

(٣) صحيح مسلم ج ١/ ص ٤٩.

(٤) سورة الشورى/ الآية: ٢٣.

(٥) سورة الحشر/ الآية: ٩.

٥- حبّ النّاس: يقول -تعالى-: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)[١]. وتكريم الإنسان هو جعله كائناً كريمًا ذو شرفٍ في ذاته، ومقتضى تكريم بني آدم محبّتهم. وفي كتاب الإمام علي عليه السلام إلى الصّحابي الجليل مالك الأشتر، يقول عليه السلام عن الناس: (فإنَّهم صنفان: إما أخٌ لك في الدين، وإما نظيرٌ لك في الخلق)[٢]. والمفهوم المستفاد هو أنَّ الإنسان كريم في ذاته ونظير للآخر في الخلق والتكوين، فالإنسان ينبغي أن يحب أخيه الإنسان لإنسانيته وكرامته وتشابهه في الخلق.

وما نبتغيه في هذا البحث هو البحث في طبيعة حبّ أهل البيت عليهم السلام ودلالته، وبالخصوص حب الإمام الحسن عليه السلام.

إنَّ أهم نتائج المحبَّة والمودَّة بين طرفين متفاوتين في الكمال، هو مشاركة المحِب أخلاقية المحبوب ودوره في الحياة، والالتزام بتعليماته وأوامره. وإذا استحكمت علاقة المودّة والمحبّة، فإنَّها من الصَّعب أن تتعرض إلى الانفصال والتّفكك.

المودة العقلية والمودة العاطفية:

وهل أنَّ المودّة التي أمرنا الله -تعالى- بها على لسان النَّبي صلى الله عليه وآله لأهل البيت عليهم السلام، مودَّة عقلية؟ أم هي مودّة عاطفية ؟ ولماذا خصّ الحسنين عليهما السلام بتلك المودّة وذلك الحب، وصرّح صلى الله عليه وآله بأنَّ: (من أحبَّ الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبَّه الله، ومن أحبَّه الله أدخله جنات النَّعيم...)[٣].

جواباً عن هذا السّؤال، لابُدَّ أن نذكر بأنَّ الحبّ، على قسمين:

الأوَّل: الحب المبني على الرَّغبة في الغريزة الجسديّة، وهذا خارج عن موضوع بحثنا.

الثَّاني: الحب المبني على اكتشاف الجمال الحقيقي في المحبوب عن طريق فهم سلوكه وأفكاره. وهذا القسم من الحب هو مرادنا في هذا الكتاب.

ونحن لا نستطيع أن نستشعر ذلك الحب وتلك المودَّة للحسن عليه السلام ما لم نفهم صورة الجمال والكمال في حياته. فكيف نستطيع فهم مراد النبي صلى الله عليه وآله بحبِّ الحسن عليه السلام، ما لم نكتشف مواطن الجمال في فكره عليه السلام ومواطن الكمال في سلوكه وسيرته.

(١)سورة الإسراء/ الآية: ٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة -الشيخ محمد عبده ج ٣/ ص ٨٤.

(٣) روضة الواعظين ص ١٤٢.

وإذا استطعنا أن ندخل دائرة حب الإمام الحسن ﷺ، فإنَّنا نكون على عتبة حب الفكرة التي حملها ﷺ وهي فكرة الدّين بكلّ أصوله في التَّوحيد والنّبوة والإمامة، وبكلِّ فروعه في العبادات والمعاملات والأخلاق الحميدة ذاتاً وفعلاً. ولذلك خصّه رسول الله ﷺ بتلك الإشارة العظيمة (من أحبّني فليحبّه).

فيكون تفسير قوله ﷺ: (اللهم إنِّي أحبه، وأحب من يحبه) هو أنَّ النبي ﷺ أحبّ صورة الجمال في الإمام الحسن ﷺ بالخصوص، وأحبّ صورة الجمال في ذريته عموماً؛ لأنَّهم عليهم السلام حملوا قيم الدِّين السَّماوي وطبقوها على أنفسهم أوَّلاً، فجمعوا بين صفات الجمال في القيم، والكمال في السّلوك.

إنَّ الحبّ العقلي من قبلنا نحو أهل البيت عليهم السلام، وهو إعمال العقل والتَّفكر في شخصياتهم وسلوكهم، هو أسمى وأرقى من الحب الشّعوري، وهو البكاء على آلامهم ومصائبهم. ذلك أنَّ العقل أسمى رتبةً في مراتب الوجود من رتبةِ الشعور والعاطفة؛ لأنَّ العقل يميز الإنسان عن بقيّة الكائنات، أوّلاً. ولأنَّ العقل يميّز الكمال والجمال عن النّقص والقبح، ثانياً.

ولو كانت الوحوش بأنواعها وأجناسها تبكي على مصيبة الحسن والحسين ﷺ بالغريزة، لكان الإنسان الكائن الوحيد في الدّنيا الذي يفكّر في كمال سلوكهما، ويكنّ لهما ﷺ حبّاً ذهنياً عن طريقي العقل والفكر.

إذن هناك لونان من الحب الدِّيني للمحبوب المُطاع:

الأوّل: الحب العقلي: هو الحبّ النَّاتج عن التَّفكر في سيرة المحبوب ﷺ والانصراف عن غيره، ومحاولة الاقتداء به والالتزام بتعليماته وإرشاداته. فالمحبوب هنا هو منار للهداية العقليّة والسَّعادة الذّهنية. ومن آثاره رفع مستوى الإنسان إلى مستوى قريب من المستوى الذي يُحِبّ.

الثَّاني: الحب العاطفي: وهو التَّألم لمعاناة المحبوب والفرح لفرحه. وحب الحسنين ﷺ عند عامَّة الناس أفضل مثال على الحبّ العاطفي لهما. لأنَّ الناس تتألم لآلامهما، وتفرح لفرحهما، وتستبشر بولادتهما.

ولا يمكن التماس حبّ المحبوب إلا بفهم سيرته والتَّأمّل في حياته وقربه من الله -تعالى-. فيبدأ العقل بالتَّأمل في سيرة المحبوب الذي أمرنا رسول الله ﷺ بحبّه، ثم تبدأ العاطفة الجيّاشة بالتّأثر والانفعال.

إذًا، فإنَّ الحب الذي طلبه مِنَّا رسول الله ﷺ هو حبٌّ عقليٌّ وحبٌّ عاطفيٌّ معاً. والحب العقلي للحسن ﷺ خصوصاً، ولأهل البيت عليهم السلام عموماً أفضل وأرقى من الحب العاطفي.

من آثار حبّ الإمام الحسن عليه السلام:

هناك آثار تترتّب على حبّ الإمام الحسن عليه السلام بالخصوص، وأهل البيت عليهم السلام بالعموم، وهي:

١- أنّ عمق المودَّة والمحبَّة بين طرفين تؤدّي إلى رفع مستوى الطَّرف الأدنى إلى مستوى أعلى، إلى درجة الاشتراك في بعض الصِّفات النّسبية بين الطَّرفين. فالإنسان يرى في عبادة الإمام الحسن عليه السلام وتقواه وصدقه وعلمه وزهده وشجاعته وإرادته ما يدفعه إلى التَّأسِّي والاقتداء به عليه السلام، فيحاول أن يتّقي غضب الله -تعالى- ويترك المعاصي. ويحاول أن يتعلَّم علوم الدين اقتداءً بالإمام الحسن عليه السلام، ويزهد في حياته الدّنيوية أملاً في الاقتراب من ذلك المستوى الرَّفيع في الأخلاق. فحبّ المعصوم عليه السلام عموماً يشجّع الفرد على الاقتداء به عليه السلام ويشجّعه أيضاً على طلب الوصول إلى كماله عليه السلام وجماله.

والإنسان العاقل هو الذي يسعد بالاقتداء بأزكى الناس وأطهرهم وأتقاهم وأزهدهم عند الله-تعالى-. وهنا أنشأ حبّ المعصوم عليه السلام آصرة أخلاقيّة فكريّة بين ذهن المُحِبّ والشَّخصية الفكريّة والسّلوكيّة للمحبوب.

والسُّؤال المطروح على طاولة البحث، هو كيف يستطيع الإنسان الذي يحب ذاته حُبَّاً جمّاً، أن يستبدل ذلك الحب للذات بحب الحسن عليه السلام مثلاً، وهو حبٌّ للغير؟ أو كيف يستطيع الإنسان الذي جُبِلَ على الشّهوة أن يستبدل الحب الذي يأتيه بالملذّات الجسديّة بحبٍّ فكريٍّ ذهنيٍّ صافٍ فيه الكثير من النبل والفضائل؟

يجاب عن ذلك بأنَّ الحب الذي يولّد شراكة ذهنيّة أو فكريّة هو حب يمنح الإنسان سعادة عظيمة، فيندفع الإنسان لتحقيقه. فإذا كان تفكير المحِبّ متوازياً ومنسجماً مع تفكير المحبوب عليه السلام، أنتج ذلك التّوازي شعوراً غامراً بالسّعادة. وإذا كان التَّفكير متقاطعاً متصارعاً، أنتج ذلك التفكير قلقاً دائماً وتعاسة. وبتعبيرٍ آخر إنَّ المعصوم عليه السلام يُلهم غيره من المؤمنين به بالارتقاء إلى مستويات من الفضيلة والكمال، وكأنَّهم يشاركونه عليه السلام طمأنينة القلب، وخشوع الرّوح، وإذعان العقل.

٢- إنّ حبّ الحسن عليه السلام حبُّ مبادئ يستحقّ أن يكافأ عليه المحِبّ بحبٍّ عكسيٍّ بنفس المستوى. كما قال صلى الله عليه وآله: (اللهم إنِّي أحبه، وأحب من يحبّه). والنبي صلى الله عليه وآله يستطيع أن يأمر فيطاع، فيأمر بحبّ الحسن عليه السلام ويسكت مثلاً. ولكن أخلاقية الإسلام وعظمته وعظمة رسول الله صلى الله عليه وآله اقتضت أن يكافئ حبّ المؤمن للحسن عليه السلام بحبٍّ مماثل من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه. بل في الرّوايات أن يبادَل حب الحسن عليه السلام بحبٍّ من الله -تعالى-، كما قال صلى الله عليه وآله: (حسنٌ منّي وأنا منه، أحب الله من أحبه). وحتى لو كان هذا الأمر بمنزلة الدّعاء، لا بمنزلة الإخبار، لكان أمراً عظيماً. كيف

لا، وهو يصدر عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وكلامه ﷺ صدىً لأوامر السّماء.

إذًا لحب الحسن ﷺ مكافأة عظيمة القدر من قبل النّبي ﷺ، لأنَّه حبٌّ ديني مبني على الفضائل والجمال والكمال. وهذا عكس الحبّ الشّعوري الذي تغنّى به الشّعراء، فقد يحب الرجل امرأة ولا يكافأ على حبِّه إياها.

٣- إنَّ حب المعصوم ﷺ يقتضي فهماً كاملاً لفكره وسلوكه. فإذا أراد المحِّب أن يُحبّ الحسن ﷺ، فلابُدَّ أن يطّلع على حِكَمِهِ وخطبهِ وبلاغاتهِ، وأنْ يلتمس طريقاً لفهم سيرته وتقواه وعبادته وانقطاعه لله -سبحانه وتعالى-. فإذا أحبه عن هذا الطَّريق فقد أحبّ فيه جمال العبادة والتّقوى وكمال الانقطاع إلى الله -تعالى-.

إذًا، فالطَّريق إلى حبّ الحسن ﷺ هو أن يفتح الإنسان عقله لفكره ﷺ وبلاغته وحسن تدبيره، وأن يفتح قلبه لسيرته ﷺ وتمامية سلوكه. وهذا يتطلّب بحثاً معرفيّاً عن جمال المعصوم ﷺ وكماله من الولادة وحتّى الوفاة. فتكون حياة المعصوم ﷺ كتاباً مفتوحاً لمن شاء أن يقرأه ويتدبّر معانيه ويسترشد بهديه.

وفي طرفٍ آخر، إذا أراد الإنسان أن يحبّ أخيه المؤمن، فسوف يحبّه لأمر الله -تعالى-، وتوثيقاً لآصرة الإيمان، واستحكاماً للاجتماع الإسلامي، وفضائل المجتمع المتماسك، وقد يكون جمال المحبوب وكماله أقلّ من جمال المحِبّ وكماله!

كيف تُمتحن المودّة؟

إنَّ للحب طبيعة إنسانية تُفهم عن طريق إفاضة المشاعر على المحبوب، إلا أنَّ الطاقة الفكرية والسّعة العقلية للمحبة تترجم إلى سلوك. فحبّ الرياضة مثلاً يترجم من لدن المحِّب إلى ممارستها، وحب الكتابة يترجم إلى استخدام القلم والدواة في كتابة الأفكار، وحب المحبوب يترجم إلى الاقتداء بسيرته.

ولاشك أنّ حب الإمام الحسن ﷺ أمضى وسيلة من وسائل التعلق به ﷺ، لأنَّ الحب يعيش في القلب والعقل معاً، ويكوّن عندها - على صعيد القلب - فيضاً شعوريّاً ينعكس في المناسبات الحزينة التي تقتضي البكاء والحزن، والفرح للمناسبات الطيبة التي تقتضي الفرح والسرور. وعلى صعيد العقل يكوّن حبّاً عقليّاً يكشف صفاء فكر المحبوب وعظمة صفاته. وهذان اللونان من المودّة العقليّة والقلبية تجاه المحبوب ﷺ يلازمان الإنسان طول حياته.

ولهذا الحب قيمة أخلاقية عليا لأنَّه شعور وُضِعَ في موضعه الصّحيح، ولأنَّه وصولٌ إلى منابع الجمال والكمال. ولاريب أنَّ فصل هذا اللون من الحب الأخلاقي السّامي عن الرّغبات الدّنيوية في المال واللّذة ونحوها، يرفع

الإنسان إلى مستويات من الفضيلة.

وبكلمة، فإنَّ المودّة لأهل البيت عليهم السلام والحب الدّيني لهم هو أسمى وأعلى درجة من الحب الرّومانسي الذي أفتتن به الناس على مرّ العصور، وجسّده الشّعراء في قصائدهم، وذلك:

أوّلاً: لأنَّ الحب الدّيني يتعلق بالفكرة والسلوك.

ثانياً: أنّ المحبّ على أساس الفكرة الدّينية لا يطلب لنفسه شيئاً غير اكتشاف الجمال والكمال في المحبوب.

ثالثاً: أنَّ إطار الحب الدّيني إطار صادق ونقي. وربما يخون المحبوب حبيبه في الحبّ الرّومانسي، لكن لا يحصل ذلك أبداً في الحبّ الدِّيني.

رابعاً: أنّ من آثار حب المعصوم عليه السلام هو الإصغاء لكلامه والالتزام بأوامره ونواهيه التي هي أوامر ونواهي صادرة ممّن هو أعلى منه، وهو الله عزوجل.

خامساً: أنّ الحبّ الرّومانسي يمكن أن تنكسر أواصره وتتحطّم لسببٍ من الأسباب، كخطأ في المقدِّمات أو اشتباه في تقييم المحبوب. ولكن الحب الدِّيني ليس كذلك، لأنَّ هناك مبرراً عقلياً، وإلزاماً سماويّاً لتلك المودّة السَّامية.

الرّوايات الواردة في حبِّ الإمام الحسن عليه السلام:

ويمكن تقسيمها على ثلاثة مجاميع:

المجموعة الأولى: حبّ النَّبي صلى الله عليه وآله للحسنين عليهما السلام وفحوى تلك الرّوايات أنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله كان يحب الحسن والحسين عليهما السلام حبّاً جمّاً، والنَّبي صلى الله عليه وآله مأمور من قبل الله -تعالى- عبر الوحي. فحبّه مرتبط بالرّسالة السَّماويّة. وقد يتخيل المرء للوهلة الأولى أنَّ حبّ النبي صلى الله عليه وآله مرتبطٌ بالرّحم، وكون الحسنين عليهما السلام ولدا ابنته فاطمة الزّهراء عليها السلام، لكن نظرة متأنية لحياة الرسول صلى الله عليه وآله تكشف أمراً آخر وهو أنَّ حبه صلى الله عليه وآله كان امتثالاً لأمر الله -تعالى-، وهو صلى الله عليه وآله القائل بأنَّ الله أمرني بحبهما. وكان في عشيرته الكثير من الصّبيان، إلا أنَّ حبّه للحسنين عليهما السلام حبٌّ مستندٌ على قاعدة دينية، وهي الامتثال لأمر الله -تعالى-. ومن تلك الرّوايات:

١- عن عمران بن الحصين قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي: (يا عمران أن لكل شيء موقعاً من القلب، وما وقعَ موقع هذين الغلامين - يعني الحسن والحسين عليهما السلام من قلبي شيء قط)، فقلتُ: كل هذا يا رسول الله ؟ قال: (يا

عمران وما خفي عليك أكثر، إنَّ الله أمرني بحبّهما)[١].

٢- عن يوسف بن إبراهيم أنَّه سمع أنس بن مالك يقول: سُئل رسول اللهﷺ أيّ أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال: الحسن والحسين، وكان يقول لفاطمة عليها السلام: (اِدعي ابنيّ)، فيشمُّهُما ويضمُّهُما إليه[٢].

٣- عن سلمة بن كهيل بن عبد العزيز عن علي عليه السلام قال: (كان رسول اللهﷺ يقول: يا علي لقد أذهلني هذان الغلامان يعني الحسن والحسين عليهما السلام أن أحبّ بعدهما أحداً أبداً، إنَّ ربي أمرني أن أحبّهما...)[٣]. وقولهﷺ: (أذهلني) ربما يُفهم منه أنَّهﷺ كان يرى فيهما صفات الكمال الدّيني، وكان يعلم بما سيجري عليهما من أحداث وأهوال. والتَّعبير مجازي على أي تقدير، لأنَّ الذّهول المعهود ليس من صفات النّبوة، ولا من صفات العصمة.

المجموعة الثَّانية: حثَّ النّبيﷺ المؤمنين على حبّهما

ولو كان حبّ النبيﷺ للحسنين عليهما السلام مجرّد عاطفة أبوية خاصة به، لما أمرﷺ المسلمين بحبِّهما ومودّتهما. وقد كان عمر رسول اللهﷺ يوم ولد الحسن عليه السلام ينوف على الخمسين بستّة أعوام، وهوﷺ يعلم أنَّ الأجل الحتمي ليس ببعيد، فتذكرة المؤمنين بحبِّهما يعني أنَّهﷺ أراد بذلك مودّتهما من قبل المسلمين عموماً بعد وفاتهﷺ. وفي ذلك روايات:

١- عن الصَّحابي الجليل أبي ذر الغفاري قال: أمرني رسول اللهﷺ بحبِّ الحسن والحسين عليهما السلام، فأنا أحبهما وأحبّ من يحبّهما لحبّ رسول اللهﷺ إياهما [٤].

٢- عن الصَّحابي الجليل أبي ذر الغفاري أيضاً قال: رأيتُ رسول اللهﷺ يقبّل الحسن والحسين عليهما السلام وهو يقول: (من أحبّ الحسن والحسين عليهما السلام وذرّيّتهما مخلصاً لم تلفح النار وجهه ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج، إلا أن يكون ذنبه ذنباً يخرجه من الإيمان)[٥].

٣- عن عديّ بن ثابت، قال سمعتُ البراء يقول: رأيتُ النبيﷺ واضعاً الحسن على عاتقه فقال: (من أحبّني فليحبّه)[٦].

---

(١) كامل الزيارات/ ص ٥٠.
(٢)سنن الترمذي/ ج٥/ ص ٦٥٧.
(٣) المصدر نفسه/ ص ٥٠.
(٤) المصدر نفسه/ ص ٥٠.
(٥) المصدر نفسه/ ص ٥١.
(٦) حلية الأولياء/ ج ٢/ ص ٣٥.

المجموعة الثَّالثة: الاقتران الشرطي (من أحبّني أحبّهما)

ولم يقتصر رسول الله ﷺ حثّ المؤمنين على حبهما، بل ربط محبَّة المؤمنين له ﷺ بمحبّتهما عليهما السلام أيضاً. وفي ذلك أعظم دليل على طهارتهما من الذّنوب والمعاصي، لأنَّ النبي ﷺ لو كان يعلم باقترافهما الذّنوب لما قال ذلك، وهو الذي لا ينطق عن الهوى. وفي ذلك دليل أيضاً على عصمتهما عليهما السلام.

١- عن عبد الله بن مسعود قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من كان يحبّني فليحبّ ابني هذين، فإنَّ الله أمرني بحبّهما)[١].

٢- عن الفتّال النِّيسابوري (ت ٥٠٨ هـ) في (روضة الواعظين) قال، قال رسول الله ﷺ: (اللهم أحبّهما فأحبّهما، وأحبب من أحبّهما)[٢]، وقال ﷺ: (من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله خلّده النّار)[٣].

٣- عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: (من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني)[٤].

دلالات حبّ الحسنين عليهما السلام:

١- تعمّدَ رسول الله ﷺ إظهار حبّه لحفيديه الحسن والحسين عليهما السلام، وكرَّرَ ﷺ كلمات الحبّ والعاطفة اللتين كان يكنّهما إلى هذين الصَّبيّين الطَّاهرين بقصد تعويد الأمّة وتمرينها على حبّهما. وأن لا تستغرب من ذلك، إذا سمعت به بعد وفاته ﷺ.

٢- نسبَ ﷺ حبهما إلى حبِّه وحبّ الله -سبحانه وتعالى-، وهي نسبة عظيمة لأنَّها صدرت منه ﷺ وهو الذي لا ينطق شيئاً إلاّ بأمر السَّماء. أي أنَّ مقولة: (من أحب الحسن والحسين عليهما السلام أحببته، ومن أحببته فقد أحبّه الله -تعالى- هي قضيّة معادلة دينية طرفاها الدِّين من جهة وما يمثّله الحسن والحسين عليهما السلام من قيم سماوية فاضلة من جهة أخرى. وبهذا المعنى نستنتج بأنَّ الحسن والحسين عليهما السلام جزءٌ لا يتجزّأ من الدّين. فكما يجب المؤمن أن يقوم للصلاة وأداء العبادة، فعليه أن يحب هذين الإمامين ورسالتهما في الحياة. وتلك المنزلة لا توضع لأحدٍ من البشر، ما لم يكن أهلاً لها، وخاضعاً لشروطها.

٣- ربط ﷺ حُبَّهما برحمة الله ومغفرته، فالحب الخالص والولاء التّام، مع اقتداء كامل بشخصيتهما يرفع عن

(١) كامل الزيارات/ ص ٥١.
(٢) روضة الواعظين/ ص ١٤٢.
(٣) روضة الواعظين/ ص ١٤٢.
(٤) المناقب - إبن شهرآشوب/ ج ٢/ ص ١٢٩.

الإنسان عقوبة الآخرة، ولذلك قال ﷺ: (من أحب الحسن والحسين عليهما السلام وذرّيّتهما مخلصاً لم تلفح النَّار وجهه...)[١]. والإخلاص في الحب يعني النيّة الصَّادقة، والاقتداء الكامل بهما. وهذا يعني تطبيق الدّين، الذي بذلا حياتهما من أجله.

الحسن عليه السلام على نهج جدّه صلى الله عليه وآله وسلم:

وبعد سنوات مديدة يقوم الإمام الحسن عليه السلام بتأكيد هذا النَّهج السَّماوي بحبِّ العترة الطَّاهرة، فيقول عليه السلام:

١- (والله لا يحبّنا عبدٌ أبداً، ولو كان أسيراً في الديلم، إلا نفعه حبّنا، وإنّ حبّنا ليساقط الذّنوب من بني آدم، كما يساقط الرّيح الورق من الشّجر)[٢].

٢- (قال له رجل: يا ابن رسول الله أنّي من شيعتكم! فقال عليه السلام: يا عبد الله إن كنتَ في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبةً شريفةً لستَ من أهلها، لا تقل: أنا من شيعتكم، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم، ومعادي أعدائكم، وأنت في خيرٍ وإلى خيرٍ)[٣].

وهذا منسجم مع ما قاله رسول الله ﷺ في الحسنين عليهما السلام. وفي كلام الحسن عليه السلام معنيان. الأوَّل: أنَّ الحب يساوي الطَّاعة، وإلاّ ما معنى الحب دون طاعة الإمام عليه السلام. الثَّاني: أنَّ المحبّة والموالاة عن تفكّر أهم من مجرّد الاتباع الأعمى دون تفكير. فما يريده النبي ﷺ من حبّ أهل بيته عليهم السلام هو الاقتراب من منبع الإسلام، فكراً وعملاً. لأنَّ أهل البيت عليهم السلام ترجمة حقيقية عملية لكل معاني الإسلام في الأخلاق، والتَّضحية، والعبادة، والتّقوى، والزّهد، والإخلاص.

ومضمون الرّوايات النَّبويّة الشَّريفة بحبّ الحسنين عليهما السلام تعدُّ مصداقاً حقيقيّاً لقوله -تعالى-: (...قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...)[٤].

الحب الأخلاقي:

إنَّ لحبِّ الحسن عليه السلام بُعداً أخلاقيّاً مهمّاً في حياتنا. فالحبّ العقلي يرتبط دائماً بالتَّعبير اللفظي والفعل الدَّاخلي للمحِب.

---

(١) كامل الزيارات/ ص ٥٠ .

(٢) شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي ج ٢٤/ ص ٤٦٢.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة المناظر/ ص ٣٥١.

(٤) سورة الشورى/ الآية: ٢٣.

ولاشكّ أنَّ هناك عنصراً داخليّاً يشعل شرارة الحب العقلي عند الإنسان. فكما أنَّ الألم الذي يصيبك تشعره وحدك، ولا يتحسّسه غيرك، كذلك شعورك نحو المحبوب عليه السلام ودرجته أو شدّته، إنَّما تستشعره في ذاتك من خلال معرفتك بكماله، وجماله.

إنّ الحب يرفع الحواجز النَّفسية والعقلية والشّعورية بين المحب والمحبوب. فينفتح قلب المحِب للتأمّل في أفكار المحبوب، وحسن أخلاقه، وجمالية عبادته عليه السلام.

وقد أرادت النّصوص الشَّرعية العديدة، في الحثِّ على حبِّ أهل البيت عليهم السلام، على إشاعة ثقافة الحب الدِّيني. وهو حب شخصية متكاملة ابتغاء وجه الله -تعالى-. لا لهدف دنيوي أو لمصلحة مادية، بل بهدف مرضاة الله -تعالى- عبر مودّة تلك الرّموز الدّينية السّامية.

ومعنى إشاعة ثقافة الحب الدّيني هو المشاركة في نشاطات اجتماعية تُظهر كمالية سلوكهم، وجمالية أفكارهم، في المجالس التي تذكر استشهادهم، أو تحتفل بميلادهم وذكراهم عليهم السلام. وتلك عبادة تخفف ذنوب من يقوم بها، كما قال عليه السلام: (... وإنّ حُبّنا ليساقط الذنوب من بني آدم، كما يساقط الريح الورق من الشجر)[1]. وليس وراء الاعتقاد بالله عزّوجلّ والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام شيء آخر إلا التطبيق، كما أشار عليه السلام: (... فلمّا منَّ الله عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم صلى الله عليه وآله، قال الله عزوجل: (...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا)[2]...)[3]. فعند إكتمال الدين، وإتمام النِّعمة، والرّضا من قبل الله -تعالى- بالإسلام ميزاناً للثواب والعقاب، بدأ التّطبيق العملي. وما على الناس حينئذٍ إلا إظهار مصاديق ولائهم للدين، وولائهم للأطهار من أهل بيت النّبوّة عليهم السلام.

اللغة الشَّريفة للمحبّة:

ماذا يريد مِنَّا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نفعل عندما يقول صلى الله عليه وآله مشيراً إلى الحسن عليه السلام: (من أحبّني فليحبه)؟ هل يريد منَّا أن نستحدث شعوراً عاطفياً نحو الإمام الحسن عليه السلام، أم أنَّه يريدُ منَّا أن نلتزم بقضاياه عليه السلام وفكره وعقيدته والدّفاع عنها؟ وهل نفهم لغة الحب المستخدمة في النّصوص الشَّرعية على مبنى الحب الحقيقي أو على مبنى الحب المجازي؟

---

(١)شرح إحقاق الحق/ ج ٢٤/ ص ٤٦٢.

(٢)سورة المائدة/ الآية: ٣.

(٣)علل الشرائع - الشيخ الصدوق/ ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

اتضح لنا ممّا سبق أنَّ الحب إمّا أن يستند على الشّعور والعاطفة، أو على الرَّغبة الغريزية، أو على القيم السَّامية الرَّفيعة. والحب على أساس القيم الرَّفيعة هو حبّ حقيقي، لأنَّ القيم حقيقة ثابتة تبقى ولا تزول. والمعروف أنَّ الحب الغريزي أو العاطفي يزول بالشَّيخوخة أو المرض أو الموت. ولكن الحب الدّيني القائم على القيم العليا، كحب أهل العصمة والطهارة عليهم السلام يبقى ثابتاً، لكنه يمرّ بمرتبتين:

المرتبة الأولى: المرتبة الذِّهنية، وهي إنشاء رابطة ذهنية بين المحِب والمحبوب. وبمعنى آخر إنشاء تصور إيجابي جميل عن رسول الله صلى الله عليه وآله مثلاً وأهل بيته عليهم السلام في الذّهن، عن طريق استلهام سيرتهم وحكمتهم في الحياة، وأسلوب اتصالهم بالله -تعالى-، وهداية البشرية إلى منابع الخير والسعادة.

المرتبة الثَّانية: المرتبة العمليّة: وهي حبّ النَّبي صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام حبّاً عمليّاً، وذلك يقتضي ترجمة الحب إلى عمل. وهي محاولة المحِب تطبيق ما قام به المحبوب من طاعة الله -تعالى-، والابتعاد عن معصيته، وإقامة الفرائض، ووصل المحروم، وإشاعة الأخلاق الكريمة بين الناس. وكذلك يقوم المحِب بالتّألّم لأحزان المحبوب والفرح لفرحه، وزيارته، وزيارة المعالم التي تشخّص حياته. وهكذا يقوم المحبّ بزيارة ضريح النَّبي صلى الله عليه وآله في المدينة المنوّرة، وزيارة أضرحة أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم في البلدان المختلفة. فالحبّ يدفع الإنسان إلى زيارة المحبوب عليه السلام، حيّاً كان أو ميتاً، ويدفعه أيضاً إلى استحضار سيرته الطّاهرة، والعيش في أجوائها العبقة.

أسلوب المحبة:

ربط النبي صلى الله عليه وآله محبَّة المؤمنين له صلى الله عليه وآله بحبّ الحسن عليه السلام أو بحبّ بقية أهل البيت عليهم السلام، وقال صلى الله عليه وآله: (من كان يحبني فليحبّ ابنيّ هذين - الحسن والحسين- عليهما السلام)[1]، و(من أحبّ الحسن والحسين أحببته...)[2]، و(من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبني...)[3].

والعلاقة بين المحِب والمحبوب علاقة لقاء، وكلّما كثر اللقاء ازداد الحب. ولذلك نرى التَّأكيد على زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام بتلك الصورة الحميمية. وقد وضعت للزيارة آداب منها: الطهارة، ولبس الثياب الطاهرة النَّظيفة والتّطيّب، وشغل اللسان بذكر الله -تعالى-، والاجتهاد في الخشوع لله-تعالى- والتَّفكير بعظمة صاحب المرقد المنوّر بنور الله وملائكته، والصلاة، وتلاوة القرآن الكريم، والتّوبة إلى الله -تعالى-، وقراءة الزيارة التي هي

(١) كامل الزيارات/ ص ٥١.
(٢) روضة الواعظين / ص ١٤٢.
(٣) المناقب / ج ٢/ ص ١٢٩.

صورة مختصرة لسيرة المعصوم عليه السلام وفضله.

علاقة الحب هنا علاقة فكريّة وروحية، فحب الحسن عليه السلام متلازم مع حبّ صفاته الكمالية. وإلاّ فأي معنى يكون للحب دون فهم صفات المحبوب. فهنا، كلّما تفهم طبيعة حياته وكمال صفاته عليه السلام تزداد له حبّاً. وخطاب النبي صلى الله عليه وآله موجّه إلى المخاطَبين والغائبين معاً، بل إلى الأجيال جميعاً. وهذا نظير قوله -تعالى-: (...وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ...)[1] والمراد بمن بلغ هو من لم يشافهه النبي صلى الله عليه وآله بالإنذار في زمن حياته صلى الله عليه وآله، فالدعوة بالإنذار قائمة إلى يوم القيامة. بمعنى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وجّه خطابه إلى المؤمنين بحبّ الحسن عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، وأكثرهم لم يروا الإمام الحسن عليه السلام بشخصه بل رأوه بأفعاله عليه السلام وصفاته.

وفي ذلك، يكون ذلك الحب مشتملاً على:

١- المعاني: حيث ترتبط المعاني بالمبادئ، وحب الحسن عليه السلام معناه حب المبادئ التي سار عليها في حياته الدِّينية. فحياته المعرفية جزء لا يتجزّأ من نظام المعرفة في الإسلام.

٢- العاطفة: حيث ترتبط عاطفة المحِب بالمشاعر الإنسانية تجاه المحبوب كالفرح لأفراح المعصوم عليه السلام، والتّألّم لأتراحه. وحب الحسن عليه السلام يترتّب عليه التَّفاعل العاطفي لأفراحه وأتراحه.

٣- الهويّة: أنَّ الحب يبني قاعدة الهويّة العقائدية والانتماء للرسالة. فالضّمير العائد للإمام عليه السلام في قوله: (من أحبه)، وياء النّسبة العائدة للنبي صلى الله عليه وآله في قوله: (فقد أحبّني) ونحوها، كلّها تحدّد هويّة المحِب وتشخص نظرته المعرفية للإسلام.

إذًا ما معنى حب الحسن عليه السلام؟ وما هو الطَّريق إلى ذلك؟

حبّ الحسن عليه السلام يعني حب القيم التي تمسّك بها عليه السلام، والإرادة من قبل المحبّ في ترجمة ذلك الحب إلى سلوك موازٍ لسلوك المحبوب. ولو حاولتَ سؤالَ مفكّرٍ دَرَسَ حياة الحسن عليه السلام عن سبب حبّه لذلك الإمام عليه السلام لأجابك بأدلّة عقليّة:

أوّلاً: أنَّ الحسن عليه السلام إمام معصوم لا يرتكب المعاصي ولا الأخطاء، ولا يجهل أحكام الدين ولا أصوله، فهو في كمال المعرفة والسلوك الإنساني.

---

(١) سورة الأنعام/ الآية: ١٩.

ثانياً: إنّ جماله ﷺ مستمد من جمال رسول الله ﷺ في الفضائل والانقطاع إلى الله -تعالى-. فقد ورّث رسولُ الله ﷺ الحسنَ سؤدده [أي شرفه] وهيبته وعلمه وفضله.

وطالما كانت تلك الصِّفات مختصّة به، فإنني لا أستطيع أن أهب ذلك المقدار من الحب إلا له ﷺ ولِمَنْ أمرتُ بحبهم عليهم السلام. ولو كان لشخصٍ آخر، على سبيل الافتراض، في ذلك الزمان جميع صفات الإمام الحسن ﷺ لانتقل حبّي إلى ذلك الشَّخص، ولكن لم يكن لآخر صفات كصفات الإمام الحسن ﷺ، ولم يكن لآخر خصال كخصاله ﷺ. فقد كان المعصوم ﷺ، وقت إمامته، أفضل أهل زمانه مطلقاً في العلم، والتقوى، والورع، والفصاحة، والشّجاعة، والزّهد. وهذا الحب هو حبٌّ عقليٌّ وعاطفيٌّ مبنيٌّ على أساس اللّيل.

نحن والإمام علي عليه السلام

السيد محمد الموسوي

أين نحن من الإمام علي عليه السلام؟

بل أين نحن من أصحاب علي عليه السلام وشيعته الحقيقيين من أمثال سلمان المحمَّدي، وعمّار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود؟

أولئك الكرام الذين عرفوا بعض المعارف عن إمامهم وأميرهم أمير المؤمنين علي عليه السلام فاشتاقوا إلى الجنَّة، وكانت الجنة بشوق لهم بشهادة من رسول الله الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله [١].

وكم ناداهم أميرهم عليه السلام وتأسَّف عليهم، وتكلَّم عنهم بحرقة حيث يقول عليه السلام:

أين إخواني الذين ركبوا الطَّريق ومضوا على الحق؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟

وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة [٢]؟

فأين نحن من هؤلاء العظماء؟

سؤال وجيه يجب أن يوجهه كلٌّ منَّا إلى نفسه ليرى ما عنده لأمير المؤمنين عليه السلام، ليعرف ما له عند إمامه الحق

---

(١) راجع الخصال: ص٣٠٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢.

وأميره بالصدق، إمام العالمين، وسيّد الأوصياء والأولياء أجمعين .

فالإمام علي ﷺ هو الذي لم يعرفه إلا الله وابن عمّه رسول الله ﷺ ولن يعرفه أحد ـ حقيقة ـ مهما بلغ من العلم والحكم والذّكاء والنَّباهة فأنّى للجرّة أن تسع المجرة ..!

فعلى الإنسان المؤمن أن يعي ويدرك هذه الحقيقة النّورانية فإنَّ الأمير ﷺ كان معجزة بحدّ ذاته (ولادة في الكعبة) و(اسماً من الله) و(تربية عند رسول الله ﷺ) و(قوة من قوة الله) و(شجاعة وبطولة وكرماً وأدباً وحلماً وخلقاً..) فكل هذه الصِّفات بلغت عند الأمير ﷺ الذّروة وكلها استثناء في العالمين.

وما أحوجنا اليوم ـ وفي كل حين ويوم ـ لزيادة التَّعرّف والقرب وبالتالي الحب لأمير المؤمنين العظيم ﷺ لنتخذ منه قدوة حسنة وأسوة مباركة طيّبة تنير لنا الدّرب وتقرّبنا من ساحة الرب..

مقاييس تقييم العظماء

قال الإمام أمير المؤمنين ﷺ: (إنَّما مثلي بينكم مثل السراج في الظلمة يستضيء بها من ولجها)[١].

إنَّ التاريخ يعرض لنا نماذج من مختلف الأفراد هم يمثّلون مدارس ومناهل معطاءة في الحقّ أو الباطل، إذ تكون حركاتهم وسكناتهم وكلماتهم ووجودهم تعليماً وتربية للإنسان في البعدين، فنماذج الشّر تكون أسوة سيّئة كقابيل وفرعون ومن أشبه، ونماذج الخير أسوة حسنة.. فهم يفيضون خيراً وفائدة في كلّ مجالات الحياة.

وعلى رأس هؤلاء النَّماذج الطَّيبة هم الأنبياء والأولياء خاصّة رسول الإسلام وأهل بيته الأطهار (عليهم أفضل الصلاة والسلام) كما قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[٢].

وقال الإمام علي ﷺ: (ألا وأن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه)[٣].

من فضائله ﷺ

وقد امتاز أمير المؤمنين علي ﷺ بصفات عديدة لا يسع المقام لبيانها ولو إجمالاً ..

ونكتفي هنا بما أشار إليه رسول الله ﷺ في قوله: (من أراد أن ينظر إلى آدم في خلقه، والى نوح في حكمته والى

(١)نهج البلاغة: الخطبة ١٨٧.
(٢) سورة الأحزاب/ الآية: ٢١.
(٣)نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

إبراهيم في حلمه فلينظر إلى علي بن أبي طالب)[١].

الإيمان بأمير المؤمنين عليه السلام

لماذا نؤمن بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ونعتقد بولايته؟

وما هي فوائد الإيمان بذلك؟

عن أم سلمة أنَّها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق)[٢].

فأوّل فائدة في معرفة الإمام عليه السلام والاعتقاد به يعود للإنسان نفسه، فإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كلّما تعرّف عليه المجتمع البشري بشكلٍ عامّ والمجتمع الإسلامي بشكل خاص كُلَّما كان يعود بالنفع عليهم وإن لم يكتسب هو عليه السلام من ذلك أيَّة منفعة لنفسه، كما أنَّه عليه السلام لا يضرّه شيء حتى لو أساءت كلّ الدّنيا إليه وهجرته.

فمعاوية عندما أخذ يسبّ ويلعن علياً عليه السلام على المنابر وأمر بذلك جميع ولاته، لم يتضرّر به الإمام[٣] أي ضرر، إذ أنَّه عليه السلام مستغنٍ عن مدحنا له على المنابر أو في المحافل العامة وإنَّما تضرر معاوية وتضرر المسلمون وتضررت البشرية جمعاء وحتى الأجيال القادمة..

فالمسألة بالعكس تمامًا، فنحن الذين ننتفع بمدحه عليه السلام ونستفيد من فضائله ومناقبه عليه السلام، ونتضرر إذا ابتعدنا عن نهجه وتكبّرنا عن الاقتداء به.. ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ذكر علي عبادة)[٤]، فإنَّ العبادة توجب التّقرّب إلى الله -تعالى- وتكامل الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، وهكذا يكون ذكر علي عليه السلام فإنَّه يوجب السَّعادة الدّنيوية والأخروية..

علمًا بأنَّ الذّكر يشمل الذّكر العملي أيضاً كما لا يخفى..

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك بقوله: (وأنَّ ههنا لعلماً جمّاً ـ وأشار إلى صدره ـ ولكن طلابه يسير، وعن قليل تندمون لو فقدتموني)[٥].

ويمكن تقريب الصّورة إلى الذِّهن بمثالٍ: فلو أنَّ الناس احترموا الطّبيب الذي يعيش بينهم والتفوا حوله،

---

(١) أمالي المفيد: المجلس الثاني، ص١٤.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٤٤١.

(٣) كشف الغمة: ج١/ ص١٠٩، والاحتجاج: ص٢٩٣.

(٤) العمدة: ص٣٧٥.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص٢٠٥.

سوف تقل مرضاهم ولصدّ نوعًا ما عن أمراضهم، وحافظوا على سلامتهم وصحّتهم..

أما إذا تركوا الطَّبيب ولم يلتفوا حوله بل أهانوه و... فستزداد أمراضهم، وتسلب راحتهم وتصبح سلامتهم وحالتهم البدنية معرضة للآفات والأمراض، أما الطَّبيب نفسه فلا ينتفع بنفعهم ولا يتضرّر بضررهم بشكل أساس، بل هم المنتفعون إذا اهتموا بطبيبهم وأصغوا إلى نصائحه وتوجيهاته، وهم المتضررون إذا تخلّوا عنه.

وأين الطبيب من أمير المؤمنين عليعليه السلام الذي لا يمكن الاستغناء عنه في جميع مرافق الحياة، وكل مراحل العمر، وما ذكرناه ـ آنفاً ـ ليس إلا مثالاً لتقريب الصّورة لا أكثر.

ومع كل هذا، رأينا كيف ظلم بعض الناس أنفسهم وانفضّوا من حول الإمام عليعليه السلام، ففرّوا من نوره الشّعشاع إلى ظلماتهم الدّامسة.

لقد كان عليه السلام يناديهم بين الحين والآخر بقوله: (أيّها الناس إنِّي قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم... لله أنتم! أتتوقعون إماماً غيري يطأ بكم الطَّريق ويرشدكم السَّبيل؟)[١].

في حين أنَّ على الناس أن يختاروا الأفضل دائماً وقد عين رسول اللهصلى الله عليه وآله الأئمة من بعده حيث قال: (الخلفاء بعدي اثنا عشر)[٢].

وقال: (أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم)[٣]، ولكن الناس اخّروا عليّاً فاخّروا حظهم بذلك.

ولذلك نرى المسلمين تخلّفوا باتباعهم أمثال معاوية..

وكذلك المسلمون اليوم إذا لم يرجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام سيكون مصيرهم السّقوط والتّخلّف، لأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام نور إلهي يضيء الدَّرب لكلِّ المجتمعات الإنسانية إذا ما علمت بقوله وآمنت به واقتدت بسيرته، فهو الذي يعطي العلماء علماً، وللمجاهدين قوّةً، وللصابرين صبراً، وللمتّقين روحاً وتقوى، وللمضحّين إخلاصاً، وللسياسيين درساً، وللاقتصاديين منهجاً، وللحكّام برنامجاً، وللشعب تقدّماً، وحتّى لغير المسلمين رحمة وعطفاً..

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢.

(٢) الخصال: ص٤٦٧.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ص١١١.

وهو الذي يعطي جميع ما يحتاجه الناس في الدّنيا والآخرة وقد قال الشَّاعر[١]:

من ذا بخاتمه تصدَّق راكعاً وأسرها في نفسه إسرارا

من كان بات على فراش محمد ومحمد أسرى يؤم الغارا

من كان في القرآن سمي مؤمناً في تسع آيات تلين غزارا

في حين أنَّنا نرى غيرنا يقتدون بأنبيائهم وأئمتهم ـ ولو بنسبة ـ رغم عقائدهم المنحرفة، فالمسيح عليه السلام نبي من أولي العزم، لكن المسيحيين عرفوه بشكلٍ غير صحيح ودون مستواه الرَّفيع لا بواقعه الذي نعرفه نحن المسلمين، إنَّهم عرفوه باعتقادات منحرفة، ومع ذلك يعملون بتعاليمه التي أرادوها ويطبقونها ويسعون إلى التبشير بها، ويقولون: بأنَّه المنقذ لهم في الدّنيا والآخرة..

قال القرآن الحكيم: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ الله وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ الله وَيَقُولُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[٢].

فلو عملنا – نحن المسلمين – أصحاب الاعتقاد الصَّحيح والرّسالة المحمّديّة مثل ما يعمل المسيحيون أو غيرهم سنصل بأسرع وقت إلى قمَّة الحضارة من جديد، التي دعا إليها الإسلام وأئمّة أهل البيت عليهم السلام فقال تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)[٣].

وقال –سبحانه–: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[٤].

وقال –عز وجل–: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)[٥].

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: (من قصَّر في العمل ابتلي بالهم)[٦].

وفي إحياء أيِّ ذكرى للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام فهي إحياء للإسلام وللقيم السَّامية التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فعلينا أن نقوم بأعمال كثيرة منها الأعمال التَّالية:

---

(١) حسان بن ثابت.

(٢) سورة آل عمران/ الآية: ٧٨.

(٣) سورة الأنبياء/ الآية: ٩٢، والمؤمنون/ الآية: ٥٢.

(٤)سورة الحجرات/ الآية: ١٠.

(٥) سورة التوبة/ الآية: ١٠٥.

(٦) نهج البلاغة: ١٢٧.

أوَّلاً: دراسة نهج البلاغة

يلزم علينا أن نتناول كتاب (نهج البلاغة) بالدَّرس والتَّحليل، فإنَّ نهج البلاغة أكبر وأهم في المحتوى والتَّأثير من أي كتاب آخر سوى القرآن الحكيم، وقد وصفه السَّيّد الرضي (قدس الله سره): بـ (الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النَّبوي)[١].

ووصفه الشَّيخ محمد عبده في مقدِّمته لشرح نهج البلاغة بقوله: (... وأحياناً كنت أشهد أنَّ عقلا نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً فصل عن الموكب الإلهي واتّصل بالرّوح الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد الفوز الأجلى...)[٢].

فكلام أمير المؤمنين ﷺ يمثِّل قمّة البلاغة وقمّة التَّقدّم في مختلف مجالات الحياة، وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد: (انظر إلى البلاغة كيف تنتظم فيها الكلمات... إنَّه يتصرّف بها فينظمها كالقلادة والعقد بياناً لبراعته وقوّة تأثيره فيها...).

وهناك أقوال كثيرة وعديدة لعلماء كبار من مختلف المذاهب والقوميات، مسلمين وغير مسلمين، في بيان موقع نهج البلاغة من حياتنا.

ولكن من المؤسف جدّاً: أنَّ الأمَّة الإسلامية لم تستفد منه تمام الاستفادة، فاقتصرت معرفتها على طبقة معيّنة من المجتمع الإسلامي، في حين أنَّ عامَّة الناس قد حرموا من هذا المنهل المبارك الذي هو أصل كلّ حركة فكريّة وتقدّميّة ومصدر صافٍ لأفكار الإسلام وإشعاعاته..

فلذلك يجب أن يُدرّس نهج البلاغة في حوزاتنا العلمية وكذلك المدارس الأكاديمية، وتُنشر مفاهيمه من خلال المنابر الحسينية، وفي مختلف الكتب وعبر الإذاعات والصّحف والأقمار الصناعية وما أشبه كي يكون نهج البلاغة نهج الفلاح ونهج النَّجاح والتَّقدّم للأمّة الإسلامية بل البشرية جمعاء كما هو الواقع في ذلك.

فنهج البلاغة لم يدع شيئاً في الأرض ولا في السماء إلا وقد بيّنه لنا ولو بنسبة أو أخرى.

---

(١) راجع مقدمة السيد شريف الرضي (قدس سره) لنهج البلاغة تحقيق الدكتور صبحي صالح .

(٢)مقدمة نهج البلاغة لمحمد عبده.

ثانياً: نشر التَّعاليم الإسلامية

الواجب الثاني في إحياء ذكرى أمير المؤمنين عليه السلام هو الاهتمام بنشر التّعاليم الإسلامية.. فإنَّنا حينما كُنَّا يوماً مرتبطين بالإسلام عملاً لا انتساباً فقط، قُمنا بفتح الدّنيا فضمها الإسلام بين ذراعيه، وكان ذلك على ضوء المنطق لا السيف.. نعم كان السيف للدفاع فقط؛ لأنَّ الإسلام حينما جاء قام بعملٍ مهمٍّ وهو تحكيم المنطق في الأمور، وفرض العدل كقانون عملي يتحكّم بين الناس، وما كان حكم السّيف إلا للمجرمين. وبهذا العمل انتشر الإسلام في الحجاز والى أقصى نقطة في العالم.

أما المسلمون اليوم فلم يبرحوا أماكنهم، ولم يعملوا شيئاً لنشر الإسلام، وذلك لابتعادهم عن الله -سبحانه وتعالى -ورسوله والأئمة المعصومين عليهم السلام، وانشغالهم بقضايا جانبية وبخلافات مفتعلة بينهم.. هنا وهناك.

كيف ننشر الإسلام؟

إذا أردنا أن ننشر الإسلام بالشكل المناسب يلزم وضع برنامج عالمي لغرض التبليغ ودعوة الناس إلى الإسلام؛ لأنَّ العالم اليوم ـ وبشكل عام ـ صار يتقبّل الحجة والدليل، والإسلام هو الحجّة والدَّليل بكلّ معانيه المنطقية، إلّا أنَّ قسماً من الحكومات المسلمة تحول دون وصول الإسلام إلى الشّعوب.

قوَّة المنطق

نعم حجتنا نحن المسلمين والشّيعة قويّة جدّاً وليس علينا إلّا بيان ذلك للعالم فإنّها توافق المنطق وتدعمها أدلة كثيرة نلمسها مادياً ومعنوياً في حياتنا اليوميّة...

لو خطب علي عليه السلام

ثم إنَّه لا يقاس بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أحد، فإنَّك حينما تصعد المنبر وتريد أن تتحدَّث عن أرسطو وأفلاطون وسقراط وابن سينا وعن الرازي وغيرهم من العظماء، تجد أنَّ هؤلاء لا شيء أمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

اللهم صل وسلم عليه وآله
محمد
علي
فاطمة
حسن
حسين

ليلة القدر
والاستكثار والمسيرة التكاملية

محمد الســـعدي

إنَّ الله – سبحانه وتعالى– أخفى أولياءه في عباده لكي لا نحقّر أحداً من عباد الله، وأخفى الاسم الأعظم في أسمائه الحسنى التي نقرؤها في ليالي شهر رمضان المبارك، لكي نُعظم كل أسمائه الحسنى، قال الله –تعالى– في كتابه الحكيم : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [١].

أوَّل ظاهرة تلفت أنظارنا في الحديث عن ليلة القدر: هالة من الإبهام نلاحظها في هذه الليلة؛ فأيّ ليلة هي ليلة القدر؟ هل هي الليلة التّاسعة عشرة من هذا الشّهر المبارك؟ أم هي الليلة الواحدة والعشرون؟ أم هي الليلة الثالثة والعشرون من هذا الشهر؟ فإلى جانب هذه الاحتمالات، هنالك إبهام يحيط بهذه الليلة، وحول ظاهرة الإبهام هذه هنالك ملاحظتان:

الأولى: الإبهام؛ لاستكثار الخير.

إنَّ الإبهام إذا تعلّق بعمل خيّر فإنَّه في واقعه توسيع لنطاق ذلك العمل، فإذا كان هنالك وضوح في عمل الخير، أي كانت هنالك نقطة محدّدة، ونضع أيدينا عليها ونقول: هذه هي نقطة عمل الخير، ففي هذه الحالة سوف

(١) سورة الدخان / الآية: ٤.

يقتصر عمل الخير على تلك النّقطة، بينما في حالة الإبهام والغموض، أو وضوح من وجه وغموض من وجه آخر، فمعنى هذا في النَّتيجة اتساع نطاق عمل الخير، وبدل أن يقتصر على نقطة واحدة يتوزّع في نقاط متعدِّدة.

هذه الظَّاهرة لا نجدها فقط في ليلة القدر، وإنَّما نجدها في قضايا عديدة، فثمّة ظاهرة في الدِّين تُسمّى (الإخفاء)، وتعني أنَّ الله – سبحانه وتعالى– أخفى رضاه في طاعته، بحيث لا يعلم الإنسان في أيّ نقطة يكمن رضا الله – سبحانه وتعالى–، وفي الحقيقة فإنَّ منتهى ما يطمح إليه المؤمن في هذه الحياة أن يرضى عنه الله – سبحانه وتعالى–، لكنَّ الإنسان لا يعلم أيّ نقطة هي التي ترضي الله ؟ أهي الصَّلاة ؟ أم الصّوم ؟ أم الإنفاق؟ أم العطف على هرّة تنزوي في أصول الجدار في ليلة شاتية ويأتي ذلك الرجل ويرقّ قلبه على هذه الهرّة فيأخذها ويدثّرها تحت معطفه، كما جاء في الرّواية، بأنَّ الله –سبحانه وتعالى– رضي عن ذلك الرجل لهذا العمل، إذن فإنَّ إخفاء الله –سبحانه وتعالى– رضاه في طاعته، لنستكثر من الطاعة، وبالمقابل أخفى الله – سبحانه وتعالى– سخطه في معصيته – نعوذ بالله– فمرة يجد الله – سبحانه وتعالى– العبد على معصية فيقول له: – كما ورد في الحديث– لن أغفر لك أبداً [١] ! فتحترق أوراق هذا الرجل، لكنَّنا لا نعلم أيَّة نقطة هي التي تسبب لنا السَّخط الإلهي العظيم، ولذلك يجب علينا تجنّب كل الشّر.

إنَّ الله – سبحانه وتعالى– أخفى أولياءه في عباده لكي لا نحقّر أحداً من عباد الله، وأخفى الاسم الأعظم في أسمائه الحسنى التي نقرأها في ليالي شهر رمضان المبارك في دعاء (الجوشن) وبقيّة الأدعية، لكي نُعظم كل أسمائه الحسنى، وأخفى الموت في ساعات العمر...

تؤمل في الدنيا طويلاً ولا تدري إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر [٢]

ولا نكون مثل ذلك الرجل الذي قال: (أتوب إلى الرّحمن من سنتين)[٣]! وهو غافلٌ عن موعد أجله، فالموت مُبهم، لكي نعمل الخير في كلّ ساعات حياتنا، فإذا علِم الإنسان بأنَّه سيموت بعد خمسين عاماً؛ فإنَّه سيتوب إلى الرّحمن قبل موته بيوم واحد، ولكن عندما يكون الموت مبهماً، يكون عليه ترقّب الموت في كلِّ لحظة.

كان المسلمون يأتون إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام ويسألون منهم، أي ليلة هي ليلة القدر ؟ أهي الليلة الواحدة والعشرون؟ أم الليلة الثالثة والعشرون؟ فكان الإمام –صلوات الله عليه– يجيب –كما في الرواية–: (ما أهون

(١) راجع : المحاسن : ج ١ / ص ١١٧ .

(٢) من الشعر المنسوب لأمير المؤمنين –عليه السلام–.

(٣) هو عمر بن سعد بن ابي وقاص الذي قتل الإمام الحسين –عليه السلام– من أجل أمارة الري .

ليلتين فيما تطلب)[١]، فهم لم يكونوا يجيبون عن هذا التَّساؤل، ولم يكونوا يعيّنون حتى نستكثر من الخير في ليالي شهر رمضان المبارك.

الملاحظة الثَّانية: المسيرة التَّكاملية.

إنَّ مسيرتنا التَّكاملية نحن البشر ليست مسيرة دفعية، أي ليست هنالك عملية انقلاب، إنَّما في المسيرة التَّكاملية هنالك حركة نفسانية تدريجية نحو الكمال، فنحن في شهر رمضان المبارك في ضيافة الله – سبحانه وتعالى–، والإنسان يبدأ من بداية هذا الشّهر المسيرة التَّكاملية، وذلك بعد أن أوغل طوال أحد عشر شهراً في المادّيات، فقد كان يفكِّر من الصّباح وحتّى المساء في المادة، لكن ابتداءً من هذا الشهر يرتفع الإنسان من الحالة الحيوانية إلى حالة أشبه ما تكون بالملائكية.

يقول صاحب العروة الوثقى[٢] (رحمه الله) في كتاب الصَّوم: إذا لم يكن في الصَّوم إلا الارتفاع من مستوى الحيوانية إلى مستوى التشبّه بالملائكة لكفاه فضلاً وفخراً . فالملائكة لا يأكلون، ونحن أيضاً نمتنع في هذا الشهر عن الطعام، كما إنَّ الملائكة لا يشربون، ولا ينكحون، فهم بعيدون عن عوارض المادة، وفي شهر رمضان المبارك، يبدأ الإنسان رحلة التَّشبّه بالملائكة، فينتقل من هذا العالم المادي إلى ذلك العالم العلوي، ففي الليلة التَّاسعة عشرة ترتفع النَّفس بالأدعية المختلفة وبالتوجه إلى الله – سبحانه وتعالى–، وهي إحدى مراتب الكمال النّفساني، وفي ليلة الحادي والعشرين ترتفع النَّفس إلى مستوى أعلى مما وصلت إليه، كل هذا ليكون تمهيداً إلى الليلة الثَّالثة والعشرين، طبعاً ليس هنالك قطع ولا يقين، وليس بإمكان شخص القول بأنَّ هذه هي ليلة القدر، لكن الذي يظهر من كثير من الرّوايات أنَّ الاحتمال الأقوى أن تكون ليلة القدر هي الليلة الثَّالثة والعشرين، التي فيها يُفرق كلّ أمرٍ حكيم، أي إنَّ في هذه الليلة تُقدَّر الصّحة والمرض، ربما تلاحظون بعض سنوات حياتنا تجدون أنَّها محفوفة بالخير والسعادة وكانت خالية من المشاكل، فيما بعض السنوات كانت مشحونة بالمشاكل والخلافات والألم، كل ذلك يُقدر في ليلة القدر؛ الصّحة والمرض، الحياة والموت، الخير والشر، وكل شيء.

جاء رجلٌ يُقال له (الجُهني) إلى النبي الأعظمﷺ وقال: يا رسول الله، إنَّ لي إبلاً وغنماً وحشماً، ولا أتمكّن من الحضور كل ليلة في مسجدك، فأنا خارج المدينة، فعيّن لي ليلة واحدة أحضر فيها مسجدك، النبيﷺ سارّه: أي همس في أذنه بكلمات، ولم يفهم أحد من الحاضرين ما قاله النبي للجُهني، الجُهني يُذهَل، والناس ينتظرون ما

(١) الكافي : الشيخ الكليني : ج ٤/ ص ١٥٦ .

(٢) آية الله العظمى السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي (١٢٤٧ – ١٣٣٧ هـ) .

الذي سيفعله الجُهني، في تلك السنة رأوا أنَّ الجُهني جاء إلى المدينة ومعه أولاده وعائلته وأطفاله وخدمه وحشمه في الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك، وفي كلّ سنة كان يأتي إلى المدينة في هذه الليلة تحديداً [١] .

وهذه إحدى الرّوايات التي يُرجّح على ضوئها بعض العلماء أن تكون ليلة القدر هي الليلة الثّالثة والعشرين، لذا على الإنسان أن يلاحظ في هذه الليلة هل وصل إلى ذلك المستوى أو لم يصل ؟ لأنَّ الفيض والتَّقدير الإلهي لا يُقدّر إلا في نفوس مؤهّلة، فإذا لم يتمكّن الإنسان في هذه الليالي من الوصول إلى مستوى تلقّي الفيض الإلهي، ليحاول من الأيّام الأولى من شهر رمضان المبارك، وحتى الليلة الثّالثة والعشرين، أن يصل إلى هذا المستوى، وإلا فإنَّ النَّفس الملوّثة بالمعاصي والآثام، غير جديرة بتلقّي الفيض الإلهي، فلا يأتي الإنسان في الليلة الثّالثة والعشرين وعينه ملوّثة بالنَّظر إلى الحرام وأذنه ملوّثة بسماع الحرام، ولسانه ملوّث بالغيبة والتّهمة والنَّميمة، وقلبه ملوّث بالكبر والحسد والحقد وما أشبه ذلك من هذه الصِّفات السَّيئة، أو تكون ملابسه مشبوهة، أو يكون البيت الذي يسكنه مشبوهاً، أو يتقلّب في الحرام، وفي رواية يذكرها صاحب اللمعة [٢] (رحمه الله) في كتاب الحج يقول: ينظر في حرام، يمشي في حرام، ينام في حرام، يبرك في حرام...، فهذا الإنسان الذي يحيط به الحرام من كل جانب هل يُؤهّل لتلقي الفيض الإلهي في هذه الليلة ؟ وعندما تنزل الملائكة بالتقديرات في هذه الليلة على إمامنا ووليّنا الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه)، فما هي التَّقديرات التي تنزل بهذا الرّجل؟ لاحظوا التَّعبير القرآني: (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) [٣]، فالخطيئة محيطة به من كل جانب - والعياذ بالله-.

إنَّ الإنسان ليستمد العون من الله - سبحانه وتعالى- لكي يطهّر نفسه كاملةً من حقوق الله -تعالى- عليه، مثل قضاء صلوات أو قضاء صيام وما أشبه ذلك من هذه الحقوق، أو من حقوق الناس، حتى إذا رام دخول هذه الليلة المباركة يدخلها طاهراً مطهراً ويكون دعاؤه أقرب إلى الإجابة من قبل الله -سبحانه وتعالى-، وفي هذه الليلة المباركة عندنا وسائل إلى الله -سبحانه وتعالى-، نقرأ في الدّعاء: (إلهي إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك وحجبت دعائي عنك فإنّي أتوسّل إليك بمحمد وأهل بيته الطاهرين)[٤]، نتوسل بهؤلاء في هذه الليلة ... فالتوبة إلى الله من جانب والتّوسّل بهذه الصّفوة من جانب آخر، يؤهّلنا إن شاء الله لتلقّي ذلك الفيض والوصول إلى ذلك المستوى الذي يحبه الله -سبحانه وتعالى-، واسأل الله -تعالى- كُلَّ شيء تحبه لنفسك ولأهلك ولعائلتك ولأمتك

(١) بحار الانوار : ج ٧٨ / ص ١٧ .

(٢) الشهيد الأول الشيخ شمس الدين محمد بن مكي العاملي (ت ٧٨٦ هـ) .

(٣)سورة البقرة / الآية: ٨١ .

(٤) بحار الانوار : ٩١ / ص ٢٢ .

وللمسلمين كافة، وتوسل إليه – سبحانه وتعالى– بأهل البيت ليستجيب لك الله –سبحانه وتعالى–.

من هنا علينا أن نعلم إن جميع شؤوننا تُقدّر في ليالي القدر المباركة، وهي الليلة التّاسعة عشرة والليلة الحادية والعشرون والليلة الثّالثة والعشرون، وأن نتوسّل بما عندنا من مسائل وحاجات إلى الله – سبحانه وتعالى– بهم، وأن يجعل عواقب أمورنا خيراً وأن يرزقنا خير الدّنيا والآخرة وأن يُعجّل لوليّه الفرج ويجعلنا من أعوانه وأنصاره، فالخير والشر والسعادة والشقاء، كلّها تُقدَّر في هذا التَّنزّل، (تنزل الملائكة و الروح)، لذا يجب على الإنسان ألا يغفل عن هذه الليالي، ليتوسل الى الله –سبحانه وتعالى– الذي بيده كل شيء، ويتوسّل بالإمام المهدي المنتظر عشر مرّات في ليالي القدر، أن يقول الإنسان: (بالحجّة)، وأن يدعو ويتضرّع، وربما كتب الله سبحانه وتعالى لأحد الأشخاص الشّقاء لكن بدعائه في هذه الليالي يتحول إلى السّعادة، وفي الدعاء الذي نقرأه: (لا طاقة لنا بحكمك)[1]، فأحيانًا يقع الإنسان في ورطة ولا يستطيع الفكاك منها (تدع الحليم حيرانا...)، ولا يدري ما يصنع ؟ إنَّ الإنسان ضعيف جداً، ولا يدرك ضعفه، لكن كلّما تقدَّم به العمر يدرك كم هو ضعيف.

إذاً؛ فهذه الليالي هي ليالي التَّوسّل والتَّضّرع والطلب من الله – سبحانه وتعالى– لخير الدنيا ولخير الآخرة.

(١) راجع : الصحيفة السجادية (أبطحي) : ص ٧٤ .

ادعوه خوفا وطمعا
إن رحمت الله قريب من المحسنين

اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم